

على أبواب التوحيد

تأليف

الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الحمدان

يرحمه الله

وقف لله تعالى

مكتبة الصحابة

جدة - الشرفية

فاكس : ٦٥٣٤٤٨٩ / هاتف : ٦٥٢١٠٦٠

الطبعة الرابعة
١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

الناشر

مكتبة الصحابة
جدة - الشرفية
فاكس : ٦٥٣٤٤٨٩ / هاتف : ٦٥٢١٠٦٠

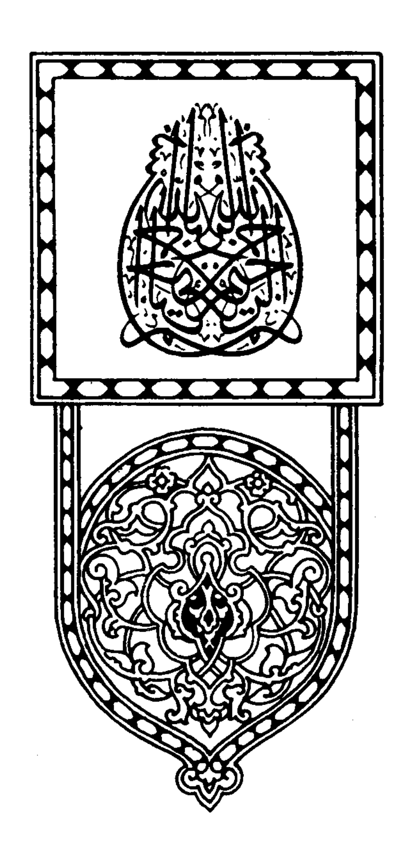
فائـــدة[1]

عن محمد بن النظر الحارثى قال : كان يقال أول العلم الإنصات له ، ثم الاستماع له ، ثم حفظه ، ثم العمل به ، ثم لله .

من كتاب الزهد فى زهد عمر حدثنا عبد الله قال حدثنى أبى حدثنا عفان حدثنا جرير بن حازم قال سمعت الحسن قال : حضر باب عمر بن الخطاب سهيل ابن عمرو والحارث بن هشام وأبو سفيان بن حرب ونفر من قريش من تلك الرؤوس ، وصهيب وبلال وتلك الموالى الذين شهدوا بدراً ، فخرج إذن عمر فأذن لهم وترك هؤلاء . فقال أبو سفيان : لم أر كاليوم قط يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه ولا يلتفت إلينا . قال فقال سهيل بن عمرو وكان رجلا عاقلا : أيها القوم إنى والله لقد أرى الذى فى وجوهكم إن كنتم غضابا فاغضبوا على أنفسكم . دُعى القوم ودعيتم فأسرعوا وتبطأتم فكيف بكم إذا دعوا ليوم القيامة وتركتم ، أما والله لما سبقوكم إليه من الفضل مما ترون أشد عليكم فوتاً من بابكم هذا الذى تنافستم عليه . قال : ونفض ثوبه وانطلق .

---

(١) من كتاب الزهد للإمام أحمد ص ٢٦٨



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن يا كريم

الحمد لله الذى جل عن الأنداد وتنزه عن أن يكون له ظهير من العباد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من عرف المعنى منها والمراد ، واعتقد ما دلت عليه حقيقة الاعتقاد ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الهادى إلى سبيل الرشاد ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيراً .

أما بعد ، فإن ﴿ كتاب التوحيد ﴾ الذى ألفه الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ورضى عنه ، كتاب بديع الوضع عظيم النفع ، لم أر من سبقه إلى مثاله أو نسج فى تأليفه على منواله ، فكل باب منه قاعدة من القواعد ينبنى عليها كثير من الفوائد ، وأكثر أهل زمانه قد وقعوا فى الشرك الأكبر والأصغر ، واعتقدوه دينا فلا يتاب منه ولا يستغفر ، فألفه عن خبرة منه ومشاهدة للواقع ، فكان لذاك الداء كالدواء النافع ، فرحمه الله ورضى عنه .

وقد شرحه بعض أحفاده وغيرهم ، ووضعوا عليه بعض الحواشى المفيدة ، إلا أنه لم يتعرض أحد منهم لذكر المسائل التى استنبطها المصنف فى آخر كل باب إلا نادراً ، وهى تضمن علوماً جمّة وفوائد مهمة ، فرأيت من الضرورى

استخراج خلاصة مما ذكروه تكون وافية بتوضيح مقاصده وتقريب شوارده مع ما منَّ الله به من الفوائد وتوضيح الشواهد، واتبعت كل آية أو حديث بما استنبطه المصنف من الفوائد، ومرادى بشيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله ورضى عنه، وسميته: ﴿ الدر النضيد على أبواب التوحيد ﴾.

والله أسأل أن ينفع به كما نفع بأصله، وأن يجعله خالصاً لوجهه، ومن العمل المبرور، والسعى المشكور المقرب لديه، إنه ولىُّ ذلك والقادر عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وإنى أروى كتاب التوحيد وسائر مؤلفات الشيخ فى اليوم العاشر من شهر محرم الحرام عام ألف وثلاثمائة وخمسين، بالإجازة عن الشيخ العلامة محدث الحجاز فى وقته أبى الفيض وأبى الإسعاد عبد الستار بن عبد الوهاب الصديقى الحنفى الدهلوى ثم المكى، عن الشيخ العلامة السلفى أحمد بن إبراهيم ابن عيسى النجدى الحنبلى، عن الشيخ العلامة حفيد المؤلف عبد الرحمن ابن حسن، عن المؤلف الشيخ محمد بن عبد الوهاب أجزل الله له الأجر والثواب.



(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) قال المؤلف رحمه الله (بسم الله الرحمن الرحيم) ابتدأ المصنف كتابه بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز وعملا بحديث : « كل أمر ذى بال لا يفتتح بذكر الله فهو أبتر - أو - أقطع » ، واقتصر المصنف فى بعض نسخه على البسملة لأنها من أبلغ الثناء والذكر . قال فى « فتح المجيد » ، ووقع لى نسخة بخطه رحمه الله بدأ فيها بالبسملة وثنى بالحمد والصلاة على النبى ﷺ ، وعلى هذا فالابتداء بالبسملة حقيقى وبالحمد له نسبى إضافى . والباء فى (بسم الله) للمصاحبة ، وقيل للاستعانة وهى طلب العون ، والاسم الشريف مستعان مجرور ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره قرأت باسم الله أو اقرأ باسم الله ومن الناس من يضمر فى مثل هذا ابتدائى باسم الله . قال شيخ الإسلام : والأول أحسن لأن الفعل كله مفعول باسم الله ليس بمجرد ابتدائه والله علم على ذات الرب تبارك وتعالى . قال الكسائى والفراء : أصله الإلـه حذفوا الهمزة وأدغموا اللام فى اللام فصارت لاماً واحدة مشددة مفخمة . قال ابن عباس : الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ، ويقال إنه الاسم الأعظم لأنه يوصف بجميع الصفات ، وقد ذكر فى القرآن فى ألفين وثلاثمائة وستين موضعاً . وقال سيبويه : إنه أعرف المعارف .

وقوله : (الرحمن الرحيم) قال ابن عباس : اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر ، أى أوسع رحمة ، وهما مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ، فالرحمن أشد مبالغة من رحيم ، والرحمن رحمان الآخرة والدنيا ، والرحيم رحيم الآخرة ، والرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه ، وأن الرحمة صفته ، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم وأنه يرحم خلقه برحمته وأسمائه تعالى هى أسماء ونعوت فإنها دالة على صفات كماله فلا تنافى فيها بين العلمية والوصفية ، فالرحمن اسمه تعالى وصفته ، فمن حيث هو صفة جرى تابعا لاسم الله ، ومن حيث هو اسم ورد فى القرآن غير تابع بل ورود الاسم العلم ، قال تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ، ﴿ الرحمن علم القرآن ﴾

كتاب التوحيد(١)

(١) وقوله (كتاب التوحيد) كتاب: مصدر كتب يكتب كتابا وكتابة وكتباً، وهو بمعنى الجمع لغة واصطلاحاً مكتوب جامع لمسائل أنواع التوحيد، والتوحيد مصدر وحَّد يوحد توحيداً، وسمى دين الإسلام توحيداً لأن مبناه على أن الله واحد فى ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له، وواحد فى ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد فى إلاهيته وعبادته لا ندّ له، وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين. قال العلامة ابن القيم رحمه الله:

والعلم أنواع ثلاث ما لها　　من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله　　وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهى الذى هو دينه　　وجزاؤه يوم المعاد الثانى

فالعلم بأوصاف الإله توحيد الصفات. والعلم بالفعل توحيد الربوبية كالخلق والرزق والإحياء والإماتة. والعلم بالأسماء توحيد فهو توحيد المعرفة والإثبات بإثبات ذات الرب وأسمائه وصفاته وأفعاله. وقوله: والأمر والنهى الذى هو دينه. فهذا توحيد الإلهية والعبادة، وهو توحيد الطلب والقصد، وهو حق الله على عباده الذى يخلقهم من أجله. وهو أول واجب على المكلف، وهو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله، ومن أجله أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، ونصبت القبلة، وأسست الملة، وجردت سيوف الجهاد، وخلقت الجنة والنار، فهو سر الخلق والأمر، وهو الذى وضع المصنف كتابه من أجله لوقوع الشرك فيه، وإليه أشار العلامة ابن القيم بقوله:

هذا وثانى نوعى التوحيد تو　　حيد العبادة منك للرحمن
أن لا تكون لغيره عبداً ولا　　تعبد بغير شريعة الإيمان
فتقوم بالإسلام والإيمان والـ　　إحسان فى سر وفى إعلان
والصدق والإخلاص ركنا　　ذلك التوحيد كالركنين للبنيان

وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية وهو: اعتقاد أن الله وحده خلق العالم كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف، فإن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات، ونزهه عن كل ما ينزه عنه، وأقر بأنه =

وقولِ الله تعالى: ﴿وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلَّا ليَعْبُدُونِ﴾[1].

= وحده خالق كل شيء ، لم يكن موحداً حتى يشهد : أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فيقر أن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له . وقوله : فتقوم بالإسلام والإيمان والإحسان كما فى حديث جبريل . وقوله : والصدق والإخلاص ركنا ذلك التوحيد . أى توحيد العبادة فمن لم يكن صادقا فهو منافق ، ومن لم يكن مخلصا فهو مشرك ، فلا بد فى قول : لا إله إلا الله من الصدق والإخلاص .

(١) قوله وقوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ بالجر عطف على التوحيد ويجوز الرفع على الابتداء . قال القرطبي : أصل العبادة التذلل والخضوع ، وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين لله تعالى . انتهى . فهى عبارة عما يجمع كمال المحبة مع غاية الخضوع فلا تكون المحبة بدون خضوع عباده ولا الخضوع بدون محبة عباده . قال العلامة ابن القيم :

وعبادة الرحمن غاية حبه   مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر   ما دار حتى قامت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله   لا بالهوى والنفس والشيطان

شبه دوران العبادة على المحبة والذل للمحبوب جل وعلا بدوران الفلك على قطبيه وذكر أن دورانه بأمر الرسول وما شرعه لا بالهوى وما تأمر به النفس والشيطان فليس ذلك من العبادة . وقال الفقهاء : العبادة ما أمر به شرعاً من غير اطراد عرفى ولا اقتضاء عقلى . وقال شيخ الإسلام : العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، قلت : الظاهرة أعمال الجوارح ، والباطنة أعمال القلب . قال : والعبودية خاصة وعامة ، فالعامة عبودية أهل السموات والأرض كلهم برّهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم ، فهذه عبودية الملك والقهر ، قال تعالى : ﴿ إنْ كلُّ من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ﴾ وأما الخاصة فعبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر ، قال تعالى : ﴿ فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾ . وأما قوله : ﴿ وما الله يريد =

وقولِه: ﴿ ولقد بَعَثْنَا فى كلِّ أُمَّةٍ رسولاً أَنِ اعبُدوا اللهَ وَاجتَنِبُوا

= ظلماً للعباد ﴾ . وقوله : إن الله قد حكم بين العباد . فهذا يتناول العبوديتين . انتهى . قال ابن القيم : ومدار العبادة على خمس عشرة قاعدة من كلها فقد كمل مراتب العبودية لأنها منقسمة على القلب واللسان والجوارح ، والأحكام التى للعبودية خمسة : واجب ومستحب وحرام ومكروه ومباح ، وهى لكل واحد من القلب واللسان والجوارح ، فقول القلب هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه عن نفسه وأسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه ، وقول اللسان الإخبار عنه بذلك والدعوة إليه والذَّب عنه وتبيين البدع المخالفة له والقيام بذكره وتبليغ أوامره ، وعمل القلب كالمحبة له والتوكل عليه والإنابة إليه والخوف منه والرجاء له وإخلاص الدين له والصبر له على أوامره وعن نواهيه وعلى أقداره والرضى به وعنه والموالاة فيه والمعاداة والذل له والخضوع والإخبات إليه والطمأنينة به وغير ذلك ، وأعمال الجوارح كالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلى الجمع والجماعات ومساعدة العاجز والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك . واللام فى قوله : ﴿ ليعبدون ﴾ لام التعليل المعروفة عند النحاة بلام كى ، كاللام فى قوله : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾ ثم قد يطاع وقد لا يطاع وكذلك ما خلق الجن والإنس إلا للعبادة ، ثم قد يعبدون وقد لا يعبدون ، وليست لام الصيرورة والعاقبة . قال شيخ الإسلام : لام الصيرورة والعاقبة لا تقع إلا فى فعل من يجهل عاقبة فعله ، كما قال تعالى عن موسى : ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ﴾ فلو كانوا عالمين بعاقبة اتخاذه ما اتخذوه ، ومعنى الآية : أن الله خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له ، ويوحدوه وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة ، وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه وهو خالقهم ورازقهم ، قال على بن أبى طالب : وما خلقت الجن والإنس إلا لآمرهم أن يعبدون وأدعوهم إلى عبادتى . وقال مجاهد : إلا لآمرهم وأنهاهم ، واختاره الزجاج وشيخ الإسلام لقوله : ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سُدى ﴾ قال الشاذلى : لا يؤمر ولا ينهى ، وقال غيره لا يثاب ولا يعاقب ، والصحيح الأمران فإن الثواب والعقاب مترتب على الأمر والنهى وحقيقة العبادة امتثالها . وفى الآية بيان الحكمة فى خلق الجن والإنس وأن العبادة هى التوحيد لأن الخصومة فيه ، وأن من لم يأت به لم يعبد الله ففيه معنى قوله : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ .

الطَّاغوتَ ﴾[1] الآية . وَقوله : ﴿ وقضىٰ ربُّكَ أن لاَ تعبُدوا إلا إيَّاهُ وَبالْوَالِدَيْنِ إحساناً ﴾[2] الآية . وقوله : ﴿ واعبدُوا اللهَ

---

(١) قاله المصنف رحمه الله : قوله وقول الله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ أخبر تعالى أنه بعث فى كل أمة ـ أى كل طائفة وقرن من الناس ـ رسولا قائلا لهم الرسول الذى بعث فيهم : اعبدوا الله أى وحدوه ، وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة ، وقوله : ﴿ واجتنبوا الطاغوت ﴾ أبلغ من قوله : اتركوا الطاغوت ، لأنه يتضمن الشرك والتباعد عنه فتضمنت الآية النفى والإثبات كما تضمنته لا إله إلا الله ، فالإثبات قوله : ﴿ اعبدوا الله ﴾ ، والنفى قوله : ﴿ واجتنبوا الطاغوت ﴾ وهذا هو حقيقة التوحيد وهو معنى لا إله إلا الله ، فالنفى المجرد ليس بتوحيد وكذلك الإثبات المجرد . قال ابن القيم رحمه الله : والطاغوت مشتق من الطغيان ، وهو مجاوزة الحد ، وهو ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله انتهى . وفى الآية بيان الحكمة فى إرسال الرسل ، وأن الرسالة عمت كل أمة ، وأن دين الأنبياء واحد وأن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت ففيه معنى ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ﴾ الآية وأن الطاغوت عام فى كل ما عبد من دون الله .

(٢) قاله المصنف رحمه الله : قوله وقول الله تعالى : ﴿ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه ﴾ الآيات . قال مجاهد يعنى وصى ، وكذا قرأ أبىّ بن كعب وابن مسعود وابن عباس وغيرهم ، وقال ابن عباس أيضاً : ﴿ وقضى ﴾ يعنى أمر ، رواه ابن جرير . وقوله : ﴿ ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ أى أن تعبدوه وحده ولا تعبدوا غيره ، وهذا هو الشاهد فى الآية للترجمة وهو معنى لا إله إلا الله فتضمنت الآية النفى والإثبات ، كما تضمنته لا إله إلا الله . وقوله : ﴿ وبالوالدين إحسانا ﴾ أى وقضى أن تحسنوا بالوالدين إحسانا ، كما أمر بعبادته وحده لا شريك له ، وعطف حقهما على حقه تعالى دليل على تأكد حقهما وأنه أوجب الحقوق بعد حق الله تعالى وهذا كقوله : ﴿ أن اشكر لى ولوالديك ﴾ ولم يخص نوعا من أنواع =

= الإحسان ليعم جميع أنواع الإحسان ، وقوله : ﴿ إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أُفٍّ ﴾ أى لا تسمعهما قولا سيئاً حتى ولا التأفيف الذى هو أدنى مراتب القول السيء ﴿ ولا تنهرهما ﴾ أى لا يصدر منك إليهما فعل قبيح ، قال عطاء بن أبى رباح : لا تنفض يديك عليهما ، ولما نهاه عن الفعل القبيح والقول السيء أمره بالفعل الحسن والقول الحسن فقال : ﴿ وقل لهما قولا كريما ﴾ أى لينا لطيفا بأدب وتوقير . وقوله : ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ﴾ أى تواضع لهما ﴿ وقل رب ارحمهما ﴾ فى كبرهما وعند وفاتهما ﴿ كما ربيانى صغيراً ﴾ .

وفى هذه الآيات المحكمات من سورة الإسراء ثمان عشرة مسألة ، بدأها الله بقوله : ﴿ لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا ﴾ وختمها بقوله : ﴿ ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحوراً ﴾ ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله : ﴿ ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ﴾ .

قاله المصنف رحمه الله تعالى (والمسائل التى أشار إليها الشيخ :

(١) النهى عن الشرك (٢) الأمر بعبادة الله وحده (٣) الإحسان إلى الوالدين (٤) إيتاء ذا القربى حقه (٥) إيتاء المسكين حقه (٦) إيتاء ابن السبيل حقه (٧) النهى عن التبذير (٨) النهى عن الإمساك بدون إسراف (٩) النهى عن قتل الأولاد (١٠) النهى عن الزنى (١١) النهى عن قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق (١٢) النهى عن قربان مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن (١٣) الأمر بالوفاء بالعهد (١٤) الأمر بالوفاء بالكيل (١٥) الأمر بالوفاء بالوزن (١٦) النهى عن القول بغير علم (١٧) النهى عن المشى فى الأرض مرحاً (١٨) النهى عن الشرك)

وقد تواترت الأحاديث عن النبى ﷺ فى الأمر ببر الوالدين وتحريم عقوقهما ، وفى صحيح البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قلت يا رسول الله : أى الأعمال أفضل قال : « الصلاة على وقتها » . قلت : ثم أى ، قال : « بر الوالدين » قلت : ثم أى ، قال : « الجهاد فى سبيل الله » . وفى الصحيحين عن أبى بكرة رضى الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » قلنا بلى يا رسول الله . قال : « الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين » وكان متكئا فجلس =

وَلاَ تُشرِكُوا بِهِ شَيئاً ﴾[1] الآية . وقوله : ﴿ قُل تعَالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكم عليكم أَنْ لا تَشْرِكوا بِهِ شيئاً ﴾[2] الآيات .

= فقال : « ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « ثم أباك » أخرجاه . وعن أبي أسيد الساعدى رضى الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال : يا رسول الله : هل بقى من بر أبوى شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال : « نعم : الصلاة عليهما » يعنى الدعاء لها والاستغفار لها وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما . رواه أبو داود وابن ماجة وابن حبان فى صحيحه . قال شيخ الإسلام : تجب طاعتهما فيما فيه نفع لها ولو شق على الولد

(١) وقوله تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ الآية . قال ابن كثير : يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له فإنه الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه فى جميع الحالات ، فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته ، وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة فقرن الأمر بعبادته بالنهى عن الشرك فيها فدل على أن اجتناب الشرك شرط فى صحة العبادة وشيئاً نكرة فى سياق النهى تعم كل شيء مما يعبد من دون الله ، سواء كان ملكا أو نبياً أو ولياً أو غير ذلك . وهذه الآية تسمى آية الحقوق العشرة ، قاله المصنف رحمه الله تعالى : لأنها تضمنت عشرة حقوق : (١) الأمر بعبادته وحده والنهى عن الشرك به (٢) الأمر بالإحسان إلى الوالدين (٣) الإحسان إلى ذى القربى (٤) الإحسان إلى اليتامى (٥) الإحسان إلى المساكين (٦) الإحسان إلى الجار القريب (٧) الإحسان إلى الجار الجنب (٨) الإحسان إلى الصاحب بالجنب ، وهو الرفيق فى السفر ، وقيل المرأة وقيل غير ذلك (٩) الإحسان إلى ابن السبيل (١٠) الإحسان إلى ما ملكت اليمين .

(٢) وقوله تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ، =

= ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفساً إلا وسعها ، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذالكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ . قال ابن كثير : يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله وحرموا ما رزقهم الله وقتلوا أولادهم وكل ذلك فعلوه بآرائهم الفاسدة وتسويل الشيطان لهم تعالوا أى هلموا وأقبلوا أتل أى أقص عليكم وأخبركم بما حرم ربكم عليكم حقاً ، لا تخرصا ولا ظنا بل وحى منه وأمر من عنده وأن لا تشركوا به شيئاً ، وكأن فى الكلام محذوفا دل عليه السياق تقديره وصاكم أن لا تشركوا به شيئاً ، ولهذا قال فى آخر الآية : ﴿ ذلكم وصاكم به ﴾ انتهى وشيئاً نكرة تعم كل ما عبد من دون الله والنهى عن الشرك يستدعى التوحيد بالاقتضاء وهو الشاهد من الآية للترجمة قال فى « قرة العيون » وقد وقع الأكثر من متأخرى هذه الأمة فى هذا الشرك الذى هو أعظم المحرمات كما وقع فى الجاهلية قبل المبعث عبدوا القبور والمشاهد والأشجار والأحجار والطواغيت والجن كما عبد أولئك اللات والعزى ومناة وهبل وغيرها من الأصنام والأوثان واتخذوا هذا الشرك ديناً ونفروا إذا دعوا إلى التوحيد أشد النفرة وأشتد غضبهم لمعبوداتهم كما قال تعالى : ﴿ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون . وقال تعالى : ﴿ أنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ﴾ الآية . علموا أن لا إله إلا الله تنفى الشرك الذى وقعوا فيه فأنكروا التوحيد الذى دلت عليه فصار أولئك المشركون الأولون أعلم بمعنى لا إله إلا الله من أكثر المتأخرين لا سيما أهل العلم منهم الذين لهم دراية فى بعض الأحكام وعلم الكلام ، فجهلوا توحيد العبادة فوقعوا فى الشرك المنافى له وزينوه للناس ، وجهلوا توحيد الأسماء والصفات وأنكروه أيضاً وصنفوا فيه الكتب لاعتقادهم أنه حق وهو باطل وقد اشتدت غربة الإسلام حتى عاد المعروف منكرا والمنكر معروفا نشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير . وقد قال ﷺ : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ » . =

= وقوله : ﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾ . قال القرطبي : الإحسان إلى الوالدين برهما وامتثال أمرهما وحفظهما وصيانتهما وإزالة الرق عنهما وترك السلطنة عليهما وإحسانا منصوب على المصدرية وناصبه فعل من لفظه تقديره وأحسنوا بالوالدين إحسانا .

وقوله : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ﴾ الإملاق الفقر ، أى لا تئدوا بناتكم خشية العيلة والفقر ، فإنى رازقكم وإياهم ، وكأن منهم من يفعل ذلك بالإناث خشية العار وبالذكور خشية الافتقار ، وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ، قلت : يا رسول الله أى الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » . قلت : ثم أى ؟ قال : « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » . قلت : ثم أى ، قال : « أن تزانى حليلة جارك » ثم تلى رسول الله ﷺ : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب ﴾ الآية

وقوله : ﴿ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ قال ابن عطية : نهى عام عن جميع الفواحش وهى المعاصى . وظهر وبطن حالتان تستوفيان أقسام ما جعلتا له من الأشياء . وقيل : الظاهر ما بينك وبين الخلق والباطن ما بينك وبين الله .

قوله : ﴿ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ﴾ . قال ابن كثير : هذا مما نص الله على النهى عنه تأكيداً ، وإلا فهو داخل فى النهى عن الفواحش . وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

وقوله : ﴿ ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ﴾ قال ابن عطية : ذلكم إشارة إلى هذه المحرمات والوصية الأمر المؤكد المقرر .

وقوله : ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ أى تفهمون عنه ذكراً ولا تعقلون ، ثم تذكرون ثم تتقون لأنهم إذا عقلوا تذكروا فإذا تذكروا خافوا واتقوا المهالك . =

= وقوله ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ﴾ قال ابن عطية : هذا نهى عن القرب الذى يعم وجوه التصرف ، وفيه سد الذريعة ثم استثنى ما يحسن وهو التثمير والسعى فى نمائه . قال مجاهد : التى هى أحسن التجارة فيه فمن كان من الناظرين له ما يعيش به فالأحسن إذا ثمر مال اليتيم أن لا يأخذ منه نفقة ولا أجرة ولا غيرهما ، ومن كان من الناظرين لا مال له ولا يتفق له نظر إلا بأن ينفق على نفسه من ربح نظره فالأحسن أن ينظر ويأكل بالمعروف . قال ابن زيد : وقوله : حتى يبلغ أشده قال مالك وغيره هو الرشد وزوال السفه مع البلوغ . قال ابن عطية : وهو أصح الأقوال وأليقها بهذا الموضع ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ﴾ فاشترط للدفع إليهم ثلاثة شروط : الأول : ابتلاؤهم وهو اختبارهم وامتحانهم بما يظهر به معرفتهم لمصالح أنفسهم وتدبير أموالهم ، والثانى : البلوغ ، والثالث : الرشد

وقوله : ﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ﴾ والقسط العدل ﴿ لا نكلف نفساً إلا وسعها ﴾ أى من اجتهد فى أداء الحق وأخذه فأخطأ بعد استفراغ وسعه وبذل جهده فلا حرج عليه

وقوله : ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ﴾ هذا أمر بالعدل فى القول والفعل على القريب والبعيد لا يتغير بالرضى والغضب

وقوله : ﴿ وبعهد الله أوفوا ﴾ قال ابن جرير وغيره وبوصية الله التى وصاكم بها فأوفوا . قال فى الشرح : والظاهر أن الآية فيما هو أخص كالبيعة والذمة والأمان ، فهذا هو المقصود بالآية ، وإن كانت شاملة لما قالوا بطريق العموم

وقوله : ﴿ ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾ أى تتعظون فتنتهوا عما كنتم عليه

وقوله : ﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ لما نهى وأمر حذر عن اتباع غير سبيله ، وأمر باتباع طريقه فإن الصراط الطريق الذى هو دين الإسلام مستقيما ومعناه مستويا قويماً لا اعوجاج فيه فأمر باتباع طريقه الذى طرقه وشرعه على لسان محمد ﷺ ونهايته الجنة ، =

= ونهى عن اتباع السبل ، وروى الإمام أحمد والنسائى والدارمى وابن أبى حاتم والحاكم وصححه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال :«هذا سبيل الله مستقيما» ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال : «وهذه سبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه» ، ثم قرأ : ﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ . قال شيخ الإسلام على حديث ابن مسعود هذا . وإذا تأمل العاقل هذا المثال وتأمل سائر الطوائف من الخوارج ، ثم المعتزلة ، ثم الجهمية والرافضة ومن أقرب منهم إلى السنة من أهل الكلام مثل الكرامية والكلابية والأشعرية وغيرهم ، وأن كلا منهم له سبيل يخرج به عما عليه الصحابة وأهل الحديث ، ويدّعى أن سبيله هو الصواب وجد أنهم المراد بهذا المثال الذى ضربه المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى . انتهى . وقال أيضاً : الصراط المستقيم هو أمور باطنة فى القلب من اعتقادات وإرادات وغير ذلك ، وأمور ظاهرة من أقوال وأفعال قد تكون عبادات وقد تكون أيضاً عادات فى الطعام واللباس والنكاح والمسكن والاجتماع والافتراق والسفر والإقامة وغير ذلك ، وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ـ ولا بد ـ ارتباط ومناسبة انتهى . وقال ابن القيم رحمه الله ولنذكر فى الصراط قولا وجيزا ، فإن الناس قد تنوعت عباراتهم عنه بحسب صفاته ومتعلقاته وحقيقته شىء واحد وهو طريق الله الذى نصبه لعباده موصلا لهم إليه ولا طريق إليه سواه وهو إفراده بالعبادة وإفراد رسوله بالطاعة ، فلا يشرك به أحداً فى عبادته ولا يشرك برسوله أحداً فى طاعته فيجرد التوحيد ويجرد متابعة الرسول ﷺ ، وهذا مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فأى شىء فسر به الصراط فهو داخل فى هذين الأصلين انتهى . وعن مجاهد فى قوله : ﴿ ولا تتبعوا السبل ﴾ قال البدع والشبهات ، رواه ابن جرير . قال سهل بن عبد الله : عليكم بالسنة والأثر فإنى أخاف أنه سيأتى عن قليل زمان إذا ذكر الإنسان النبى ﷺ فى جميع أحواله ذموه ونفروا عنه وتبرءوا منه وأذلوه وأهانوه

وفيه عظم شأن الثلاث الآيات المحكمات من سورة الأنعام عند السلف وفيها عشر مسائل قاله المصنف =

قال ابنُ مسعودٍ [١] : « من أَرَادَ أَن يَنظُرَ إلى وَصِيَّة محمد ﷺ الَّتِى عليها خَاتَمُهُ فَلْيَقْرَأْ قوله تعالى ﴿ قُل تعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيكُم أن لا تشرِكُوا بِهِ شيئاً ـ إلى قوله ـ وَأَنَّ هَذا صِرَاطِى مُستَقِيماً ﴾ الآية [٢] » .

وعن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ [٣] رضى الله عنه قَال : كُنتُ رَدِيفَ

═ قلت : بل فيها أحد عشر مسألة (١) النهى عن الشرك (٢) الإحسان إلى الوالدين (٣) النهى عن قتل الأولاد (٤) النهى عن قربان الفواحش (٥) النهى عن قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق (٦) النهى عن قربان مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن (٧) الأمر بالوفاء بالكيل والوزن (٨) الأمر بالعدل فى القول (٩) الأمر بالوفاء بالعهد (١٠) الأمر باتباع الصراط المستقيم (١١) النهى عن اتباع السبل .

(١) قوله : (قال ابن مسعود) وهو عبد الله بن مسعود بن غافل ـ بمعجمة وفاء ـ ابن حبيب الهذلى أبو عبد الرحمن صحابى جليل من السابقين الاولين وأهل بدر وأحد والخندق وبيعة الرضوان ، ومن كبار علماء الصحابة ، أمره عمر على الكوفة ، مات سنة اثنتين وثلاثين رضى الله عنه

(٢) قوله (من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التى عليها خاتمه ـ يعنى التى النبى ﷺ كتبها وختمها فلم تغير ولم تبدل ـ فاليقرأ قوله تعالى ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ﴾) إلى آخر الآيات الثلاث

وهــذا الأثر رواه الترمذى وحسنه ، وابن المنذر وابن أبى حاتم بنحوه ، وليس المراد أن النبى ﷺ كتبها وختم عليها ، وإنما المراد أنه ﷺ لو أوصى لما أوصى إلا بما أوصى به ربه فى كتابه ، كما قال ﷺ فيما رواه مسلم « وإنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله »

وفيه التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته ، قاله المصنف رحمه الله

(٣) قوله (وعن معاذ بن جبل) بن عمرو بن أوس الأنصارى الخزرجى ═

النبيّ ﷺ على حمار [(١)] فقال لى « يا مُعاذ أتدرى ما حقُّ الله على العباد وما حقُّ العباد على الله » ؟ [(٢)] فقلت : الله ورسوله أعلم [(٣)] قال : « حقُّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا [(٤)] ، وحقُّ العباد

= أبو عبد الرحمن صحابي مشهور من أعيان الصحابة رضى الله عنه ، شهد بدراً ، وما بعدها . قال النبي ﷺ : « معاذ أعلم أمتى بالحلال والحرام » كان اليه المنتهى فى العلم والأحكام والقرآن ، بعثه النبى ﷺ إلى اليمن معلماً ومفقها ، وقد استخلفه النبى ﷺ على أهل مكة يوم الفتح يعلمهم دينهم . مات سنة ثمان عشرة بالشام

(١) قوله (كنت رديف النبى ﷺ على حمار) فى رواية اسمه عفير أهداه له المقوقس صاحب مصر ، قاله فى فتح المجيد

وفيه فضيلة معاذ إرداف النبى ﷺ له خلفه ، وجواز الإرداف على الدابة إذا كانت تطيق ذلك وتواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه ، قاله المصنف رحمه الله

(٢) قوله (فقال لى يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله ؟) . أخرج السؤال بصيغة الاستفهام ليكون أوقع فى النفس وأبلغ فى الفهم ، فإن الإنسان إذا سئل عن مسئلة لا علم له بها ثم أخبر عنها بعد الامتحان بالسؤال يكون أدعى لفهمها وحفظها . « والدراية » المعرفة

وفيه جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٣) قوله (فقلت : الله ورسوله أعلم)

وفيه قول المسئول عما لا يعلم : الله ورسوله أعلم ، قاله المصنف رحمه الله . وهذا فى حياة الرسول ﷺ وفيه حسن الأدب من المتعلم وأنه ينبغى لمن سئل عما لا يعلم أن يقول ذلك بخلاف أكثر المتكلفين قاله فى « فتح المجيد »

(٤) قوله (قال حق الله على العباد أن يعبدوه) أى يوحدوه (ولا يشركوا به شيئا) وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة فنفى الشرك أكبره وأصغره شرط فى صحة العبادة وشيئا نكرة فى سياق النهى تعم كل شئ مما يعبد من دون الله =

على الله أن لا يعذِّبَ من لا يشركُ به شيئا »[1] . قلت : « يا رسول

= وفى بعض الآثار الإلهية يقول الله تعالى إنى والجن والإنس فى نبأ عظيم ، أخلق ويُعبد غيرى ، وأرزق ويُشكر سواى ، خيرى إلى العباد نازل ، وشرهم إلىّ صاعد ، أتحبب إليهم بالنعم ويتبغضون إلىّ بالمعاصى .

وفيه معرفة حق الله علينا قاله المصنف رحمه الله تعالى هذا الحق أشار العلامة ابن القيم رحمه الله بقوله :

حق الإله عبادة بالأمر لا … بهوى النفوس فذاك للشيطان
من غير إشراك به شيئا هما … سببا النجاة فحبذا السببان
لم ينج من غضب الإله وناره … إلا الذى قامت به الأصلان
والناس بعـــد فمشرك بإلاهه … أو ذو ابتداع أو له الوصفان

(١) قوله (وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا) اقتصر على نفى الشرك لأنه يستدعى التوحيد بالاقتضاء وإثبات الرسالة باللزوم إذ من كذب رسول الله فقد كذب الله ومن كذب الله فهو مشرك كقول القائل من توضأ صحت صلاته ، أى مع سائر الشروط ، قاله الحافظ بن حجر . وهذا الحق هو الذى أحقه تعالى على نفسه كرما منه وفضلا ومعناه أنه متحقق لا محالة لأنه قد وعدهم ذلك جزاء على توحيده ، وعد الله ، لا يخلف الله وعده ، وليس على الله حق واجب بالعقل كما تقول المعتزلة ولذا قيل :

ما للعباد عليه حق واجب … كلا ولا سعى لديه ضايع
إن عذبوا فبعدله ، أو نعموا … فبفضله وهو الكريم المواسع

قال شيخ الإسلام وهذا الحق هو استحقاق إنعام وفضل ليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق فمن الناس من يقول لا معنى للاستحقاق إلا أنه أخبر بذلك ووعده صدق ولكن أكثر الناس يثبتون استحقاقا زائدا على هذا كما دل عليه الكتاب والسنة ، قال تعالى ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ وكما فى حديث معاذ هذا ، ولكن أهل السنة يقولون : هو الذى كتب على نفسه الرحمة =

الله أفلا أُبشِّر الناس ؟ قال لا تبشّرهم « فيتّكلوا [١] » . وأخرجاه فى الصحيحين [٢]

= وأوجب هذا الحق على نفسه ولم يوجبه عليه مخلوق ، والمعتزلة يدعون أنه واجب عليه بالقياس على المخلوق وأن العباد هم الذين أطاعوه بدون أن يجعلهم له وأنهم مطيعين يستحقون الجزاء بدون أن يكون هو الموجب وغلطوا فى ذلك وفيه معرفة حق العباد على الله إذا أدوا حقه ، قاله المصنف

(١) قوله (قلت يا رسول الله ، أفلا أبشر الناس ؟ قال : « لا تبشرهم فيتكلوا ») . وفى رواية : « إنى أخاف أن يتكلوا » ـ أى يعتمدوا على ذلك ـ فيتركوا التنافس فى الأعمال الصالحة . وفى رواية فأخبر بها معاذ عند موته تأثما ـ أى تحرجا ـ خوفا من الإثم .

وفيه أن هذه المسئلة لا يعرفها أكثر الصحابة ، وعظم شأن هذه المسئلة وجواز كتمان العلم للمصلحة واستحباب بشارة المسلم بما يسره ، وفيه ما كان عليه الصحابة من الاستبشار بمثل هذا والخوف من الاتكال على سعة رحمة الله ، قاله المصنف رحمه الله

(٢) قوله (أخرجاه) أى البخارى وهو محمد بن اسمعيل بن ابراهيم الجعفى مولاهم الحافظ صاحب : الصحيح والتاريخ والادب المفرد ، روى عن الإمام أحمد والحميدى وابن المدينى وغيرهم ، وعنه مسلم والنسائى والترمذى والفربرى راوى الصحيح ولد سنة أربع وستين ومائة ومات سنة ست وخمسين ومائتين ، ومسلم هو ابن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى صاحب الصحيح والعلل والوحدان روى عن أحمد بن حنبل ويحى بن معين وأبى خيثمة وابن أبى شيبة وطبقتهم وعن البخارى وعنه الترمذى وابراهيم بن محمد بن سفيان راوى الصحيح ولد سنة أربع ومائتين ومات سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور . رحمهما الله تعالى

٢ - باب

فضلِ التوحيد[1] وما يُكفِّر من الذُّنوب[2]

وقولِ الله تعالى ﴿الذين آمنوا ولم يَلبِسُوا إيمانَهم بظلم﴾ الآية[3]

---

(١) قوله (باب فضل التوحيد) إنما بوبت الكتب ليكون أنشط للطالب إذا ختم بابا وشرع فى آخر، وأبعث لهمته كالمراحل التى يطلبها المسافر ليرتاح عندها ولذا كان القرآن سوراً ولأنه أسهل فى وجدان المسائل وأدعى لحسن الترتيب وسميت الأبواب تراجم لأنها تترجم عما بعدها أى تبينه بوجه إجمالى ومنه الترجمان لما ذكر الشيخ رحمه الله تعالى التوحيد ناسب أن يذكر فضلة ترغيبا فيه والمراد بالتوحيد توحيد العبادة قاله فى قرة العيون

(٢) قوله (وما يكفر من الذنوب) يحتمل أن تكون ما موصولة والعائد محذوف أى وبيان الذى يكفره من الذنوب، وأن تكون مصدرية أى وتكفيره الذنوب وهذا أظهر لأن كونها موصولة يوهم أن هناك ذنوباً لا يكفرها التوحيد وهذا ليس بمراد

(٣) قوله (وقول الله تعالى ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾) ومعنى آمنوا وحدوا وقوله (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) أى لم يخلطوا توحيدهم بشرك (أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) قال الحسن والكلبى لهم الأمن فى الآخرة (وهم مهتدون) فى الدنيا وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: لما نزلت ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه قال النبى ﷺ: «إنه ليس الذى تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح ﴿يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ إنما هو الشرك». قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى. والذين شق عليهم ظنوا أن الظلم المشروط هو ظلم العبد لنفسه، وأنه لا أمن ولا اهتداء إلا لمن لم يظلم نفسه، فبين لهم النبى ﷺ ما دلهم على أن الشرك ظلم فى كتاب الله فلا يحصل الأمن والاهتداء إلا لمن لم يلبس إيمانه بهذا الظلم فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة يعنى: الظلم الذى هو الشرك، وظلم العباد، وظلمه لنفسه بما دون الشرك، كان له الأمن التام والاهتداء التام، ومن لم يسلم =

= من ظلم نفسه كان له الأمن والاهتداء مطلقا ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه لنفسه ، قال : وليس مراد النبي ﷺ بقوله « إنما هو الشرك » أن من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن التام والاهتداء التام فإن أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبائر معرضون للخوف لم يحصل لهم الأمن التام والاهتداء التام فالأمن أمنان : أمن مطلق ، وأمن مقيد . فالأول هو الأمن من العذاب وهو لمن مات على التوحيد ولم يصر على الكبائر ، الثاني لمن مات على التوحيد مع الإصراء على الكبائر فله الأمن من الخلود فى النار ففرق بين الأمن المطلق ومطلق الأمن

وقوله إنما هو الشرك إن أراد به الأكبر فمقصوده أن من لم يكن من أهله فهو آمن مما وعد به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة وهو مهتد إلى ذلك ، وإن كان مراده حبس الشرك فيقال ظلم العبد لنفسه كبخله لحب المال ببعض الواجب هو شرك أصغر ، وحبه ما يبغض الله حتى يقدم هواه على محبة الله شرك أصغر ، ونحو ذلك فهذا فاته من الأمن والاهتداء بحسبه ، ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب فى هذا الظلم بهذا الاعتبار . وقال أيضا : وهذه آية عظيمة تنفع المؤمن الحنيف فى مواضع فإن الإشراك فى هذه الأمة أخفى من دبيب النمل ، وكثير من المتفقهة وأجناد الملوك وأتباع القضاة والعامة المتبعة لهؤلاء يشركون شرك الطاعة فيجعل الواجب ما أوجبه متبوعه والحرام ما حرمه متبوعه والحلال ما حلله متبوعه والدين ما شرعه إما دينا وإما دنيا وإما دينا ودنيا ، ثم يخوف من امتنع من هذا الشرك وهو لا يخاف أنه أشرك بالله شيئا فى طاعته بغير سلطان انتهى

وفيه سعة فضل الله وكثرة ثواب التوحيد عند الله وتكفيره مع ذلك للذنوب ومعرفة تفسير آية الأنعام ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) **قوله** (عن عبادة بن الصامت) بن قيس الأنصارى الخزرجى أبو الوليد أحد النقباء ، بدرى مشهور مات سنة أربع وثلاثين وله اثنتان وسبعون سنة رضى الله عنه

« من شهـــــــــــــــد أن لا إِلٰهَ إلاّ اللهُ [1] »

قال (قال رسول الله ﷺ « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل . أخرجاه) قال النووى هذا حديث عظيم جليل الموقع وهو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد جمع فيه ما يخرج من ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وما يباين به جميعهم انتهى .

(١) قوله (من شهد أن لا إله إلا الله) أى تكلم بهذه الكلمة العظيمة عارفاً لمعناها من أنه لا معبود بحق إلا الله عاملا بمقتضاها باطنا وظاهراً كما دل عليه قوله ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ وقوله ﴿ إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾ أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها فإن ذلك غير نافع ، يدل على هذا قوله : من شهد كيف يشهد وهو لا يعلم

قال القرطبي فى المفهم على صحيح مسلم باب « لا يكفى التلفظ بالشهادتين بل لابد من استيقاء القلب » هذه الترجمة تنبيه على فساد مذهب غلاة المرجئة القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كاف فى الإيمان . وأحاديث هذا الباب يعنى التى ذكرها مسلم تدل على فساده بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها ، ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح وهو باطل قطعا انتهى .

وقال شيخ الإسلام : الإله هو المعبود المطاع فإن الإله هو المألوه ، والمألوه هو الذى يستحق أن يعبد ، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التى تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع . قال : فإن الإله هو المحبوب المعبود الذى تألهه القلوب بحبها وتخضع له وتذل له وتخافه وترجوه وتنيب إليه فى شدائدها وتدعوه فى مهماتها وتتوكل عليه فى مصالحها وتلجأ اليه وتطمئن بذكره وتسكن إلى حبه وليس ذلك إلا لله وحده ، ولهذا كانت : لا إله إلا الله أصدق الكلام ، وكان أهلها أهل الله وحزبه ، والمنكرون لها أعداءه وأهل غضبه ونقمته فإذا صحت صح بها كل مسئلة وحال وذوق وإذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له فى علومه وأعماله انتهى .

وحدَه[١] لا شريكَ له ، وأنّ محمدًا عبدُه ورسوله[٢] ، وأن عيسى

وقال الزمخشرى : الإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق . وقال ابن القيم فى بدائع الفوائد رداً لقول من قال إن المستثنى مخرج من المستثنى منه ، قال : بل هو مخرج من المستثنى منه وحكمه ، فلا يكون داخلا فى المستثنى إذ لو كان كذلك لم يدخل الرجل فى الإسلام بقوله لا إله إلا الله لأنه لم يثبت الإلهية لله تعالى وهذه أعظم كلمة تضمنت بالوضع نفى الإلهية عما سوى الله وإثباتها له بوصف الاختصاص فدلالتها على إثبات الإلهية أعظم من دلالة قولنا الله إله ولا يستريب أحد فى هذا البتة انتهى بمعناه

وأما من زعم أن الإله القادر على الاختراع أو الغنى عما سواه الفقير إليه كلما عداه ونحو ذلك فهذا من لوازم الإلهية وليس هو المراد بمعنى لا إله إلا الله لأن معناها لامعبود بحق إلا الله فما أجهل عباد القبور وما أعظم ما وقعوا فيه من الشرك المنافى لكلمة الإخلاص : لا إله إلا الله فإن مشركى العرب جحدوا لا إله إلا الله لفظاً ومعنىً ، وهؤلاء المشركون أقروا بها لفظا وجحدوها معنىً

(١) وقوله (وحده) تأكيد للإثبات ، (لا شريك له) تأكيد للنفى

(٢) وقوله (وأن محمدا عبده ورسوله) أى وشهد أن محمدا عبده ورسوله وهو معطوف على ما قبله على نية تكرار العامل ، والعبد هنا المملوك العابد أى مملوك الله تعالى وليس له من الربوبية والإلهية شئ . فقوله (عبده ورسوله) أعلى مراتب العبد العبودية الخاصة والرسالة ، والنبى ﷺ أكمل الخلق فى هاتين الصفتين الشريفتين وجمعهما فى حقه ﷺ دفعا للإفراط والتفريط فإن كثيرا ممن يدعى أنه من أمته أفرط بالغلوّ فيه قولا وفعلا وفرط بترك متابعته واعتمد على الآراء المخالفة لما جاء به وتعسف فى تأويل أخباره بصرفها عن مدلولها والصدف عن الانقياد لها مع انطراحها

وشهادة أن محمداً رسول الله تقتضى طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما عنه نهى وزجر وأن لايعبد الله إلا بما شرع وأن يعظم أمره ونهيه ولا يقدم عليه قول أحد كائناً من كان

عبدُ الله ورسوله [١] وكلمتُه [٢] ألقـاها إلى مريمَ [٣] ورُوحٌ منه [٤] ،

قوله (وأن عيسى عبد الله ورسوله) وفى رواية وابن أمته ، فقوله عبد الله رد على النصارى القائلين بأنه الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ﴾

(١) وقوله (ورسوله) رد على اليهود القائلين بأنه ولد بغى لعنهم الله . قال القرطبي : يستفاد من هذا الحديث ما يلقنه النصرانى إذا أسلم

(٢) قوله (وكلمته) قال الإمام أحمد رحمه الله : إنما سمى عيسى عليه السلام كلمة الله لصدوره بكلمة كن بلا أب ، وكان عيسى بكن ، وليس عيسى هو كن ولكن بكن كان ، فكن من الله قول وليس كن مخلوقا ، وكذب النصارى والجهمية على الله فى أمر عيسى وذلك أن الجهمية قالت : عيسى روح الله وكلمته إلا أن الكلمة مخلوقة ، وقالت النصارى عيسى روح الله من ذات الله وكلمة الله من ذاته

(٣) وقوله (ألقاها إلى مريم) أى أرسل بها جبريل عليه السلام إليها فنفخ فيها من روحه بإذن الله فجبريل نفخ والله خلق بقول كن فكان فسبحان من لا يخلق غيره ولا يعبد سواه

(٤) قوله (وروح منه) يقول من أمره كان الروح فيه ، وقال أبى بن كعب : عيسى روح من الأرواح التى خلقها الله واستنطقها بقوله ﴿ ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ﴾ قال الحافظ ابن حجر ووصفه بأنه منه ، فالمعنى أنه كائن منه كما فى قوله ﴿ وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ﴾ كما أن معنى الآية الأخرى أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه أى أنه مكون ذلك وموجده بقدرته وحكمته . قال شيخ الإسلام : المضاف إلى الله تعالى إذا كان معنى لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات وجب أن يكون صفة لله تعالى قائمة به وامتنع أن تكون إضافتها إضافة مخلوق مربوب وإذا كان المضاف عينا قائمة بنفسها كعيسى وجبريل عليهما السلام وأرواح بنى آدم امتنع أن تكون صفة لله تعالى لأن ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره ، لكن الأعيان المضافة إلى الله تعالى على وجهين أحدهما أن تضاف =

وأن الجنةَ حقٌّ والنار حقٌّ[1] ، أدخله اللهُ الجنةَ على ما كان من العمل[2] » أخرجاه .[3]

= إليه لكونه خلقها وأبدعها فهذا شامل لجميع المخلوقات كقولهم : سماء الله وأرض الله لجميع المخلوقين عبيداً لله وجميع المال مال الله . الوجه الثانى أن تضاف اليه لما خصها به من معنى يحبه ويأمر به ويرضاه . كما خص البيت العتيق بعبادة فيه لا تكون فى غيره ، وكما يقال فى مال الخمس والفئ مال الله ورسوله ، ومن هذا الوجه فعباد الله هم الذين عبدوه وأطاعوا أمره فهذه إضافة تتضمن ألوهيته وشرعه ودينه ، وتلك إضافة تتضمن ربوبيته وخلقه انتهى ملخصا

(١) وقوله (والجنة حق والنار حق) ، أى وشهد أن الجنة حق لا شك فيها وأنها موجودة الآن لأن الله أخبر فى كتابه بأنه أعدها لمن آمن به وبرسله ، قال تعالى ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ وشهد أن النار حق وأنها موجودة الآن أعدها للكافرين كما قال تعالى ﴿ واتقوا النار التى أعدت للكافرين ﴾ ولحديث محاجة الجنة والنار وغير ذلك من النصوص الدالة على وجودهما

وفيه الإيمان بالمعاد

(٢) قوله (أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) هذه الجملة جواب الشرط فى قوله « من شهد أن لا إله إلا الله » الخ . وفى رواية أدخله الله من أى أبواب الجنة الثمانية شاء . قال الحافظ بن حجر معنى قوله على ما كان من العمل من صلاح أو فساد لأن أهل التوحيد لا بد لهم من دخول الجنة ويحتمل أن يكون معنى قوله على ما كان من العمل أن يدخل الجنة أهل الجنة على حسب أعمالهم فى الدرجات

قال المصنف تأمل الخمس اللواتى فى حديث عبادة وإذا جمعت بينه وبين حديث عتبان تبين لك معنى قول لا إله إلا الله وتبين لك خطأ المغرورين وتأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدى الله ورسوليه ومعرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله ومعرفة كونه روحا منه ومعرفة فضل الإيمان بالجنة والنار ومعرفة قوله على ما كان من العمل

(٣) قوله (أخرجاه) ، أى البخارى ومسلم

ولهما فى حديث عِتْبان[1] « فإنَّ اللهَ حرَّم على النار من قال لا إلٰهَ إلا اللهُ يبتغى بذلك وجهَ الله »[2]

---

(١) قوله (ولهما) أى البخارى ومسلم (فى حديث عتبان) ـ بكسر العين بعدها مثناة فوقية ثم موحدة ـ ابن مالك بن عمرو بن العجلان الأنصارى من بنى سالم بن عوف ، صحابى مشهور مات فى خلافة معاوية رضى الله عنه

(٢) قوله (فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله) وهذا طرف من حديث طويل أخرجه البخارى ومسلم ورواه أيضا أحمد والنسائى وابن ماجه والبيهقى فى « الأسماء والصفات » اختصره المصنف وذكر منه ما يناسب الترجمة

وفيه التنبيه للشرط الذى فى حديث عتبان ومعرفة ذكر الوجه ، قاله المصنف رحمه الله

واعلم أنه قد وردت أحاديث ظاهرها أن من أتى بالشهادتين حرمه الله على النار كحديث عتبان هذا وحديث أنس قال كان النبى ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل فقال يامعاذ ، قال لبيك وسعديك ، قال يامعاذ قال لبيك وسعديك ، قال يامعاذ قال لبيك وسعديك ثلاثا ، قال « ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار » الحديث أخرجاه ولمسلم عن عبادة مرفوعا « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله حرمه الله على النار

ووردت أحاديث فيها أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة وليس فيها أنه يحرم على النار منها حديث عبادة الذى تقدم قبل هذا وحديث أبى هريرة أنهم كانوا مع النبى ﷺ فى غزوة تبوك ، وفيه فقال رسول الله ﷺ « أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله لايلقى الله عبد بهما غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة » الحديث رواه مسلم . وحديث أبى ذر فى الصحيحين مرفوعا « ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة » الحديث

وأحسن ما قيل فى ذلك ما قاله شيخ الإسلام وغيره أن هذه الأحاديث إنما هى فمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة بقوله ، وقالها خالصا من قلبه مستيقنا بها قلبه غير شاك فيها بصدق ويقين فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله =

= تعالى جملة فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصا من قلبه دخل الجنة لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحا فاذا مات على تلك الحال قال ذلك فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة وما يزن خردلة وما يزن ذرة وتواترت بأن كثيرا ممن يقول لا إله إلا الله يدخل النار ثم يخرج منها وتواترت بأن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله ، وتواترت بأن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال وأكثر من يقولها لايعرف الإخلاص وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليدا أو عادة ولم تخالط حلاوة الإيمان بشاشة قلبه وغالب من يفتن عند الموت وفى القبور أمثال هؤلاء كما فى الحديث سمعت الناس يقولون بشاء فقلته وغالب أعمال هؤلاء إنما تقليد واقتداء بأمثالهم وهم من أقرب الناس من قوله تعالى ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾

وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث لأنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن فى هذه الحال مصراً على ذنب أصلا فان كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب اليه من كل شئ ، فاذا لا يبقى فى قلبه إرادة لما حرم الله ولا كراهة لما أمر الله وهذا هو الذى يحرم على النار . وإن كانت له ذنوب قبل ذلك فان هذا الإيمان والإخلاص والتوبة والمحبة واليقين لا يترك له ذنبا إلا محى كما يمحو الليل النهار فاذا قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الأكبر والأصغر فهذا غير مصرٍّ على ذنب أصلا فيغفر له ويحرم على النار وإن قالها على وجه خلص به من الشرك الأكبر دون الأصغر ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك فهذه الحسنة لا يقاومها شئ من السيآت فيرجح بها ميزان حسناته كما فى حديث البطاقة فيحرم على النار أيضا لكن تنقص درجته فى الجنة بقدر ذنوبه وهذا بخلاف من رجحت سيآته بحسناته ومات مصراً على ذلك فانه يستوجب النار . وإن قال لا إله إلا الله وخلص بها من الشرك الأكبر لكنه لم يمت على ذلك بل أتى بعد ذلك بسيآت رجحت على حسنة توحيده فأوهنت ذلك التوحيد والإخلاص فأضعفته ، وقويت نار الذنوب حتى أحرقت ذلك بخلاف المخلص المستيقن فان حسناته لاتكون إلا راجحة على سيآته =

عن أبي سعيد[1] الخُدرىّ رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « قال موسى : يا ربِّ علمنى شيئا أذكُرُكَ وأدعوكَ به ، قال : قلْ يا موسى لا إلهَ إلا الله . قال : يا ربِّ كلُّ عبادك يقولون هذا[2] . قال :

= ولا يكون مصراً على سيآته فان مات على تلك دخل الجنة . فمن قال لا إله إلا الله ولم يقم بموجبها بل اكتسب مع ذلك ذنوبا وسيآت وكان صادقا فى قولها موقنا بها لكن ذنوبه أضعفت صدقه ويقينه وانضاف إلى ذلك الشرك الأصغر العملى رجحت هذه الأشياء على هذه الحسنة وبات مصراً على الذنوب

والذين يدخلون النار ممن يقولها فاتهم أحد هذين الشرطين ، أما إنهم لم يقولوها بالصدق واليقين التامين المنافيين للسيآت أو لرجحان السيآت أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيآت رجحت على حسناتهم

(١) قوله (وعن أبى سعيد) سعد بن مالك بن سنان الأنصارى الخزرجى صحابى جليل وأبوه كذلك ، استصغر بأحد وشهد ما بعدها ، مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين وقيل سنة أربع وسبعين رضى الله عنه (عن رسول الله ﷺ قال قال موسى : يارب علمنى شيئا أذكرك) أى أثنى عليك وأحمدك به (وأدعوك) أى أتوسل (به) إليك إذا دعوتك (قال قل يا موسى لا إله إلا الله) فدل على أن هذه الكلمة العظيمة مشتملة على الذكر والدعاء وأن الذاكر يقولها كلها ولا يقتصر على ما تضمنته من الإثبات دون النفى ، ولا على لفظ الجلالة كما يفعله جهال المتصوفة ،ولا على الضمير كما يفعله غلاتهم فى قولهم « هو هو » فان ذلك بدعة وضلالة بل لا بد فى الذكر بها من الإتيان بما اشتملت عليه من النفى والإثبات فلا يكون النفى وحده ذكراً ولا توحيداً وكذلك الإثبات وحده لايكون ذكراً ولا توحيداً حتى يجمع فى قولها بين النفى والإثبات من متكلم واحد فلو قال بعضهم « لا إله » وقال الآخر « إلا الله »لم يكن ذلك ذكراً ولا توحيداً

(٢) قوله (قال كل عبادك يقولون هذا) بالجمع مراعاة لمعنى « كل » والذى فى الأصول يقول بالإفراد مراعاة للفظها دون معناها ، لكن قد روى الإمام أحمد =

يا موسى لو أنَّ السمٰواتِ السبعَ وعامِرَهنَّ . غيرى . والأرَضين السبع فى كِفَّةٍ ، ولا إلهَ إلّا اللهُ فى كِفَّة ، مالتْ بهِنّ لا إله إلا الله(٤) »

= عن عبد الله بن عمرو هذا الحديث بهذا اللفظ الذى ذكره المصنف أطول منه قاله فى الشرح وفى رواية النسائى والحاكم : إنما أريد شيئا تخصنى به

(٣) قوله (قال يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن) بالنصب عطفا على السموات أى من فيهن من العمار يعنى السكان (غيرى) أى غير الله تبارك وتعالى (والأرضين السبع) ومن فيهن من السكان وضعوا فى كفة بكسر الكاف وتشديد الفاء يعنى من كفتى الميزان (ولا إله إلا الله فى الكفة الأخرى مالت بهن لا إله إلا الله) أى رجحت عليهن ، لما اشتملت عليه من التوحيد الذى هو أفضل الأعمال وأساس الملة ورأس الأمر وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ أن نوحا عليه السلام قال لابنه عند موته : آمرك بلا إله إلا الله فان السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة رجحت بهن لا إله إلا الله ، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة فضمتهن لا إله إلا الله . فمن قالها بإخلاص ويقين وعمل بمقتضاها واستقام على ذلك فهو من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . ودل الحديث على أن لا إله إلا الله أفضل الذكر كحديث عبد الله بن عمر مرفوعا « خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير » رواه أحمد والترمذى وعنه أيضا « يصاح برجل من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر ، ثم يقال له أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتى الحافظون ؟ فيقول : لا يارب ، فيقال أفلك عذر أو حسنة فيهاب الرجل فيقول : لا ، فيقال بلى إن ذلك عندنا حسنة ، وإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله . فيقول : يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقال : إنك لا تظلم ، فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة » رواه الترمذى وحسنه والنسائى وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وقال الذهبى فى تلخيصه صحيح

رواه ابن حِبَّان والحاكم وصححه [١]. وللترمذي [٢] - وحسَّنه [٣] - عن أنَس [٤]: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول «قال اللهُ تعالى: يا ابنَ

قال ابن القيم رحمه الله فالأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب فتكون صورة العملين واحدة وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض، ومعلوم أن كل واحد له هذه البطاقة وكثير منهم يدخل النار بذنوبه

وفيه كون الأنبياء يحتاجون إلى التنبيه على فضل لا إله إلا الله، والتنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع أن كثيرا ممن يقولها يخف ميزانه والنص على أن الأرضين سبع كالسموات وأن لهن عمارا وفيه إثبات الصفات خلافاً للمعطلة ومعرفة أن الميزان له كفتان، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (رواه ابن حبان) وهو محمد بن حبان بكسر المهملة وتشديد الموحدة أبو حاتم التيمي البستي الحافظ صاحب التصانيف: كالصحيح والتاريخ والضعفاء والثقات، قال الحاكم كان من أوعية العلم مات سنة أربع وخمسين وثلاثمائة بمدينة بست بضم الموحدة وسكون المهملة. (والحاكم) هو محمد بن عبد الله النيسابوري أبو عبد الله الحافظ ويعرف بابن البيِّع ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وصنف: المستدرك وتاريخ نيسابور وغيرهما ومات سنة خمس وأربعمائة رحمهما الله تعالى

(٢) قوله (وللترمذي) وهو محمد بن عيسى بن سورة بفتح السين السلمي أبو عيسى صاحب الجامع وأحد الأئمة الحفاظ، كان ضرير البصر روى عن قتيبة وهناد والبخاري وخلق، مات سنة تسع وسبعين ومائتين

(٣) قوله (وحسنه) أي قال إنه حسن والحسن عند الترمذي ما تعددت طرقه وليس فيها متهم ولا خالفه أحد من الثقات قاله شيخ الإسلام رحمه الله

(٤) قوله (عن أنس بن مالك) بن النضر الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله ﷺ خدمه عشر سنين ودعا له النبي ﷺ فقال «اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة» مات سنة اثنتين وقيل ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة رضي الله عنه ولم يمت حتى رأى من ولده وولد ولده زيادة عن المائة

آدم ، لو أتيتَنى بقُراب الأرض خَطايا ، ثُم لقِيتَنى ، لا تُشركُ بى شيئا لأتيتُكَ بقُرابها مَغفرة[1] »

(١) قوله (قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى « يابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة ») وهذا الذى ذكره المصنف قطعة من حديث رواه الترمذى عن أنس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ، يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة وقراب الأرض بضم القاف وقيل بكسرها والضم أشهر ملؤها أو ما يقارب ملأها

وقوله (ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا) شرط ثقيل فى الوعد بحصول المغفرة وهو السلامة من الشرك كثيره وقليله صغيره وكبيره ، ولا يسلم من ذلك إلا من سلمه الله تعالى .

قال شيخ الإسلام : الشرك نوعان : أكبر وأصغر ، فمن خلص منهما وجبت له الجنة ، ومن مات على الأكبر وجبت له النار ، ومن خلص من الأكبر وحصل له بعض الأصغر مع حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة ، فإن تلك الحسنات توحيد كثير مع يسير من الشرك الأصغر ، ومن خلص من الأكبر ولكن كثر الأصغر حتى رجحت به سيآته دخل النار ، فالشرك يؤاخذ به العبد إذا كان أكبر أو كان كثيرا أصغر والأصغر القليل فى جانب الإخلاص الكثير لا يؤاخذ به انتهى . فاذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله فى حديث عتبان « فان الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله » أن ترك الشرك ليس قولها باللسان قاله المصنف رحمه الله وفيه سعة كرم الله وجوده حيث لو أتاه العبد بملء الأرض خطايا وقد مات على التوحيد أنه يقابله بالمغفرة لذنوبه

وفيه الرد على الخوارج الذين يكفرون المسلم بالذنوب ، وعلى المعتزلة الذين يقولون بالمنزلة بين المنزلتين ، وهى أنه ليس بمؤمن ولا كافر ويخلد فى النار فيوافقون الخوارج فى التخليد فى النار ويخالفونهم فى الاسم

٣ - باب

مَن حقّق التوحيدَ دخلَ الجنةَ بغير حساب (١)

والصواب ما عليه أهل السنة أن لا يسلب عنه اسم الإيمان على الإطلاق ولا يعطاه على الإطلاق بل يقال هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن عاص أو مؤمن بإيمانه ، فاسق بكبيرته ، وعلى هذا يدل الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة

(١) قوله (باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب) أى ولا عذاب لأن العذاب نتيجة الحساب فاذا لم يحاسب لا يعذب

وتحقيق التوحيد تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصى فلا يعمل شركا يحبطه ، ولا بدعة تقدح فيه ، ولا معصية تنقصه . وتحقيق التوحيد عزيز فى الأمة لا يوجد إلا فى أهل الإيمان الخالص الذين أخلصهم الله واصطفاهم من خلقه .

وما أحسن ما قال العلامة ابن القيم رحمه الله :

وحقيقة الإخلاص توحيد المرا	د فلا يزاحمه مراد ثانى
لكن مراد العبد يبقى واحدا	ما فيه تفريق لدى الإنسان
إن كان ربك واحداً سبحانه	فاخصصه بالتوحيد مع إحسان
أو كان ربك واحداً أنشاك لم	يشركه إذا أنشاك رب ثانى
فكذاك أيضا وحده فاعبده لا	تعبد سواه يا أخا العرفان
والصدق توحيد الإرادة وهو بذل	الجهد لا كسلا ولا متوانى
والسنة المثلى لسالكها فتو	حيد الطريق الأعظم السلطانى
فلو أحد كن واحداً فى واحد	أعنى سبيل الحق والإيمان
هذى ثلاث مسعدات للذى	قد نالها والفضل للمنان

ومعنى قوله فلو أحد أراد توحيد المراد بالإخلاص ، كن واحداً والمراد توحيد الإرادة بالصدق ، فى واحد وهو توحيد الطريق باتباع الحق . وقوله هذى ، ثلاث مسعدات يعنى أن هذه الثلاث هى أسباب السعادة لمن نالها ، والفضل للمنان جل وعلا الذى يمن بها على من يشاء من عباده

وقول الله تعالى ﴿ إِنَّ ابراهيمَ كان أُمَّة قانتاً للهِ حَنِيفا ولم يَكُ مِنَ المُشركين[1] ﴾

قال شيخ الإسلام : دين الإسلام مبنى على أصلين وهما : تحقيق شهادة أنَ لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أن لا تجعل مع الله إلها آخر فلا تحب مخلوقا كما تحب الله ولا ترجوه كما ترجو الله ولا تخشاه كما تخشى الله ، فمن سوّى بين المخلوق والخالق فى شىء من ذلك فقد عدل بالله ، وهو من الذين هم بربهم يعدلون

والأصل الثانى أن يعبده بما شرع على السنة رسله لا تعبده إلا بواجب أو مستحب ، والمباح إذا قصد به الطاعة دخل فى ذلك

(١) قوله « وقول الله تعالى ﴿ إن ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين ﴾ » أثنى تعالى على خليله ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات التى هى الغاية فى تحقيق التوحيد ، الأولى أنه كان « أمة » أى قدوة وإماما يقتدى به ومعلماً للخير . روى معناه عن ابن مسعود ، وقال مجاهد كان ابراهيم أمة أى مؤمنا وحده والناس كلهم كفار إذ ذاك . الثانية أنه كان « قانتا لله » أى خاشعاً مطيعاً لربه دائما على طاعته وعبادته ، قال شيخ الإسلام القنوت فى اللغة دوام الطاعة والمصلى إذا أطال قيامه وركوعه وسجوده فهو قانت ، قال تعالى ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ﴾ الثالثة كونه حنيفاً أى مائلا منحرفا عن الشرك قصدا إلى التوحيد

قال ابن القيم رحمه الله : الحنيف المقبل على الله المعرض عما سواه . قال تعالى عن خليله ابراهيم ﴿ إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾

وقال المصنف على قوله ﴿ إن ابراهيم كان أمة ﴾ لئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين ﴿ قانتاً لله ﴾ لا للملوك ولا للتجار المترفين ﴿ حنيفاً ﴾ لا يميل يمينا ولا شمالا كفعل العلماء المفتونين ﴿ ولم يك من المشركين ﴾ خلافا لمن كثر سوادهم وزعم أنه من المسلمين ، انتهى

وقال ﴿ والذين هُم بربِّهم لا يشركون ﴾ (١)

عن حُصين بن عبد الرحمن (٢) قال : كنتُ عند سعيد بن جُبير (٣)

قال فى قرة العيون : فقد فارق المشركين بالقلب واللسان والأركان وأنكر ما كانوا عليه من الشرك بالله فى عبادته وكسر الأصنام وصبر على ما أصابه فى ذات الله وهذا هو تحقيق التوحيد انتهى

قال فى الشرح ومناسبة الآية للترجمة أن الله تعالى وصف ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات الجليلة ترغيباً فى اتباعه فى التوحيد وتحقيق العبودية باتباع الأوامر واجتناب النواهى

(١) وقوله تعالى ﴿ والذين هم بربهم لا يشركون ﴾ هذا من جملة صفات المؤمنين المذكورين فى قوله ﴿ إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون ﴾ أى مع إحسانهم وعملهم مصالح مشفقون من الله وجلون خائفون من مكره بهم كما قال الحسن البصرى : المؤمن من جمع إحساناً وشفقاً ، والمنافق من جمع إساءة وأمنا ، ثم قال ﴿ والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ﴾ أى يؤمنون بآيات الله الكونية والشرعية . قال شيخ الإسلام : فالآيات الكونية هى التى استعاذ بها النبى ﷺ فى قوله « أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر » والكون كله داخل تحت هذه الكلمات . والكلمات الشرعية هى القرآن وشرع الله الذى بعث به رسوله وهى أمره ونهيه ، ثم قال ﴿ والذين هم بربهم لا يشركون ﴾ أى لا يعبدون مع الله غيره فأثنى عليهم بتلك الصفات التى أعظمها سلامتهم من الشرك أكبره وأصغره ، قاله المصنف رحمه الله تعالى . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة

(٢) قوله (عن حصين بن عبد الرحمن) السلمى أبو الهزيل الكوفى ثقة من تابعى التابعين مات سنة ست وثلاثين ومائة وله ثلاث وتسعون سنة

(٣) قال (كنت عند سعيد بن جبير) الوالبى الإمام الفقيه من جلة أصحاب ابن عباس كوفى مولى لبنى أسد قتل بين يدى الحجاج سنة خمس وتسعين ولم يكمل الخمسين فما أمهله الله بعده (فقال) أى سعيد بن جبير (أيكم رأى الكوكب) أى الشهاب (الذى انقض البارحة) أى رمى به ، والبارحة يقال لليلة الماضية إذا

فقال : أيكم رأى الكوكبَ الذى انقضّ البارحة ؟ فقلتُ : أنا . قلتُ : أما إنى لم أكن فى صلاة ولكنى لُدِغت[1] . قال : فما صنعتَ ؟ قلت : ارتقيت قال : فما حملك على ذلك ؟ قلت : حديث حدّثناهُ الشّعبى ، قال : وما حدّثكم ؟ قلتُ : حدثنا عن بُرَيدةَ بن الحُصَيبِ[2] أنه قال « لا رُقيةَ إلاّ من عَينٍ أو حُمَة » . قال قد أحسن مَن انتهى إلى ما سَمِع[3] ولكنْ حدثنا ابنُ عباس عن النبىّ ﷺ أنه قال :

= زالت الشمس ، مشتقة من برح إذا زال ، وأما قبل الزوال فيقال الليلة (فقلت أنا) : أى أنا رأيته (ثم قلت أما إنى لم أكن فى صلاة) قال ذلك لئلا يظن أنه قائم يصلى فى ذلك الوقت فما أشد حذر السلف من الشرك . وفيه بعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه ، قاله المصنف رحمه الله

(١) قوله (ولكنى لدغت) أى لدغته عقرب أو نحوها (قال فما صنعت قلت ارتقيت) لفظ مسلم استرقيت أى طلبت من يرقينى (قال فما حملك على ذلك) فيه طلب الحجة على صحة المذهب وأن من فعل شيئاً سئل عن مستنده فى فعله ومن لم يكن معه حجة فرعية فلا عذر له فيما فعله (قلت حديث حدثناه الشعبى) وهو عامر بن شراحيل الهمدانى بسكون الميم الحميرى ولد فى خلافة عمر وهو من ثقات التابعين وحفظهم وفقهائهم مات سنة ثلاث ومائة

(٢) قوله (وما حدثكم قلت حدثنا عن بريدة) بضم أوله وفتح ثانيه تصغير بردة (بن الحصيب) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين بن الحارث الأسلمى صحابى شهير مات سنة ثلاث وستين ، قاله ابن سعد (أنه قال لا رقية إلا من عين أو حمة) هكذا روى موقوفا وقد رواه أحمد وابن ماجة عنه مرفوعا ورواه أحمد وأبو داود والترمذى عن عمران بن حصين به موقوفا . قال الهيثمى رجال أحمد ثقات والعين هى إصابة العائن غيره بعينه ، والحمة بضم المهملة وتخفيف الميم سم العقرب وشبهها ، ومعنى الحديث لا رقية أشفى وأولى من رقية العين والحمة ، قال الخطابى : وفيه الرخصة فى الرقية من العين والحمة . قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٣) قوله (قال : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع) أى من أخذ بما بلغه =

« عُرِضتْ عليَّ الأمم ، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرهطُ [١] ، والنبيَّ ومعه الرجل والرجلان ، والنبيَّ وليس معه أحد [٢] ، إذ رُفع لى سَوادٌ عظيم [٣] فظننت أنهم أُمَّتى ، فقيل لى : هذا موسى وقومُه [٤] ، فنظرتُ فاذا سَواد عظيم ، فقيل لى : هذه أُمَّتُك ومعهم سبعون ألفاً يَدخلونَ

= من العلم وعمل به فقد أحسن ، بخلاف من يعمل بجهل أو لا يعمل بما علم فإنه مسىء آثم وفيه عمق علم السلف لقوله : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع (ولكن حدثنا ابن عباس فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثانى قاله المصنف رحمه الله .

وفيه فضيلة علم السلف وحسن أدبهم فى تبليغ العلم وإرشاد من أخذ بشىء من العلم إلى الأفضل . وابن عباس هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمى ابن عم النبى ﷺ حبر الأمة وترجمان القرآن ، دعا له النبى ﷺ فقال « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » فكان آية فى ذلك ، مات بالطائف سنة ثمان وستين .

(عن النبى ﷺ قال : عرضت علىَّ الأمم) فى رواية الترمذى والنسائى من رواية عبثر بن القاسم عن حصين بن عبد الرحمن أن ذلك كان ليلة الإسراء ولفظه : لما أسرى بالنبى ﷺ جعل يمر بالنبى ومعه الرهط .

(١) قوله (فرأيت النبى ومعه الرهط) قال النووى الرهط الجماعة دون العشرة

(٢) قوله (والنبى ومعه الرجل والرجلان ، والنبى وليس معه أحد) فيه الرد على من احتج بالكثرة ، وفيه عرض الأمم عليه ـ عليه السلام ـ وأن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها وقلة من استجاب للأنبياء وأن من لم يجبه أحد يأتى وحده وثمرة هذا العلم وهو عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزهد فى القلة قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٣) قوله (إذ رفع لى سواد عظيم) والمراد الأشخاص التى ترى فى الأفق لا يدرك منها إلا الصورة

(٤) قوله (فظننت أنهم أمتى ، فقيل لى هذا موسى وقومه) . وفيه فضيلة أصحاب موسى عليه السلام . قاله المصنف رحمه الله

الجنةَ بغير حِساب ولا عذاب[1] » . ثم نهض فدخلَ منزلَه ، فخاض الناس فى أولئك[2] ، فقال بعضهم : فلعلهُم الذين صحبوا رسولَ الله ﷺ ، وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا فى الإسلام فلم يُشركوا بالله شيئاً ، وذكروا أشياء . فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه ،

قوله (ثم نظرت) وفى صحيح مسلم « ولكن انظر إلى الأفق » ولم يذكره المصنف فلعله سقط من الأصل الذى نقل الحديث منه والله أعلم .

(١) قوله (فنظرت فإذا سواد عظيم) وفى رواية « قد سد الأفق » (فقيل لى هذه أمتك ومعهم - أى من جملتهم - سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب) لتحقيقهم التوحيد . وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة ، وفى حديث أبى هريرة فى الصحيحين وصفه السبعين ألفاً بأنهم تضىء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر ، وفيهما عنه مرفوعاً « أول زمرة تدخل الجنـــة على صورة القمر والذين على آثارهم كأحسن كوكب درى فى السماء إضاءة » وفى رواية أحمد والبيهقى فى البعث « فاستزدت ربى فزادنى مع كل ألف سبعون ألفاً » قال الحافظ ابن حجر وعنده جيد

وفيه فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية قال المصنف رحمه الله تعالى : فالكمية العدد والكيفية فضيلتهم هم

قوله (ثم نهض) أى قام النبى ﷺ (فدخل منزله)

(٢) قوله (فخاض الناس فى أولئك) بالخاء والضاد المعجمتين أى فى الأعمال التى اقتضت دخولهم الجنة بلا حساب ولا عذاب (فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ) لمزية الصحبة وفضلها (وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا فى الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً وذكروا أشياء)

وفيه عمق علم الصحابة بمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل وحرصهم على الخير قاله المصنف رحمه الله تعالى

وفيه إباحة المناظرة فى العلم والمباحثة فى نصوص الشرع على جهة الاستفادة =

فقال « هم الذين لا يسترقون (١) ولا يكتوون (٢) ولا يتطيرون (٣) »

= وإظهار الحق قاله النووى وفيه جواز الاجتهاد فيما لم يعلم فيه دليل لأنهم قالوا ما قالوا اجتهاداً منهم ولم ينكر ﷺ ذلك عليهم لكن المجتهد لا يجوز له أن يجزم بصواب قوله بل يقول لعل الحكم كذا وكذا كقول الصحابة قاله فى قرة العيون

(١) قوله (فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه ، فقال : هم الذين لا يسترقون) هكذا أثبت فى الصحيحين ، وكذا هو فى حديث ابن مسعود ، وفى مسند أحمد . وفى رواية مسلم : « ولا يرقون » قال شيخ الإسلام : هذه الزيادة وهم من الراوى ، لم يقل النبى ﷺ لا يرقون لأن الراقى محسن إلى أخيه وقد رقى النبى ﷺ أصحابه ورقاه جبريل ، والفرق بين الراقى والمسترقى أن المسترقى سائل مستعطف ملتفت إلى غير الله بقلبه ، والرقى محسن وإنما المراد وصف السبعين الألف بتمام التوكل فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم ولا يكويهم استسلاماً للقضاء وتلذذاً بالبلاء

(٢) قوله (ولا يكتوون) أعم من أن يسألوا ذلك ، ويفعل ذلك باختيارهم قاله فى فتح المجيد وأما الكى فى نفسه فجائز لما فى الصحيح عن جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ بعث إلى أبى بن كعب طبيبا فقطع له عرقا وكواه ، وفى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه أنه كوى من ذات الجنب ، والنبى ﷺ حى ، وروى الترمذى وغيره عن أنس أن النبى ﷺ كوى أسعد بن زرارة من الشوكة . وفى صحيح البخارى عن ابن عباس مرفوعا « الشفاء فى ثلاث : شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكية نار . وأنا أنهى عن الكى » وفى لفظ « ما أحب أن أكتوى » قال ابن القيم رحمه الله تعالى: تضمنت أحاديث الكى أربعة أنواع : أحدها فعله ، الثانى عدم محبته له ، الثالث الثناء على من تركه ، الرابع النهى عنه . ولا تعارض بينها بحمد الله ، فإن فعله يدل على جوازه وعدم محبته لا يدل على المنع منه ، وأما الثناء على من تركه فيدل على أن تركه أفضل ، وأما النهى عنه فعلى سبيل الاختيار والكراهة انتهى

(٣) قوله (ولا يتطيرون) أى لا يتشاءمون بالطيور ونحوها وسيأتى الكلام على الطيرة فى بابها إن شاء الله تعالى

(١) قوله (وعلى ربهم يتوكلون) أى يعتمدون فى أمورهم . وفيه معرفة مراتب الناس فى التوحيد وما معنى تحقيقه وأن ترك الرقية والكى من تحقيق التوحيد وأن الجامع لتلك الخصال هو التوكل . قاله المصنف رحمه الله تعالى . ولا يدل الحديث على ترك مباشرة الأسباب فإن مباشرة الأسباب فى الجملة أمر فطرى ضرورى لا انفكاك لأحد عنه ، بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب فإنه سبب لوقاية الله وكفايته كما قال تعالى : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ أى كافيه، وإنما يدل على أنهم يتركون الأسباب المكروهة مع حاجتهم إليها توكلا على الله ، وأما مباشرة الأسباب والتداوى على وجه لا كراهة فيه فغير قادح فى التوكل لما فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا « ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله » وعن أسامة بن شريك قال : كنت عند النبى ﷺ وجاءت الأعراب فقالوا : يا رسول الله أنتداوى ؟ قال : « نعم يا عباد الله ، تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد » قالوا : وما هو ؟ قال : « الهرم » رواه أحمد . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات وإبطال قول من أنكرها والأمر بالتداوى وأنه لاينافى التوكل كما لا ينافى دفع ألم الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها ، بل لا تتم حقيقة التوكل إلا بمباشرة الأسباب التى نصبها الله مقتضية لمسبباتها قدراً وشرعاً وأن تعطيلها يقدح فى نفس التوكل كما يقدح فى الأمر والحكمة ويضعفه فى حيث يظن معطلها أن تركها أقوى فى التوكل فإن تركها عجز ينافى التوكل الذى هو اعتماد القلب على الله فى حصول ماينفع العبد فى دينه ودنياه ودفع ما يضره فى دينه ودنياه ، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب وإلا كان معطلا للحكمة والشرع فلا يجعل العبد عجزه توكلا ولا توكله عجزاً ، وقد اختلف العلماء فى التداوى هل هو مباح وتركه أفضل ، أو مستحب ، أو واجب . فالمشهور عن أحمد الأول لهذا الحديث ومافى معناه ، والمشهور عن الشافعى الثانى حتى ذكر النووى فى شرح مسلم أنه مذهبهم ومذهب جمهور السلف وعامة الخلف ، واختاره الوزير أبو المظفر بن هبيرة قال : ومذهب أبى حنيفة أنه مؤكد حتى يدانى به الوجوب ، قال ومذهب مالك أنه يستوى فعله وتركه فإنه =

فقام عُكاشةُ(١) بن مِحْصَن فقال : ادعُ اللهَ أن يجعلَني منهم(٢) . قال « أنتَ منهم » . ثم قام رجل آخر فقال : ادعُ الله أن يجعلني منهم ، فقال سبقكَ بها عُكاشة(٣) »

= قال : لا بأس بالتداوى ولا بأس بتركه ، وقال شيخ الإسلام : ليس بواجب عند جماهير العلماء وإنما أوجبه طائفة قليلة من أصحاب الشافعى وأحمد .

(١) قوله (فقام عكاشة) بضم العين وتشديد الكاف ويجوز تخفيفها (ابن محصن) بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الصاد المهملتين ، الأسدى من بنى أسد بن خزيمة كان من السابقين إلى الإسلام هاجر وشهد بدرا وقاتل فيها قال ابن القيم انقطع يوم بدر سيف عكاشة بن محصن فأعطاه النبى ﷺ جذلا من حطب فقال : دونك هذا ، فلما أخذه عكاشة وهزه عاد فى يده سيفا طويلا شديداً أبيض فلم يزل عنده يقاتل به حتى قتل فى الردة أيام أبى بكر. قال ابن إسحق : وبلغنى أن النبى ﷺ قال « خير فارس فى العرب عكاشة بن محصن » استشهد فى قتال الردة مع خالد بن الوليد بيد طليحة الأسدى سنة اثنتى عشرة ثم أسلم طليحة بعد ذلك ، جاهد الفرس يوم القادسية مع سعد بن أبى وقاص واستشهد فى وقعة الجسر المشهورة .

(٢) قوله (فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم) أى من السبعين الألف . وفيه طلب الدعاء من أهل الصلاح ، وأن النبى ﷺ لا يملك لأحد نفعاً ولا ضراً إلا بالدعاء (فقال أنت منهم) وفى رواية البخارى فقال « اللهم اجعله منهم » وكذلك فى حديث أبى هريرة عند البخارى مثله ، وفى بعض الروايات : أمنهم أنا يا رسول الله قال : « نعم » قال الحافظ ابن حجر ويجمع بين الأحاديث بأنه سأل الدعاء أولا فدعا له ، ثم استفهم هل أجيب فأخبره .

وقوله : (أنت منهم) علم من أعلام النبوة . وفيه فضيلة عكاشة ، قاله المصنف رحمه الله

(٣) قوله (ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم ؟ فقال : سبقك بها عكاشة) . قال بعضهم أى سبقك إلى إحراز هذه الصفات ، أى التوكل وما ذكر معه . وقال القرطبى لم يكن عند الثانى من الأحوال ما كان عند عكاشة =

٤ – باب
الخوفِ من الشرك [1]

= فلذا لم يجبه إذ لو أجابه لجاز أن يطلب ذلك من كان حاضراً فيتسلسل الأمر فسد الباب بذلك . وفيه استعمال المعاريض ، وحسن خلقه ﷺ ، قاله المصنف رحمه الله تعالى. أورد المصنف هذا الحديث غير معزو، وقد رواه البخارى مختصراً ومطولا ، ومسلم واللفظ له والترمذى والنسائى

(١) قوله (باب الخوف من الشرك) لما كان الشرك أعظم الذنوب عند الله لأنه هضم لجناب الربوبية وتنقص للإلهية وسوء ظن برب العالمين سبحانه ، رتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتب على ذنب سواه من إباحة دماء أهله وأموالهم وسبى نسائهم وأولادهم وعدم مغفرته من بين الذنوب إلا بالتوبة منه والإقلاع عنه ، فنبة المصنف رحمه الله بهذه الترجمة على أنه ينبغى للموحد أن يخاف منه ويحذره ويعرف أسبابه ووسائله وأنواعه لئلا يقع فيه وهو لا يشعر ، ولذا قال حذيفة بن اليمان : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه . رواه البخارى لأن من لا يعرف الشر إما أن يقع فيه وإما أن لا ينكره ، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ فى الإسلام من لا يعرف الجاهلية . قال شيخ الإسلام : وهو كما قال عمر . فإن كمال الإسلام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتمام ذلك الجهاد فى سبيل الله . ومن نشأ فى المعروف فلم يعرف غيره فقد لا يكون عنده من العلم بالمنكر وضرره ما عند من علمه ، ولا يكون عنده من الجهاد لأهله ما عند الخبير بهم ، ولهذا كان الصحابة أعظم إيمانا وجهادا ممن بعدهم لكمال معرفتهم بالخير والشر وكمال محبتهم للخير وبغضهم للشر انتهى ملخصاً . وقال أيضا والمشركون الذين وصفهم الله بالشرك أصلهم صنفان : قوم نوح وقوم إبراهيم ، فقوم نوح أصل شركهم العكوف على قبور الصالحين ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوهم . وقوم إبراهيم كان أصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر وكل من هؤلاء إنما يعبدون الجن وقد يعتقدون أنهم يعبدون الملائكة ، كما قال =

وقول الله تعالى ﴿ إنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أنْ يُشرَكَ به ويغفرُ ما دونَ ذٰلك لمن يشاء ﴾ (١) . وقال الخليلُ عليه السلام ﴿ واجنُبْني وَبَنِيَّ أنْ نعبُدَ الأصنام ﴾ . (٢) وفى الحديث « أخوَفُ ما أخافُ عليكم الشركُ

═ تعالى ﴿ ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ﴾ والملائكة لا تعينهم على الشرك ولا يرضون بذلك ولكن الشياطين قد تعينهم وتتصور لهم فى صور الآدميين فيرونهم بأعينهم ويقول أحدهم أنا إبراهيم أنا المسيح أنا الخضر. والجن كالإنس منهم الكافر ومنهم الفاسق ومنهم العاصى وفيهم العابد الجاهل انتهى

(١) قوله (وقول الله تعالى ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾) أخبر تعالى أنه لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به ، وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة ويغفر ما دون ذلك أى ما دون الشرك من الذنوب لمن يشاء من عباده . وفى الآية رد على الخوارج المكفرين بالذنوب وعلى المعتزلة أصحاب المنزلة بين المنزلتين، فان الله جعل مغفرة ما دون الشرك من الذنوب معلقة بالمشيئة . قال شيخ الإسلام : ولا يجوز أن يحمل هذا على التائب ، فإن التائب لا فرق فى حقه بين الشرك وغيره ، كما قال تعالى ﴿ يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ فهنا عمم وأطلق لأن المراد به التائب وهناك خص وعلق لأن المراد من لم يتب . انتهى

(٢) قوله (وقول الخليل عليه السلام ﴿ واجنبنى وبنىّ أن نعبد الأصنام ﴾) والصنم ما كان منحوتا على صورة ، والوثن ما كان موضوعا على غير ذلك ، ذكره الطبرى عن مجاهد وقد يسمى الصنم وثناً لقوله ﴿ إنما تعبدون من دون الله أوثاناً ﴾ فالوثن أعم من الصنم والأصنام تسمى أوثاناً كما أن القبور التى تعبد من دون الله تسمى أوثاناً . قال النبى ﷺ « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يُعبد » . ومعنى قوله ﴿ واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ﴾ أى اجعلنى وبنى فى جانب عن عبادة الأصنام ، وباعد بيننا وبينها . فاشتد خوفه على نفسه وعلى بنيه لما رأى كثيراً من الناس قد افتتنوا بها ، ولذا قال ﴿ رب إنهن أضللن كثيراً من الناس ﴾ وفيه ═

الأصغر » فسُئل عنه فقال « الرياء »[1]. وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « مَن مات وهو يدعو لله نِدًّا دخلَ

= المسئلة العظيمة سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام واعتباره بحال الأكثر لقوله ﴿ رب إنهن أضللن كثيراً من الناس ﴾ قاله المصنف رحمه الله، وهذا مما يوجب الخوف من الشرك يكسر الأصنام بيده ويسأل الله أن يجنبه عبادتها. وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة، وقد استجاب الله دعاءه. وجعل بنيه أنبياء وجنبهم عبادة الأصنام. قال إبراهيم التيمى: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم والذى خافه إبراهيم عليه السلام قد وقع فيه أكثر الأمة بعد القرون المفضلة، فبنيت المساجد والمشاهد على القبور لها العبادات والنذور واتخذوا ذلك دينا وهى أوثان كأصنام قوم نوح وأصنام العرب فمن تدبر القرآن ورزقه الله فهماً ونوراً عرف أحوال الخلق وما وقعوا به من الشرك الذى بعث الله رسله بالنهى عنه

(١) قوله (وفى الحديث « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال « الرياء ») هذا الحديث ذكره المصنف غير معزو، وقد رواه الإمام أحمد والطبرانى والبيهقى عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال « الرياء » يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: « اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟ » قال المنذرى ومحمود بن لبيد رأى النبى ﷺ ولم يصح له سماع فيما أرى، وذكر ابن أبى حاتم أن البخارى قال: له صحبة، ورجحه ابن عبد البر والحافظ ابن حجر، وقد رواه الطبرانى بأسانيد جيدة عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج مات محمود سنة ست وتسعين وقيل سنة سبع وتسعين وله تسع وتسعون سنة، فاذا خاف النبى ﷺ الشرك على أصحابه الذين وحدوا الله وهاجروا وجاهدوا من كفر به وعرفوا ما أنزله الله فى كتابه من الإخلاص والبراءة من الشرك فكيف لا يخافه من لا نسبة له اليوم فى علم ولا عمل. وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة. وفيه: الخوف من الشرك وأن الرياء من الشرك وأنه من الشرك الأصغر وأنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين، قاله المصنف رحمه الله تعالى. وإذا كان الشرك الأصغر مخوفا على الصحابة =

النار » رواه البخـــــــــــــاري[1] . ولمسلم عن

= مع كمال إيمانهم فينبغى لك أن تخاف من الأكبر مع ضعف الإيمان قاله فى إبطال التنديد وقد أخبر النبي ﷺ عن وقوع الشرك الأكبر فى أمته بقوله فى حديث ثوبان « ولا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتى بالمشركين وحتى من أمتى الأوثان » وقد وقع ما أخبر به ﷺ وعمت به البلوى فى أكثر الأمصار حتى اتخذوه دينا ، فلا حول ولا قوة إلا بالله

(١) قوله (وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار » رواه البخارى) . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : الند : الشبيه . يقال فلان ند فلان أى مثله وشبهه ، قال تعالى ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ أنه لا ند له . واعلم أن اتخاذ الند على قسمين : أكبر وأصغر فالشرك الأكبر يوجب الخلود فى النار ولا يغفر إلا بالتوبة منه فمن دعا ميتا أو غائبا وأقبل اليه بوجهه وقلبه رغبة اليه ورهبة منه سواء سأله أو لم يسأله فهذا هو الشرك الأكبر الذى لا يغفره الله . والأصغر كيسير الرياء ، وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت ، وقوله مالى إلا الله وأنت ، ونحو ذلك . ولهذا لما قال رجل للنبى ﷺ : ما شاء الله وشئت قال « أجعلتنى لله ندا ؟ بل : ما شاء الله وحده » رواه أحمد وابن أبى شيبة والبخارى فى الأدب المفرد والنسائى وابن ماجه ، فهذا لا يكفر إلا برجحان ، السيآت بالحسنات انتهى

وقال ابن القيم فى الكافية الشافية :

والشرك فاحذره فشرك ظاهر ... ذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن أيا كان ... من حجر ومن إنسان
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ... ويحبه كمحبة الديان
والله ما ساووهم بالله فى ... خلق ولا رزق ولا إحسان
لكنهم ساووهم بالله فى ... حب وتعظيم وفى إيمان
جعلوا محبتهم مع الرحمن ما ... جعلوا المحبة قط للرحمن
لو كان حبهم لأجل الله ما ... عادوا أحبته على الإيمان
ولما أحبوا سخطه وتجنبوا ... محبوبه ومواقع الرضوان =

جابر (١) رضى الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال « مَن لقِيَ اللهَ لا يُشركُ به شيئاً دخلَ الجنَّة ، ومَن لَقيَهُ يُشرِكُ به شيئاً دخلَ النار » .

= شرط المحبة أن توافق من تحب على محبته بلا عصيان
فاذا ادعيت له المحبة مع خلافك مايحب فأنت ذو بهتان
أتحب أعداء الحبيب وتدعى حباً له ما ذاك فى إمكان
وكذا تعادى جاهدا أحبابه أين المحبة يا أخا الشيطان

(١) قوله (ولمسلم عن جابر) بن عبد الله بن حرام الأنصارى ثم السلمى بفتحتين صحابى ابن صحابى مكثر له ولأبيه مناقب مشهورة رضى الله عنهما ، مات بالمدينة بعد السبعين ، وقد كف بصره وله أربع وتسعون سنة (أن رسول الله ﷺ قال « من لقى الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار ») وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة. قال القرطبي: على قوله (من لقى الله) أى من لم يتخذ مع الله شريكا فى الإلهية ولا فى الخلق ولا فى العبادة ، ومن المعلوم المجمع عليه عند أهل السنة أن من مات على ذلك فلا بد له من دخول الجنة وإن جرت عليه قبل ذلك أنواع من العذاب والمحنة ، وأن من مات على الشرك لا يدخل الجنة ولا يناله من الله رحمة ويخلد فى النار أبد الآباد من غير انقطاع عذاب ولا تصرم آماد وهذا معلوم ضرورة من الدين مجمع عليه بين المسلمين انتهى. وقال النواوى : أما دخول المشرك النار فهو على عمومه فيدخلها ويخلد فيها ولا فرق بين الكتابى اليهودى والنصرانى وبين عبدة الأوثان وسائر الكفار ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادا وغيره ، ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من انتسب اليها ثم حكم بكفره بجحده وغير ذلك . وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع به ، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصراً عليها فهو تحت المشيئة فإن عفى عنه دخل الجنة أو لا وإلا عذب ثم أخرج فيدخل الجنة . وقال غيره : قوله (من لقى الله لايشرك به شيئا) اقتصر على نفى الشرك لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء والرسالة باللزوم ، إذ من كذّب رسل الله فقد كذب الله ، ومن كذب الله فهو مشرك . وهو كقولك من توضأ صحت صلاته أى مع سائر الشروط فالمراد من مات حال كونه مؤمنا بجميع ما يجب الإيمان به إجمالا فى الإجمالى =

٥ – باب

الدعاء إلى شهادة أن لا إلٰهَ إلا الله(١)

وقولِ الله تعالى ﴿ قُلْ هٰذِهِ سَبيلي أدعُو إلى اللهِ علىٰ بَصِيرة ﴾ الآية(٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ لما بعثَ

═ وتفصيلا فى التفصيلى انتهى . وفيه قرب الجنة والنار والجمع بين قربهما فى حديث واحد ، وأنه من لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار ولو كان من أعبد الناس . وفيه تفسير لا إله إلا الله كما ذكره البخارى ، وفضيلة من سلم من الشرك ، قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله (باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله) لما ذكر المصنف التوحيد وفضله وثواب من حققه وما يوجب الخوف من ضده وهو الشرك ، ذكر فى هذه الترجمة أنه لا ينبغى لمن عرف ذلك أن يقتصر على نفسه بل يجب عليه أن يدعو الى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة كما هو سبيل المرسلين وأتباعهم كما قال الحسن البصرى لما تلى قوله تعالى ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين ﴾ فقال: هذا حبيب الله هذا ولى الله ، هذا صفوة الله ، هذا خيرة الله ، هذا أحب أهل الأرض إلى الله ، أجاب الله فى دعوته ، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا فى إجابته ﴿ وقال إننى من المسلمين ﴾ هذا خليفة الله

(٢) قوله (وقول الله تعالى ﴿ قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾) قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد هذه الدعوة التى أدعو إليها والطريقة التى أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان والانتهاء إلى طاعته وترك معصيته ، سبيلى وطريقتى ودعوتى أدعو إلى الله وحده لا شريك له على بصيرة بذلك ويقين علم منى به أنا ويدعو اليه على بصيرة أيضا من اتبعنى وصدقنى وآمن بى . قلت وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة ، وسبحان الله . قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : (وقل) ـ تنزيها لله تعالى وتعظيما له من أن يكون له شريك فى ملكه أو معبود سواه فى سلطانه ـ ﴿ وما أنا من المشركين ﴾ ═

مُعاذاً إلى اليمن [1] قال ا ـــــــــــــــــــ ه

= يقول أنا برىء من أهل الشرك به لست منهم ولا هم منى انتهى . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : البصيرة التى تكون نسبة المعلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئى إلى البصر هى الخصيصة التى اختص بها الصحابة عن سائر الامة وهى أعلى درجات العلماء ، قال الله تعالى ﴿ قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ﴾ أى أنا وأتباعى على بصيره . وقيل من اتبعنى: عطف على المرفوع فى أدعو، أى أنا أدعو إلى الله على بصيرة ومن اتبعنى كذلك يدعو الى الله على بصيرة وعلى القولين ، فالآية تدل على أن أتباعه هم أهل البصائر الداعون إلى الله تعالى على بصيرة ، ومن ليس منهم فليس من أتباعه على الحقيقة والموافقة وإن كان من أتباعه على الانتساب والدعوى . وفيه أن الدعوة الى الله طريق من اتبع رسول الله ﷺ والتنبيه على الإخلاص لان كثيراً لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه ، وأن البصيرة من الفرائض وأن من دلائل حسن التوحيد أنه تنزيه لله عن المسبة وإن من قبح الشرك كونه مسبة لله وفيه ـ وهى أهمها ـ إبعاد المسلم عن المشركين لا يصير منهم ولو لم يشرك قاله المصنف رحمه الله . وقال ابن القيم على قوله ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ الآية ، ذكر سبحانه مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو فإنه : إما أن يكون طالبا للحق محباً له مؤثراً له على غيره إذا عرفه ، فهذا يدعى بالحكمة ولا يحتاج إلى موعظة وجدال ، وإما أن يكون مشتغلا بضد الحق لكن لو عرفه آثره واتبعه فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب ، وإما أن يكون معانداً معارضاً فهذا يجادل بالتى هى أحسن فإن رجع وإلا انتقل معه إلى الجلاد إن أمكن انتهى .

(١) قوله (وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن) قال الحافظ ابن حجر : كان بعث معاذ إلى اليمن سنة عشر قبل حج النبى ﷺ كما ذكره البخارى فى آخر المغازى . وقيل كان فى آخر سنة تسع عند منصرفه من تبوك ، وحكى ابن سعد أنه كان فى ربيع الاول سنة عشر ، واتفقوا على أنه لم يزل على اليمن إلى أن قدم فى عهد أبى بكر الصديق ثم توجه إلى الشام فمات بها . واختلف هل كان واليا أو قاضيا ؟ فجزم ابن عبد البر بالثانى ، =

« إنك تأتى قوماً من أهل الكتاب[1] ، فليكنْ أولَ ما تدعوهم إليه شهـــــــــادةُ أن لا إلٰهَ إلّا الله[2] .

= والنسائى بالأول والظاهر نه كان واليا قاضيا قاله فى الشرح . وقال شيخ الإسلام: ومن فضائل معاذ رضى الله عنه أنه ﷺ بعثه إلى اليمن مبلغا عنه ومفقها ومعلما وحاكما.

(١) قوله (قال : « إنك تأتى قوما من أهل الكتاب ») قال القرطبى يعنى من اليهود والنصارى ، لأنهم كانوا باليمن أكثر من مشركى العرب أو أغلب ، وإنما نبهه على هذا ليتهيأ لمناظرتهم . قال الحافظ ابن حجر هو كالتوطئة للوصية ليجمع همته عليها . وفيه كشف العالم الشبهة عن المتعلم . قاله المصنف رحمه الله . وفيه أن مخاطبة العالم ليست كمخاطبة الجاهل. والتنبيه على الاحتراز من الشبه والحرص على طلب العلم قاله فى الشرح

(٢) قوله (فاليكن أول ما تدعوهم اليه شهادة أن لا إله إلا الله) بنصب (أول) على أنه خبر يكن مقدما و (شهادة) اسمها مؤخرا ويجوز العكس . وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة . قال فى قرة العيون وكانوا يقولونها لكنهم جهلوا معناها الذى دلت عليه من إخلاص العبادة لله وحده وترك عبادة ما سواه، فكان قولهم (لا إله إلا الله) لا ينفعهم لجهلهم بمعنى هذه الكلمة العظيمة كحال أكثر المتأخرين من هذه الأمة فإنهم كانوا يقولونها مع ما كانوا يفعلونه من الشرك بعبادة الأموات والغائبين والطواغيت والمشاهد فيثبتون ما نفته من الشرك باعتقادهم وقولهم وفعلهم وينفون ما أثبته من الإخلاص كذلك وظنوا أن معناها القدرة على الاختراع تقليداً للمتكلمين من الأشاعرة وغيرهم وأما قول المتكلمين إن أول واجب معرفة الله بالنظر والاستدلال ، فذلك أمر فطرى فطر الله عليه عباده ولهذا كان مفتتح دعوة الرسل أممهم إلى إفراد الله تعالى بالعبادة. ولما قالوا ﴿إنا كفرنا بما أرسلتم به ، وإنا لفى شك مما تدعوننا إليه مريب﴾ قالت الرسل ﴿أفى الله شك ! فاطر السموات والأرض﴾ قال ابن كثير وهو يحتمل وجهين أحدهما : أفى وجوده شك فان الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به . والثانى : أفى إلاهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك ! وهو الخالق لجميع الموجودات فلا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له انتهى ملخصا . وهذا الاحتمال الثانى يتضمن الأول قاله فى قرة العيون

وفى رواية : إلى أنْ يُوَحِّدوا اللهَ[١] ، فإن هم أطاعوكَ لِذٰلك فأعلِمْهم أنَّ اللهَ افترضَ عليهم خمسَ صلوات فى كل يوم وليـــلة[٢] ؛ فإن هم أطاعوكَ لذٰلك فأعلِمْهم أنَّ اللهَ افترضَ عليهم صَدَقَةً تُؤخذ

---

(١) قوله (وفى رواية إلى أن يوحدوا الله) ذكر هذه الرواية البخارى فى التوحيد فأوردها المصنف ليبين أن معنى شهادة أن لا إله إلا الله أن يوحدوا الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه وفى رواية « فاليكن أول ماتدعوهم اليه عبادة الله » وذلك هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله وفى رواية للبخارى فقال « أدعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله » . قال فى فتح المجيد : لا بد فى شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط ، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها . أحدها : العلم المنافى للجهل . الثانى : اليقين المنافى للشك . الثالث : القبول المنافى للرد . الرابع : الانقياد المنافى للترك . الخامس : الإخلاص المنافى للشرك . السادس : الصدق المنافى للكذب السابع : المحبة المنافية لضدها . قال شيخ الإسلام : وقد علم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ واتفقت عليه الأمة . أن أصل الإسلام وأول ما يؤمن به الخلق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فبذلك يصير الكافر مسلماً ، والعدو ولياً ، والمباح دمه معصوم الدم والمال . ثم إن كان ذلك من قلبه ، فقد دخل فى الإيمان وإن قاله بلسانه دون قلبه فهو فى ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان . قال : وأما إذا لم يتكلم بها مع القدرة فهو كافر وباتفاق المسلمين باطناً وظاهراً عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير العلماء انتهى . وفيه كون التوحيد أول واجب ، وأنه يبدء به قبل كل شىء حتى الصلاة ، وأن معنى يوحدوا الله معنى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب ، يعنى عالما وهو لا يعرفها أو يعرفها ولا يعمل بها . والتنبيه على التعليم بالتدريج والبداءة بالأهم فالأهم ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٢) قوله (فإن هم أطاعوك لذلك) أى شهدوا وانقادوا لذلك (فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة) فيه أن الصلاة أعظم =

من أغنيائهم فتُرَدُّ على فقرائهم[١] فإن هم أطاعوك لذلك فإيَّاك وكرائمَ أموالهم[٢] ، واتقِ دعوةَ المظلوم فإنه ليس بينها وبين اللهِ حِجاب»[٣]

= واجب بعد الشهادتين . وفيه دليل على أن المشرك لا يطالب بفعل الصلاة إلا بعد الإسلام ، ولا يلزم من ذلك أن لا يكونوا مخاطبين بفروع الشريعة المأمور به والمنهى عنه ويزاد فى عذابهم بسببها فى الآخرة ، وهذا قول الأكثرين ، قاله النووى . وفيه أن الوتر غير واجب لأن هذا كان آخر الأمر

(١) قوله (فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم) . فيه دليل على أن الزكاة أوجب الأركان بعد الصلاة وأن الإمام هو الذى يتولى قبضها وصرفها إما بنفسه أو نائبه ، وأنها تؤخذ من الأغنياء وتصرف إلى الفقراء ، وإنما خص النبي ﷺ الفقراء لأن حقهم آكد من حقوق بقية الأصناف الثمانية ، وأنه يكفى إخراج الزكاة فى صنف واحد كما هو مذهب مالك وأحمد ، وأنه لا يجوز دفعها إلى غنى ولا إلا كافر غير المؤلف ، وأن الزكاة واجبة فى مال الصبي والمجنون كما هو قول الجمهور لعموم الحديث ، وأن الفقير إذا أفرد فى اللفظ تناول المسكين وبالعكس كنظائره كما قرره شيخ الإسلام . وأن الفقير لا زكاة عليه ، وأن من ملك نصاباً لا يعطى من الزكاة من حيث أنه جعل المأخوذ منه غنيا وقابله بالفقير ، ومن ملك نصاباً فالزكاة مأخوذة منه فهو غنى

(٢) قوله (فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم) بنصب كرائم على التحذير جمع كريمة قال صاحب المطالع ، وهى الجامعة للكمال الممكن فى حقها من غزارة لبن وجمال صورة وكثرة لحم وصوف ذكره النووى . وفيه النهى عن كرائم الأموال ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٣) قوله (واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) . أى احذر دعوة المظلوم واجعل بينك وبينها وقاية بالعدل وترك الظلم . وفيه التحذير من الظلم مطلقا واتقاء دعوة المظلوم والإخبار بأنها لا تحجب قال المصنف رحمه الله : فعلى العامل أن لا يأخذ زيادة على الحق ولا يحابى بترك شىء منه

أخرجاه(١) . ولهما عن سهل بن سعد(٢) رضى الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال يوم خَيْبَرَ « لأعطينّ الرايةَ غداً رجُلًا يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ

(١) قوله (أخرجاه) ، أى البخارى ومسلم واعلم أنه لم يذكر فى الحديث الصوم والحج فأشكل ذلك على كثير من العلماء . قال شيخ الإسلام : أجاب بعضهم أن بعض الرواة اختصر الحديث وليس كذلك ، فإن هذا طعن فى الرواة لأن ذلك إنما يقع فى الحديث الواحد مثل حديث وفد عبد القيس حيث ذكر بعضهم الصيام وبعضهم لم يذكره . فأما الحديثان المنفصلان فليس الأمر فيهما كذلك ولكن عن هذا جوابان : أحدهما أن ذلك بحسب نزول الفرائض ، وأول ما فرض الشهادتان ثم الصلاة فإنه أمر بالصلاة فى أول أوقات الوحى ، ولهذا لم يذكر وجوب الحج كعامة الأحاديث إنما جاء فى الأحاديث المتأخرة . الجواب الثانى أنه كان يذكر فى كل مقام ما يناسبه فيذكر تارة الفرائض التى يقاتل عليها كالصلاة والزكاة ويذكر تارة الصلاة لمن لم يكن عليه زكاة ويذكر تارة الصلاة والزكاة والصوم فإما أن يكون قبل فرض الحج ، وإما أن يكون المخاطب بذلك لاحج عليه ، وأما الصلاة والزكاة فلهما شأن ليس لسائر الفرائض، ولهذا ذكر الله تعالى فى كتابه القتال عليهما لأنهما عبادتان ظاهرتان بخلاف الصوم فإنه أمر باطن من جنس الوضوء والاغتسال من الجنابة ونحو ذلك مما يؤتمن عليه العبد ، فإن الإنسان يمكنه أن لا ينوى الصوم وأن يأكل سراً كما يمكنه أن يكتم حدثه وجنابته ، وهو ﷺ يذاكر فى الأعمال الظاهرة التى يقاتل الناس عليها ويصيرون مسلمين بفعلها فلهذا علق ذلك بالصلاة والزكاة دون الصوم وإنه كان واجبا ، كما فى آيتى براءة نزلت بعد فرض الصيام باتفاق الناس ، وكذلك لما بعث معاذاً إلى اليمن لم يذكر فى حديثه الصوم لأنه تبع وهو باطن ولا ذكر الحج لأن وجوبه خاص ليس بعام ولا يجب فى العمر إلا مرة . انتهى بمعناه ، قاله فى فتح المجيد

(٢) قوله (ولهما - أى البخارى ومسلم - عن سهل بن سعد) بن مالك بن خالد الأنصارى الخزرجى (الساعدى) أبى العباس صحابى شهير وأبوه صحابى أيضاً ، مات سنة ثمان وثمانين وقد جاوز المائة (أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح =

ويُحِبُّهُ اللهُ ورسولُهُ (١)

= الله على يديه » فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال « أين على بن أبى طالب » فقيل هو يشتكى عينيه ، فأرسلوا اليه فأتى به فبصق فى عينيه ودعا له فبرأ ، كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية وقال « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم » . يدكون أى يخوضون وفى الصحيحين عن سلمة من الأكوع قال : كان على رضى الله عنه قد تخلف عن النبى ﷺ يوم خيبر فقال: أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ فخرج فلحق بالنبى ﷺ فلما كان مساء الليلة التى فتحها الله عز وجل فى صباحها قال النبى ﷺ « لأعطين الراية - أو ليأخذ الراية - غداً رجل يحب الله ورسوله - أو قال - يحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه » فاذا نحن بعلى وما نرجوه فقالوا : هذا على فأعطاه رسول الله ﷺ الراية ففتح الله عليه . والراية بمعنى اللواء وهو العلم الذى يحمل فى الحرب يعرف به موضع صاحب الجيش وقد يحمله أمير الجيش وقد يدفعه لمقدم العسكر . وقد صرح جماعة من أهل اللغة بترادفهما لكن روى الإمام أحمد والترمذى من حديث ابن عباس : كانت راية رسول الله ﷺ سوداء ولواؤه أبيض ومثله عند الطبرانى عن بريدة وعند ابن عدى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، وزاد : مكتوب فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وهو ظاهر فى التغاير واعل التفرقة بينهما عرفية قاله فى الشرح

(١) قوله (يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله) فيه فضيلة على رضى الله عنه قاله المصنف . وقال شيخ الإسلام ليس هذا الوصف مختصا بعلى ولا بالأئمة فان الله ورسوله يحب كل مؤمن تقى يحب الله ورسوله ، ولكن هذا الحديث من أحسن ما يحتج به على النواصب الذين لا يتولونه أو يكفرونه أو يفسقونه كالخوارج ، لكن هذا الاحتجاج لا يتم على قول الرافضة الذين يجعلون النصوص الدالة على فضائل الصحابة كانت قبل ردتهم فإن الخوارج تقول فى على مثل ذلك لكن هذا باطل فان الله ورسوله لا يطلق مثل هذا المدح على من يعلم الله أنه =

يفتحُ اللهُ على يديه »[1] فبات النـــاسُ يدُوكُونَ ليلتهم[2] أيُّهم يُعطاها[3] ، فلما أصبحوا غَدَوا[4] على رسول الله ﷺ ، كلُّهم يرجو أن يعطاها ، فقال « أينَ عليُّ بنُ أبي طالب[5] ؟ » فقيل : هو يشتكي

= يموت كافراً . فإن قيل إذا كان هذا ليس من خصائص على فلم تمنى بعض الصحابة أن يكون له ذلك ؟ أجاب شيخ الإسلام بأنه إذا شهد النبي ﷺ لمعين بشهادة أو دعا له بدعاء أحب كثير من الناس أن يكون له مثل تلك الشهادة ، ومثل ذلك الدعاء وإن كان النبي ﷺ يشهد بذلك لخلق كثير ويدعو لخلق كثير وهذا كالشهادة بالجنة لثابت بن قيس وعبد الله بن سلام ، وإن كان قد شهد بالجنة لآخرين ، والشهادة بمحبة الله ورسوله الذى ضرب فى الخمر ، وكان تعيينه لذلك المعين من أعظم فضائله ومناقبه . وفيه إثبات المحبة خلافاً للجهمية ومن أخذ عنهم

(١) قوله (يفتح الله على يديه) صريح فى البشارة بحصول الفتح فهو علم من أعلام النبوة

(٢) قوله (فبات الناس يدوكون ليلتهم) بنصب ليلة ، ويدوكون قال المصنف : يخوضون . أى فيمن يدفعها اليه . وفيه : حرص الصحابة على الخير واهتمامهم به وعلو مرتبتهم فى العلم والإيمان . وفيه : فضل الصحابة فى دوكهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح ، قاله المصنف رحمه الله

(٣) قوله (أيهم يعطاها) هو برفع أى على البناء لإضافتها وحذف صدر صلتها .

(٤) قوله (فلما أصبحوا غدوا) على رسول الله ﷺ كلهم يرجوا أن يعطاها وفى رواية أبى هريرة عند مسلم أن عمر رضى الله عنه قال : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ

(٥) قوله (فقال أين على بن أبى طالب) فيه سؤال الإمام عن رعيته وتفقد أحوالهم وشهادة النبي ﷺ لعلى بإيمانه باطنا وظاهرا وإثبات موالاته لله تعالى ورسوله ووجوب موالاة المؤمنين له

عينيه[١] ، فأرسلوا إليه فأُتىَ به فبصق فى عَينيه ودعا له[٢] ، فبرأ[٣] كأنْ لم يكن به وجع ، فأعطاه الرايةَ[٤] فقال « انفُذْ على رِسْلِك[٥] حتى تنزلَ بساحتهم[٦] . ثمَّ ادعُهم إلى الإسلام[٧] وأخبرهم بما يجب

---

(١) قوله (فقيل هو يشتكى عينيه) أى من الرمد (فأرسل اليه) مبنى للفاعل أى النبي ﷺ ويحتمل أن يكون مبنيا لما لم يسم فاعله ، وفى صحيح مسلم أن الذى جاء به سعد بن أبى وقاص ، ولمسلم من طريق إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال : فأرسلنى إلى علىّ لجئت به أقوده أرمد

(٢) قوله (فبصق) بفتح الصاد أى تفل (فى عينيه ودعا له)

(٣) قوله (فبرأ) - هو بفتح الراء والهمزة - أى عوفى فى الحال عافية كاملة كأن لم يكن به وجع من رمد ولا ضعف بصر ، وعند الطبرانى من حديث على : فما رمدت ولا صدعت منذ دفع النبى ﷺ إلىّ الراية . وفيه أن من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء

وقوله (لأعطين الراية غداً) علم من أعلام النبوة ، وتفله فى عينيه علم من أعلامها أيضا قاله المصنف

(٤) قوله (فأعطاه الراية) وفيه الإيمان بالقدر لحصولها ، لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى ، قاله المصنف رحمه الله تعالى . وفيه : أن فعل الأسباب المباحة أو الواجبة أو المستحبة لا ينافى التوكل ، قاله فى فتح المجيد

(٥) قوله (وقال « انفذ على رسلك ») بضم الفاء ، أى امض ، ورسلك بكسر الراء وسكون السين أى على رفقك أمره أن يسير اليهم على رفق من غير عجلة . وفيه الأدب فى قوله « على رسلك » قاله المصنف رحمه الله

(٦) قوله (حتى تنزل بساحتهم) ساحتهم ما قرب من حصونهم

(٧) قوله (ثم ادعهم إلى الإسلام) بزيادة ثم كما وقع فى حديث بريدة فى صحيح مسلم ، وذكرها يوهم الابتداء بغير الدعوة إلى الإسلام ، والصواب إسقاطها كما روى أبو داود وأبو عبيد فى كتاب الأموال ، وكما جاء مصرحا بذلك فى حديث ابن عباس الذى فى الصحيحين المذكور أول الباب أن النبى ﷺ لما بعث معاذاً إلى =

عليهم من حقّ الله تعالى فيه[1] ، فوالله لَأَنْ يهدىَ اللهُ بكَ رَجُلا

= اليمن قال « إنك تأتى قوماً من أهل الكتاب فاليكن أول ما تدعوهم اليه شهادة أن لا إله إلا الله » ، وهنا أمره أن يدعوهم إلى الإسلام الذى دلت عليه شهادة أن لا إله إلا الله ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة . وهكذا ينبغى لأهل الإسلام أن يكون قصدهم بالجهاد هداية الخلق إلى الإسلام والدخول فيه ، وينبغى لولاة الأمر أن يكون هذا معتمدهم ومرادهم ونيتهم . وفيه الدعوة إلى الإسلام قبل القتال وأنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا ، قاله المصنف رحمه الله ، لكن إن كانوا قد بلغتهم الدعوة جاز قتالهم ابتداء لأن النبي ﷺ أغار على بنى المصطلق وهم غادون ، قاله فى فتح المجيد

قال شيخ الإسلام : والإسلام هو الاستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له ، كذا قال أهل اللغة ، وقال دين الإسلام الذى ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده فأصله فى القلب والخضوع لله وحده بعبادته دون ما سواه فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما ، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلما . وأما الإيمان فأصله تصديق القلب وإقراره ومعرفته فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب انتهى

(١) قوله (وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه) ، أى فى الإسلام كالصلاة والزكاة وغيرهما مما أمر الله به وشرعه من حقوق لا إله إلا الله . وفيه الدعوة بالحكمة لقوله أخبرهم بما يجب عليهم ومعرفة حق الله فى الإسلام ، قاله المصنف رحمه الله . وهذا مما يدل على أن الأعمال من الإيمان خلافاً للأشاعرة والمرجئة فى قولهم أنه القول ، وزعموا أن الإيمان مجرد التصديق . وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه « فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها » . ولما قاتل أبو بكر الصديق مانعى الزكاة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، قال له عمر : كيف تقاتلهم وقد قال رسول الله ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » ؟ قال أبو بكر : إن الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها . فدل على أن النطق بكلمتى الشهادة دليل العصمة لا أنه عصمة ، أو يقال هو العصمة لكن بشرط العمل

واحداً خيرٌ لك من حُمُر النَّعَم[1] ، يَدُوكون : أي يخوضون

٦ - باب

تفسير التوحيد ، وشهادةِ أنْ لا إلٰه إلا الله[2]

وقول الله تعالى ﴿ أُولـٰئِكَ الذينَ يَدْعونَ يَبْتَغُون إلى ربِّهِم الوسيلةَ[3] أيُّهُم أقربُ ﴾ الآية ، وقوله ﴿ وَإِذ قال إبراهيمُ لأبيه

---

(١) قوله (فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم) بضم الحاء وسكون الميم ، والنعم بفتح النون والعين المهملة وهى أنفس الأموال عند العرب . وفيه الحلف على الفتيا وثواب من اهتدى على يديه رجل واحد ، قاله المصنف رحمه الله تعالى . وفيه تشبيه أمور الآخرة بأمور الدنيا للتقريب إلى الأفهام وإلا فذرة من الآخرة خير من الدنيا وأمثالها ، قاله النووى

(٢) قوله باب (تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله) عطف الشهادة على التوحيد من عطف الدال على المدلول ، لأن التوحيد هو مقتضى هذه الكلمة العظيمة الذى دلت عليه

(٣) قوله (وقول الله تعالى ﴿ قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون - وفى قراءة ابن زيد تدعون - يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾ الآية) أخبر تعالى فى هذه الآيات أن الذين يدعونهم من الملائكة والأنبياء والصالحين لا يملكون كشف الضر عمن دعاهم - أى إزالته - بالكلية ولا تحويله من مكان إلى مكان ولا من صفة إلى صفة ، وتحويلا : نكرة تعم جميع أنواع التحويل ، وأنهم ﴿ يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾ والذى يدعوهم قد عكس الأمر وطلب منهم ما لا قدرة لهم عليه ، وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة . وروى البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم . وقال السدى عن أبى صالح عن ابن عباس قال : عيسى وأمه وعزير والشمس والقمر . وقال مجاهد : عيسى وعزير والملائكة

=

وقومه ﴿ إننى بَرَاءٌ مما تعبُدون إلّا الذى فَطَرنى ﴾ الآية[1] وقوله ﴿ اتَّخذوا أحبارَهم ورُهبانَهم أرْباباً مِن دُونِ اللهِ ﴾ الآية[2] ، وقوله :

= قال شيخ الإسلام : وهذه الأقوال كلها حق ، فإن الآية تعم كل من كان معبوده عابداً لله سواء كان من الملائكة أو من الجن أو البشر ، والسلف يذكرون فى تفسيرهم جنس المراد بالآية على نوع التمثيل كما يقول الترجمان لمن سأله عن معنى الخبز فيريه رغيفا فيقول هذا فالإشارة إلى نوعه لا إلى عينه ، وليس مرادهم بذلك تخصيص نوع دون نوع مع شمول الآية للنوعين ، فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعواً وذلك المدعو يبتغى إلى الله الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه انتهى وفى هذه الآية الرد على من يدعو صالحا ويقول أنا لا أشرك بالله شيئا ، الشرك عبادة الأصنام

(١) **قوله** (وقول الله تعالى ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إننى براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى فإنه سيهدينى وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون ﴾) يخبر تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء أنه تبرأ من أبيه وقومه فى عبادتهم الأوثان ، فقال : إننى براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى فعبر عن هذه الكلمة العظيمة لا إله إلا الله بمعناها الذى دلت عليه ووضعت له من البراءة من كل ما يعبد من دون الله كالكواكب والأصنام والأوثان والأنداد التى يعبدها المشركون ، فعبر عن المنفى بها بقوله إننى براء مما تعبدون ، وعبر عما أثبته بقوله إلا الذى فطرنى ، فلم يستثن فى المعبودات إلا الذى فطره . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة

وقوله ﴿ فإنه سيهدين ﴾ لدينه

قوله ﴿ وجعلها ﴾ يعنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله كلمة باقية فى عقبه أى فى ذريته ، قال قتادة : لا يزال فى ذريته من يعبد الله ويوحده لعلهم يرجعون اليها ، وقال السدى : لعلهم يتوبون ويرجعون إلى طاعة الله عز وجل

(٢) وقوله (تعالى ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ الآية) الأحبار : هم العلماء ، والرهبان : هم العباد ، أى اتخذوا علماءهم وعبادهم أربابا من دون الله فى اتباعهم فى تحريم ما أحل الله ، وتحليل ما حرم . وهذه الآية قد فسرها رسول الله ﷺ لعدى بن حاتم ، وكان عدى من متنصرة العرب . فإن =

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللهِ ﴾[1]

= العرب قبل مبعث النبي ﷺ منهم من تنصر ، ومنهم من تهود ، ومنهم من تمجس ، ومنهم من بقي على وثنيته ، فكان عدى من متنصرة العرب ، ولما جاء مسلما دخل على رسول الله ﷺ فقرأ عليه هذه الآية ، قال : فقلت : إنهم لم يعبدوهم . قال : بلا إنهم حرموا عليهم الحلال وحللوا لهم الحرام ، فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم ، رواه أحمد والترمذى وحسنه ، قال السدى استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم . قال شيخ الإسلام : وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا حيث أطاعوهم فى تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله ، يكونون على وجهين ، أحدهما : أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على هذا التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله اتباعا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر ، وقد جعله الله ورسوله شركا وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم ، فكأن من اتبع غيره فى خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركا مثل هؤلاء . الثانى : أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتا لكنهم أطاعوهم فى معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصى التى يعتقد أنها معاصى فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب كما قد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال « إنما الطاعة فى المعروف » انتهى

قوله (والمسيح بن مريم) أى اتخذوه رباً بعبادتهم له من دون الله ، ولهذا قال تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا إلاهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ فيسمى الله طاعتهم فى معصيته عبادة لهم وسماهم أربابا . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة قال تعالى ﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ؟ ﴾ وقد عظمت الفتنة بالشرك المنافى للتوحيد لما حدث الغلو فى الأموات وتعظيمهم بالعبادة حتى عاد المعروف منكراً والمنكر معروفاً والبدعة سنة والسنة بدعة ، لنشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير ، كما جاء فى الحديث « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس - وفى رواية - يصلحون ما أفسد الناس »

(١) قوله تعالى (﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم =

= كحب الله ، والذين آمنو أشد حباً لله ﴾ الآية) الأنداد : الأمثال والنظراء ، قاله غير واحد من المفسرين قال العماد ابن كثير رحمه الله يذكر تعالى حال المشركين به فى الدنيا ومالهم فى الدار الآخرة حيث جعلوا لله أنداداً أى أمثالا ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه وهو الله لا إله إلا هو ولا ضد له ولا ند له ولا شريك له . وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قلت : يا رسول الله أى الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » قلت : ثم أى ؟ قال « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » الحديث

وقوله (يحبونهم كحب الله) قال شيخ الإسلام فى قوله ﴿ يحبونهم كحب الله ﴾ قولان أحدهما : أنهم يحبونهم كما يحبون الله فيكون قد أثبت لهم محبة الله ، ولكنها محبة أشركوا فيها مع الله أندادهم . والثانى : أن المعنى يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون الله ، وهذا متناقض وهو باطل ، فان المشركين لا يحبون الأنداد مثل محبة المؤمنين الله . ثم بين تعالى أن محبة المؤمنين لله أشد من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم وإنما ذموا بأن شركو بين الله وبين أندادهم فى المحبة ولم يخلصوها لله كمحبة المؤمنين له ، كما أخبر الله عنهم وهم فى النار ، أنهم يقولون لآلهتهم وأندادهم وهى محضرة معهم فى العذاب : ﴿ تالله إن كنا لفى ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين ﴾ ومعلوم أنهم ما سووهم به فى الخلق والربوبية وإنما سووهم به فى المحبة والتعظيم . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة . قال ابن القيم فى الكافية الشافية :

والله ما ساووهم بالله فى ... خلق ولا رزق ولا إحسان
لكنهم ساووهم بالله فى ... حب وتعظيم وفى إيمان
جعلوا محبتهم مع الرحمن ما ... جعلوا المحبة قط للرحمان

قوله ﴿ ولو يرى الذين ظلموا ﴾ والمراد بالظلم هنا الشرك كقوله ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾

وقوله ﴿ إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا ﴾ قال بعضهم تقدير الكلام لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذ أن القوة لله جميعا أى أن الحكم له وحده لا شريك =

فى الصحيح[1] عن النبى ﷺ أنه قال « مَن قال لا إلٰه إلا اللهُ وكفرَ بما يُعبَدُ من دون اللهِ[2] حرُمَ مالُهُ ودمُه، وحِسابُهُ على الله

= له فان جميع الأشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه وإن الله شديد العذاب، كما قال تعالى ﴿ فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد ﴾

وقوله ﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ﴾ كما قال تعالى ﴿ وقال الذين حق عليهم القول - يعنى الشياطين والمردة والدعاة إلى الكفر - ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا برأنا اليك ما كانوا إيانا يعبدون ﴾ فشهدوا عليهم أنهم أغووهم ثم تبرأوا من عبادتهم

(١) قوله (فى الصحيح) أى صحيح مسلم عن أبى مالك الأشجعى واسمه سعد بن طارق كوفى فقد مات فى حدود الاربعين عن أبيه طارق بن أشيم بالمعجمة والمثناة التحتية وزن أحمر ، ابن مسعود الأشجعى صحابى له أحاديث قال مسلم لم يرو عنه غير ابنه . (عن النبى ﷺ) أنه قال « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل » ورواه الإمام أحمد من طريق يزيد بن هرون ، قال : أخبرنا أبو مالك الأشجعى عن أبيه ، ورواه أحمد عن عبد الله بن إدريس قال : سمعت أبا مالك قال : قلت لأبى الحديث . ورواية الحديث بهذا اللفظ تفسر لا إله إلا الله

(٢) قوله (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله) اعلم أن النبى ﷺ علق عصمة المال والدم فى هذا الحديث بأمرين ، الأول : قول لا إله إلا الله عن علم ويقين كما هو قيد فى قولها فى غير ما حديث كما تقدم . الثانى : الكفر بما يعبد من دون الله ، فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى بل لا بد من قولها والعمل بها . وفيه معنى ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾ قاله فى فتح المجيد . وفيه أكبر المسائل وأهمها وهو تفسير التوحيد وتفسير الشهادة وبينها بأمور واضحة . منها آية الأسرى ، بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر . ومنها آية براءة ، بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من =

عز وجل »

= دون الله وبين أنهم لم يؤمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً مع أن تفسيرها الذى لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد فى المعصية لا دعاؤهم إياهم . ومنها قول الخليل عليه السلام للكفار : ﴿ إننى براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى ﴾ فاستثنى من المعبودين ربه ، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هى تفسير شهادة أن لا إله إلا الله ، فقال : ﴿ وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون ﴾ . ومنها آية الكفار الذين قال الله فيهم ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾ ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله ، فدل على أنهم يحبون الله حبا عظيما ولم يدخلهم فى الإسلام فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله . ومنها قوله ﷺ « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله » وهذا من أعظم مايبين معنى لا إله إلا الله ، فانه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه . فيالها من مسئلة ما أعظمها وأجلها ، وياله من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع قاله المصنف رحمه الله تعالى

قال شيخ الإسلام كل طائفة امتنعت عن بعض الصلوات المفروضات أو الزكاة أو الصيام أو الحج أو عن تحريم الدماء والأموال أو الخمور أو الميسر أو نكاح ذوات المحارم أو عن التزام جهاد الكفار أو غير ذلك من واجبات الدين أو محرماته التى يكفر الواحد بجحدها تقاتل وإن كانت مقرة بها ، هذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء وهؤلاء عند المحققين ليسوا بمنزلة البغاة بل هم خارجون عن الإسلام ، انتهى ملخصا . وقد أجمع العلماء على أن من قال لا إله إلا الله ولم يعتقد معناها ولم يعمل بمقتضاها أنه يقاتل حتى يعمل بما دلت عليه من النفى والإثبات . قال أبو سليمان الخطابى فى قوله « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » معلوم أن المراد بهذا أهل عبادة الأوثان دون أهل الكتاب لأنهم يقولون لا إله إلا الله ثم يقاتلون ، ولا يرفع عنهم السيف وقال القاضى =

٧ - باب

مِنَ الشرك لُبسُ الحلقة والخيط ونحوِهما لرفع البلاء أو دفعه(1)

وقول الله تعالى ﴿ قُل أفرأيتم ما تَدْعون من دون الله إن

= عياض : اختصاص عصمة المال والنفس بمن قال لا إله إلا الله تعبير عن الإجابة إلى الإيمان ، وأن المراد بذلك مشركو العرب من أهل الأوثان فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفى فى عصمته بقول لا إله إلا الله إذ كان يقولها فى كفره ، انتهى ملخصا .

قوله (وحسابه على الله عز وجل) أى الله تعالى هو الذى يتولى حسابه فإن كان صادقا جازاه بجنات النعيم وإن كان منافقا عذبه العذاب الأليم . وأما فى الدنيا فالحكم على الظاهر

قوله (وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب . وذلك أن ما بعدها من الأبواب فيه بيان التوحيد وما يوضح معنى لا إله إلا الله ، وبيان أشياء كثيرة من الشرك الأكبر والأصغر وما يوصل إلى ذلك من الغلو والبدع مما تركه من مضمون لا إله إلا الله ، فمن عرف ذلك وتحققه تبين له معنى لا إله إلا الله وما دلت عليه من الإخلاص ونفى الشرك انتهى

(١) قوله باب (من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما) كالخرز والودع (لرفع البلاء) بعد نزوله (أو دفعه) قبل أن ينزل به ، فمن تعلق قلبه بشىء من هذه الأمور فهذا شرك بالله ، لأنه سبحانه هو الذى يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . لا إله غيره ، ومن هنا بدأ المصنف رحمه الله فى بيان ما وعد به فى قوله وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب فذكر شيئا فما يضاد التوحيد من أنواع الشرك الأكبر وما ينافى كماله من الشرك الأصغر وما يوصل إلى ذلك من الغلو والبدع مما تركه من مضمون لا إله إلا الله فبدأ بالشرك الأصغر الاعتقادى فقال : =

أَرادَنِىَ اللهُ بِضُرٍّ هل هنَّ كاشِفاتُ ضُرِّهِ (١) ﴾ الآية

عن عِمْرانَ بن حُصَين رضى الله عنهُ أنَّ النبى ﷺ رأى رجلا فى يده حَلقة من صُفْر فقال « ماهذه » ؟ قال : من الواهنة . فقال : « انزِعْها فإنها لا تزيدُكَ إلا وَهناً ، فإنكَ لو مُتَّ وهى عليك ما أَفلحتَ أَبداً (٢) »

---

(١) وقول الله تعالى (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله بضر) أى مرض أو فقر أو بلاء أو شدة (هل هن كاشفات ضره) أى لا يستطيعون ذلك ﴿ قل حسبى الله ﴾ أى الله كافينى ﴿ عليه يتوكل المتوكلون ﴾ قال مقاتل فسألهم النبى ﷺ فسكتوا لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها بل يعلمون أن القادر على ذلك هو الله وحده كما قال تعالى ﴿ ما يفتح الله الناس فى رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده ﴾ وهذا شأن كل من يدعى من دون الله من الملائكة والأنبياء والصالحين لا يملك أحد منهم كشف ضر ولا إمساك رحمة فبطلت دعوتهم ودعوة غيرهم فى الأصنام والآلهه أبطل لأنهما جماد ولا تعقل شيئاً . ومن هذا القبيل لبس الحلقة والخيط ونحوهما ، لا تستطيع دفع البلاء ولا رفعه فاستدل المصنف رحمه الله تعالى بالآية التى نزلت فى الشرك الأكبر على الأصغر ، كما فعل حذيفة لما رأى رجلا فى يده خيط من الحمى فقطعه ، وتلا قوله تعالى ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة

(٢) قوله (وعن عمران بن حصين) بن عبيد بن خلف الخزاعى أبو نجيد ، بنون وجيم مصغر ، صحابى ابن صحابى ، أسلم عام خيبر ومات سنة اثنين وخمسين بالبصرة (أن النبى ﷺ رأى رجلا فى يده حلقة من صفر هو عمران بن حصين راوى الحديث ، كما رواه الحاكم قال : دخلت على رسول الله ﷺ وفى يدى (حلقة من صفر فقال ماهذه ؟) يحتمل أن يكون الاستفهام للاستفصال عن سبب لبسها ، ويحتمل أن يكون للإنكار وهو أظهر (قال من الواهنة) وهى عرق يأخذ =

رواه أحمد بسند لا بأس به[1] ، وله عن عُقبة بن عامر رضى الله عنه

= بالمنكب وفى اليد كلها فيرقى منها، وقيل هو مرض يأخذ فى العضد وربما علق عليها جنس من الخرز يقال له خرز الواهنة وهى تأخذ الرجال دون النساء (فقال النبى ﷺ انزعها) فأمره بنزعها. والنزع الجذب بقوة (فإنها لا تزيدك إلا وهناً) لأن المشرك يعامل بنقيض قصده (فإنك لو مت وهى عليك ما أفلحت أبداً) والفلاح الفوز والظفر والسعادة. أى ما فزت ولا ظفرت ولا سعدت . وفيه التغليظ فى لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك ، وأن الصحابى لو مات وهى عليه ما أفلح أبداً . وفيه شاهد لكلام بعض الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر ، وأنه لم يعذر بالجهالة ، وأنها لا تنفع فى العاجل بل تضر ، لقوله « لا تزيدك إلا وهناً » والإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك والتصريح بأن من تعلق شيئاً وكل إليه ، قاله المصنف رحمه الله

قلت : ومن هذا القبيل ما يسمى بالمعضد الذى يؤتى به من الخارج ويلبس فى الشمال عن الروماتزم . ومنه أيضاً الحلق الذى يتخذ من الذهب أو الفضة ويُلبسه أحد الزوجين الآخر ليلة الزفاف لئلا تقع بينهما فرقة ويسمونه بالشبكة أو الدبلة . ومن التطعيم الذى يستعمل لبعض الأمراض كالجدرى والكليرا وغيرهما لدفعها لا تقع فيجب النهى عن ذلك كله لأنه من أنواع الشرك الأصغر الاعتقادى وهو أكبر من الكبائر

(١) وقوله (رواه الإمام أحمد بسند لا بأس به) الإمام أحمد : وهو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل إمام أهل عصره وأعلمهم بالفقه وأشدهم ورعاً ومتابعة للسنة ، يقول فى حقه بعض أهل السنة عن الدنيا ما كان أصبره ، وبالماضين ما كان أشبهه ، أتته الدنيا فأباها ، والشبه فنفاها . ولد ببغداد سنة أربع وستين ومائة فى شهر ربيع الأول ، وطلب العلم سنة وفاة مالك وهى سنة تسع وسبعين فسمع من هشيم وجرير بن عبد الحميد وسفيان بن عيينة ويحى بن سعيد القطان ومحمد بن إدريس الشافعى ويزيد بن هرون وعبد الرزاق وعبد الرحمن بن مهدى وخلق لا يحصون بمكة والبصرة والكوفة وبغداد واليمن وغيرها من البلاد ، وروى عنه إبناه صالح وعبد الله ، والبخارى ومسلم وأبو داود وإبراهيم الحربى =

مرفوعا « من تعلَّق تميمةَ فلا أتمَّ الله له ، ومن تعلّقَ وَدَعَة فلا وَدَع اللهُ له »[1] . وفى رواية « من تعلق تميمة فقد أشرك »[2] ولابن

= وأبو زرعة الرازى وأبو زرعة الدمشقى وابن أبى الدنيا وأبو بكر الأثرم وعثمان ابن سعيد الدارمى وأبو القاسم البغوى وهو آخر من حدث عنه ، وروى عنه من شيوخه عبد الرحمن بن مهدى والأسود بن عامر ، ومن أقرانه على بن المدينى ويحى ابن معين . قال البخارى . مرض أحمد ليلتين خلتا من ربيع الأول ومات يوم الجمعة لاثنتى عشرة خلت منه . وقال حنبل مات يوم الجمعة فى ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة . وقال ابن عبد الله بن الفضل بن زياد . مات ثانى عشر ربيع الآخر رحمه الله ورضى عنه

قوله (وله ـ أى الإمام أحمد ـ عن عقبة بن عامر وهو صحابى مشهور فقيه فاضل ، ولى إمارة مصر لمعاوية ثلاث سنين ومات قريبا فى الستين .

(١) قوله (مرفوعا ـ أى إلى النبى ﷺ ـ « من تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له ») رواه أيضاً أبو يعلى والحاكم ، وقال صحيح الإسناد وأقره الذهبى

والتميمة جمعها تمائم ، وهى خرزات كانت العرب تعلقها على أولادها يتقون بها العين على زعمهم

وقوله : (فلا أتم الله له) مقصوده : ومن تعلق ودعة ، بفتح الواو وسكون الدال المهملة قال فى مسند الفردوس شئ يخرج من البحر يشبه الصدف يتقون به العين

قوله (فلا ودع الله له) أى لاجعله فى دعة ولا سكون ، وقيل لا خفف الله عنه ما يجده ، ولا أمنه مما يخافه . وهذا دعاء عليه

(٢) قوله (وفى رواية : من تعلق تميمة فقد أشرك) رواه أحمد أيضا فقال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم ، حدثنا يزيد بن أبى منصور عن دجين الحجرى عن عقبة بن عامر الجهنى أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد ، فقالوا يا رسول الله بايعت تسعة وأمسكت عن هذا ، فقال « إن عليه تميمة ، فأدخل يده فقطعها فبايعه . =

أبى حاتم عن حُذيفة رضى الله عنــه أنه رأى رجلا فى يده خيطٌ من الحُمَّىٰ فقطعه وتلا قوله تعــالى ﴿ وما يُؤْمِنُ أكثرُهم بالله إلّا وهم مُشركون ﴾ (١)

= وقال « من تعلق تميمة فقدأشرك » ورواه الحاكم بنحوه ، ورواته ثقات (ولابن أبى حاتم) وهو الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى التميمى الحنظلى صاحب الجرح والتعديل والتفسير وغيرهما ، مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة . (عن حذيفة) بن اليمان واسمه حسيل بمهملتين مصغراً ويقال حسل بكسر ثم سكون ، العبسى بالموحدة ، حليف الأنصار صحابى جليل من السابقين ، ويقال له صاحب السر ، وأبوه أيضا صحابى . مات حذيفة فى أول خلافة على رضى الله عنه سنة ست وثلاثين

(١) قوله (أنه رأى رجلا فى يده خيط من الحمى) أى من أجل الحمى . وكان الجهال يعلقون التمائم والخيوط ونحوها لدفع الحمى ، فروى وكيع عن حذيفة أنه دخل على مريض يعوده فلمس عضده فإذا فيه خيط ، فقال : ما هذا ؟ قال : شىء رقى لى فيه (فقطعه) حذيفة وقال : لو مت وهو عليك ما صليت عليك . وفيه إنكار مثل هذا وإن كان يعتقد أنه سبب ، فالأسباب لا يجوز منها إلا ما أباحه الله ورسوله مع عدم الاعتماد عليها ، وأما التمائم والخيوط والحروز والطلاسم ونحو ذلك مما يعلقه الجهال فهو شرك يجب إنكاره وإزالته بالقول والفعل وإن لم يأذن فيه صاحبه (وتلى ـ حذيفة ـ قوله تعالى ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) . ففيه الاستدلال على الشرك الأصغر بما أنزل الله فى الشرك الأكبر لشمول الآية له ودخوله فى مسمى الشرك . وفيه التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك ، وأن تعليق الخيط عن الحمى من ذلك وتلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التى فى الشرك الأكبر على الأصغر ، كما ذكر ابن عباس فى آية البقرة ، وأن تعليق الودع عن العين من ذلك ، والدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له ، أى ترك له . قاله المصنف رحمه الله تعالى

٨ - باب

ما جاء فى الرُّقَى والتمائم (١)

فى الصحيح عن أبى بَشير الأنصارى (٢) رضى الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره فأرسل رسولا أن لا يَبقَيَنَّ (٣) فى رقبة بعير قلادةٌ من وَتَر أو قلادة إلا قُطعت (٤) . وعن ابن مسعود

---

(١) قوله (باب ما جاء فى الرقى والتمائم) أى من النهى عن التمائم وما لا يجوز من الرقى

(٢) قوله (فى الصحيح عن أبى بشير) بفتح الموحدة وكسر المعجمة ، (الأنصارى) واسمه قيس بن عبيد ، قاله ابن سعد ، وقال ابن عبد البر لا يوقف له على اسم صحيح وهو صحابى شهد الخندق ومات بعد الستين ، ويقال إنه جاوز المائة رضى الله عنه (أنه كان مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره) قال الحافظ ابن حجر لم أقف على تعيينه (فأرسل رسولا) هو زيد بن حارثة ، روى ذلك الحارث بن أبى أسامة فى مسنده . قاله الحافظ ابن حجر

(٣) قوله (أن لا يبقين) بفتح الياء والقاف ويحتمل أن يكون بضم الياء المثناة وكسر القاف (فى رقبة بعير قلادة من وتر) بفتحتين واحد أوتار القوس . وكان أهل الجاهلية إذا اخلولق الوتر أبدلوه بغيره وقلدوا به الدواب اعتقاداً منهم أنه يدفع عن الدابة العين ، فأمر النبى ﷺ بقطع الأوتار التى علقت على الإبل لما كان أهل الجاهلية يعتقدونه فيها

(٤) قوله (أو قلادة إلا قطعت) يحتمل أن ذلك شك من الراوى ، ولأبى داود « ولا قلادة » بغير شك ، فعلى هذه الرواية تكون « أو » بمعنى الواو ، قال البغوى فى شرح السنة : تأول مالك أمره عليه السلام بقطع القلائد على أنه من أجل العين ، وذلك أنهم كانوا يشدون تلك الأوتار والتمائم والقلائد ويعلقون عليها العوذ يظنون أنها تعصمهم من الآفات فنهاهم النبى ﷺ عنها وأعلمهم أن الأوتار لا ترد من أمر الله شيئا

رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الرُّقَى والتمائم والتِّوَلَة شِرك » رواه أحمد وأبو داود[1] .

= قلت : ومن هذا ما يفعله بعض الجهال من وضع رأس حمار ميت على باب بستانه أو شجرة صبار أو نعل قديمة على باب بيته لدفع العين ، وما يفعله بعض النساء من وضع رسم صليب على جبهة ولدها ، وهذا كله من الشرك الأصغر الاعتقادى المحرم ، ولا يرد من قدر الله شيئا

(١) قوله (وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرقى والتمائم والتولة شرك » رواه أحمد وأبو داود) وفيه قصة ولفظ أبي داود عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود أن عبد الله رأى فى عنق خيطا فقال : ما هذا ؟ قلت : خيط رقى لى فيه . قالت : فأخذه فقطعه ثم قال : أنتم آل عبد الله الأغنياء عن الشرك ! سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الرقى والتمائم والتولة شرك » فقلت : لقد كانت عينى تقذف ، وكنت أختلف إلى فلان اليهودى فإذا رقاها سكنت ، فقال عبد الله : إنما ذلك الشيطان كان ينخسها بيده فإذا رقى كف عنها ، إنما كان يكفيك أن تقولى كما كان رسول الله ﷺ يقول أذهب الباس رب الناس ، اشف أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما » ، ورواه ابن ماجة وابن حبان والحاكم وقال صحيح ، وأقره الذهبى . فالرقى الموصوفة بكونها شركا هى الرقى التى فيها شرك من دعاء غير الله أو الاستغاثة أو الاستعاذة به وكالرقى بأسماء الملائكة والأنبياء والأولياء والجن ونحو ذلك

وقال شيخ الإسلام : حصول الغرض ببعض الأمور لا يدل على إباحته وإن كان الغرض مباحا فإن ذلك الفعل قد يكون فيه مفسدة راجحة على مصلحته والشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها وإلا فجميع المحرمات من الشرك والخمر والميسر والفواحش والظلم قد يحصل لصاحبه به منافع ومقاصد ، لكن لما كانت مفاسدها راجحة على مصالحها نهى الله ورسوله عنها كما أن كثيرا من الأمور كالعبادات والجهاد وإنفاق الأموال قد تكون فيه مضرة لكن لما كانت مصلحته راجحة على مفسدته أمر به الشارع انتهى

قوله (والرقى هي التى تسمى العزائم ، وخص منـه الدليـل ما خلا من الشرك ، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة) كالرقى بالقرآن وأسماء الله وصفاته ودعائه والاستغاثة به وحده لا شريك له فليست ممنوعة بل جائزة أو مستحبة ، كما فى صحيح مسلم عن عوف بن مالك قال : كنا نرقى فى الجاهلية ، فقلنا يا رسول الله كيف ترى فى ذلك ؟ فقال « اعرضوا علىّ رقاكم لا بأس بالرقى مالم يكن فيها شرك » وفيه عن أنس رضى الله عنه قال : رخص رسول الله ﷺ فى الرقية من العين والحمه والنملة ، وقد رقى جبريل النبى ﷺ ، ورقى النبى أصحـابه . قال الخطابى : وكان عليه السلام قد رقى ورقى وأمر بها وأجازها فإذا كانت بالقرآن أو بأسماء الله تعالى فهى مباحة أو مأمور بها وإنما جاءت الكراهة والمنع فيما كان منها بغير لسان العرب فإنه ربما كان كفراً أو قولا يدخله الشرك ، قال : ويحتمل أن يكون الذى يكره منها ما كان على مذاهب الجاهلية التى يتعاطونها وأنها تدفع عنهم الآفات ، ويعتقدون ذلك من قبل الجن ومعونتهم انتهى . ولذا قال على رضى الله عنه : إن كثيرا من هذه الرقى والتمائم شرك فاجتنبوه . رواه وكيع وقال ابن التين : الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطب الربانى فإذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله تعالى . فلما عفى عن هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجسمانى وتلك الرقى المنهى عنها التى يستعملها المعزم وغيره ممن يدعى تسخير الجن له فيأتى بأمور مشتبهة مركبة من حق وباطـل يجمع إلى ذكر الله تعالى وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعاذة بهم والتعوذ بمردتهم ، ويقال إن الحية لعداوتها للإنسان بالطبع تصادق الشياطين لـكونهم أعداء بنى آدم ، فإذا عزم على الحية بأسماء الشياطين أجابت وخرجت من مكانها ، وكذلك اللديغ إذا رقى بتلك الأسماء سالت سمومها من بدن الإنسان ، ولذلك تـكره الرقى مالم تـكن بآيات الله وأسمائه خاصة وباللسان العربى الذى يعرب معناه ليكون بريئا من شوب الشرك انتهى

وقال شيخ الإسلام : كل اسم مجهول فليس لأحد أن يرقى به فضلا عن أن يدعو به ولو عرف معناه لأنه يكره الدعاء بغير العربية وإنما يرخص لمن لا يعرف العربية فأما جعل الألفاظ الأعجمية شعاراً فليس من دين الإسلام انتهى . وسئل =

= ابن عبد السلام : عن الحروف المقطعة فمنع منها مالا يعرف لئلا يكون فيه كفر . وقال السيوطى : أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط : أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته وباللسان العربى وبما يعرف معناه وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى

قوله (والتمائم شىء يعلق على الأولاد عن العين) وهذا فى الغالب وإلا فلا فرق بين تعليقها على الأولاد أو الرجال أو النساء أو الدواب أو البيوت أو البساتين ولا فرق فى الشىء المعلق بين أن يكون حلقاً أو خيوطاً أو ودعاً أو خرزاً أو غير ذلك مما اعتيد تعليقه عن العين وكل هذا ونحوه من التمائم محرم لا يجوز لأنه من الشرك الأصغر الاعتقادى وهو أكبر من الكبائر

قوله (لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف) وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص . وظاهر ما روى عن عائشة رضى الله عنها ، وبه قال أبو جعفر الباقر ، وأحمد فى رواية ، وحملوا الحديث على التمائم الشركية وهو ظاهر اختيار ابن القيم (وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهى عنه منهم ابن مسعود) وابن عباس وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة بن عامر وابن عكيم رضى الله عنهم ، وبه قال جماعة من التابعين منهم أصحاب عبد الله بن مسعود وأحمد فى رواية اختارها كثير من أصحابه ، وجزم بها المتأخرون واحتجوا بالحديث وما فى معناه فان ظاهره العموم لم يفرق النبى ﷺ بين التى من القرآن وغيرها ، بخلاف الرقى فقد فرق فيها . قال فى فتح المجيد : هذا هو الصحيح لوجوه ثلاثة تظهر للمتأمل

الأول : عموم النهى ، ولا مخصص للعموم

الثانى : سد الذريعة ، فانه يفضى إلى تعليق ماليس كذلك

والثالث : أنه إذا علق فلا بد أن يمتهنه المعلق بحمله معه فى حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك انتهى . وإذا كان هذا اختلاف العلماء فى تعليق القرآن وأسماء الله وصفاته ، فما ظنك بما حدث من تعليق أسماء الشياطين والتعلق عليهم والاستعاذة بهم والذبح لهم وسؤالهم كشف الضر وجلب النفع مما هو شرك أكبر محض ، فالله المستعان

وعن عبـــد الله بن عُـكَيم مرفوعاً « مَن تعلَّق شيئاً وُكِلَ إليه »
رواه أحمد والترمذى(١)

قوله (والتولة) بكسر المثناة وفتح الواو مخففة ، شئ يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته ، بهذا فسرها ابن مسعود راوى الحديث وهو ضرب من السحر

وقوله (شرك) هنا خبر إن ، وإنما كانت هذه الأمور شركا لأنهم أرادوا بها دفع المقادير المكتوبة ودفع الضر وجلب النفع من غير الله تعالى ، وهذا شرك أصغر ينافى كمال التوحيد وهو أكبر من الكبائر

قوله (رواه أحمد) وتقدمت ترجمته وأبو داود : وهو سليمان بن الأشعث بن إسحق الأزدى السجستانى صاحب الإمام أحمد ومصنف السنن والمراسيل وغيرهما ، ثقة إمام حافظ من كبار العلماء مات سنة خمس وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى ورضى عنه

(١) قوله (وعن عبد الله بن عكيم) بضم العين المهملة وفتح الكاف مصغرا يكنى أبا سعيد الجهنى ، قال البخارى : أدرك النبى ﷺ ولم يعرف له سماع صحيح وكذا قال أبو حاتم ، قال الخطيب سكن الكوفة وقدم المدائن فى حياة حذيفة وكان ثقة ، وذكر ابن سعد عن غيره أنه مات فى ولاية الحجاج

قوله (مرفوعا - أى إلى النبى ﷺ - « من تعلق شيئا وكل اليه » رواه أحمد والترمذى) أى وكله الله إلى ذلك الشئ الذى تعلقه . والتعلق يكون بالقلب وينشأ عنه القول والفعل وهو التفات القلب عن الله إلى شىء يعتقد أنه ينفعه أو يدفع عنه ، قاله فى قرة العيون ، فمن تعلق بالله وأنزل حوائجه به والتجأ اليه وفوض أمره اليه كفاه ويسر له كل عسير ، ومن تعلق بغيره أو سكن إلى رأيه وعقله وتمائمه وكله الله إلى ذلك وخذله ، وروى الإمام أحمد عمن سمع عطاء الخراسانى قال : لقيت وهب بن منبه وهو يطوف بالبيت فقلت حدثنى حديثا أحفظه عنك فى مقامى هذا وأوجز ، قال : نعم أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود « يا داود أما وعزتى وعظمتى لا يعتصم بى عبد من عبادى دون خلقى أعرف ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن إلا جعلت له من بينهن مخرجا ، أما وعزتى وعظمتى لا يعتصم عبد من عبادى بمخلوق دونى =

وروى أحمد عن رُوَيفع[1] قال : قال لى رسول الله ﷺ : « يا رُوَيفِعُ ، لعلَّ الحياة تطول بك ، فأخبرِ الناسَ[2] أنَّ من عَقَدَ

= أعرف ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماء من يديه وأسخت الأرض من تحت قدميه ثم لا أبالى بأى أوديتها هلك ،

(١) قوله (وروى الإمام أحمد عن رويفع) بن ثابت بن السكن بن عدى ابن الحارث الأنصارى، نزل مصر وولى برقة ، قال عبد الغنى ولى طرابلس وافتتح أفريقية سنة سبع وأربعين ، وقال يونس توفى ببرقة سنة ست وخمسين وله ثمانية أحاديث (قال : قال لى رسول الله ﷺ يا رويفع لعل الحياة ستطول بك) فيه علم من أعلام النبوة ، فإن رويفعاً طالت حياته إلى سنة ست وخمسين فمات ببرقة من أعمال مصر أميراً عليها وهو من الأنصار ، وقيل مات سنة ثلاث وخمسين

(٢) قوله (فأخبر الناس) دليل على وجوب إخبار الناس وليس هذا مختصا برويفع بل كل من كان عنده علم ليس عند غيره مما يحتاج اليه الناس وجب إعلامهم به فإن اشترك هو وغيره فى علم ذلك فالتبليغ فرض كفاية ، قاله أبو زرعة

قوله (أن من عقد لحيته) بكسر اللام لا غير . قال الخطابى : وأما نهيه عن عقد اللحية فان ذلك يفسر على وجهين ، أحدهما : ما كانوا يفعلونه فى الحرب ، كانوا يعقدون لحاهم ، وذلك من زى بعض الأعاجم يفتلونها ويعقدونها تكبراً وعجباً . ثانيهما : أن معناه معالجة الشعر ليتعقد ويتجعد ، وذلك من فعل أهل التأنيث . وقال أبو زرعة بن العراقى : الأولى حمله على عقد اللحية فى الصلاة كما دل عليه رواية محمد بن الربيع . وفيه أن من عقد لحيته فى الصلاة أو تقلد وتراً يريد تميمة ، فيه أنه شرك لما كانوا يقصدونه بتقليده

قوله (أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمداً برىء منه) أى من فعله ، قاله النووى . وهذا خلاف الظاهر ، والنووى كثيرا ما يتأول الأحاديث بصرفها عن ظاهرها فيغفر الله له ، قاله فى فتح المجيد . وقد ورد النهى عن الاستنجاء بالروث والعظام فى أحاديث صحيحه : منها ما رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعاً « لا تستنجوا بالروث والعظام فإنه زاد إخوانكم من الجن » =

لحيتَه ، أو تقلد وَتَراً ، أو استنجى برَجِيع دابَّةٍ أو عظمٍ فإن محمداً برىءٌ منه » . وعن سعيد بن جُبير[1] قال « من قَطع تَميمةً من إنسان كان كعَدْلِ رَقبة » رواه وكيع[2] . وله عن إبراهيم قال : كانوا يكرهون التمائمَ كلها ، من القرآن وغير القرآن

= ولما روى ابن خزيمة والدارقطنى عن أبى هريرة رضى الله عنه « نهى أن يستنجى بعظم أو روث » وقال « إنهما لا يطهران »

(١) قوله (وعن سعيد بن جبير قال : « من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة» رواه وكيع) هذا عند أهل العلم له حكم الرفع لأن مثل هذا لا يقال بالرأى فيكون هذا مرسلا لأن سعيداً تابعى قاله فى فتح المجيد . وتعقبه فى إبطال التنديد بأن هذا الحكم عندهم لما أتى عن الصحابة على أن فيه خلافا ، أما ما جاء عن التابعين من هذا فلم يقل بذلك إلا قليل ، ولا نقول على رسول الله ﷺ ما لم نعلم أنه قاله ، ولهذا لم يذكره السخاوى إلا عن ابن العربى ، قال فى شرح الألفية : وقد ألحق ابن العربى بالصحابة فى ذلك ما يجىء عن التابعين مما لا مجال للاجتهاد فيه ، فنص على أنه يكون فى حكم المرفوع وادعى أنه مذهب مالك انتهى .

(٢) وقوله (رواه وكيع) وهو ابن الجراح الكوفى ثقة إمام صاحب تصانيف منها الجامع وغيره ، روى عنه الإمام أحمد وطبقته ، مات سنه سبع وتسعين ومائة

قوله (وله) أى لوكيع (عن إبراهيم) بن يزيد النخعى الكوفى ، يكنى أبا عمران ، ثقة من كبار الفقهاء ، قال المزى : دخل على عائشة ولم يثبت له سماع منها ، مات سنة ست وتسعين وله خمسون سنة أو نحوها

قوله (كانوا) يعنى أصحاب عبد الله بن مسعود كعلقمة والأسود وأبى وائل والحارث بن سويد وعبيدة السلمانى ومسروق والربيع بن خيثم وسويد بن غفلة وغيرهم من سادات التابعين فى زمانهم (يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن) وهذه الصيغة يستعملها إبراهيم فى حكاية أقوالهم . قلت : والكراهة عند السلف كراهة التحريم كما هو المعروف فى نصوص الكتاب والسنة لا كراهة التنزيه المصطلح عليها عند متأخرى الفقهاء . وفيه معرفة تفسير الرقى والتمائم =

٩ - باب

من تبرّك بشجرةٍ أو حجرٍ أو نحوهما[1]

وقول الله تعالى ﴿ أَفَرَأَيتمُ اللَّاتَ والعُزَّى ﴾ الآيات[2]

= وتفسير التولة وأن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء . وإن الرقية بالكلام الحق من العين والحمه ليس من ذلك ، وأن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف فيها العلماء هل هي من ذلك أم لا . وأن تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك والوعيد الشديد على من تعلق وتراً وفضل ثواب من قطع تميمة من إنسان ، وأن كلام إبراهيم لايخالف ما تقدم من الاختلاف لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود ، قاله المصنف رحمه الله

(١) قوله (باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما) كبقعة وقبر ومشهد ونحو ذلك و(من) اسم شرط والجواب محذوف تقديره فقد أشرك . يقال : تبرك يتبرك تبركا إذا طلب البركة أو رجاها أو اعتقدها . والبركة نوعان : أحدهما : بركة هي وصف الرب تعالى تضاف اليه إضافة الرحمة والعزة والفعل ، منها تبارك قال تعالى ﴿ تبارك الله رب العالمين ـ تبارك الذي بيده الملك ﴾ . والثاني : بركة هي فعل الرب تعالى وتقدس ، والفعل منها بارك ويتعدى بنفسه تارة وبأداة على تارة وبأداة فى تارة ، والمفعول منها مبارك وهو ما جعل منها كذلك ، وكان مباركا بجعله تعالى ، يقال : بارك يبارك بركة . قال تعالى ﴿ وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ﴾ وقال ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ﴾ وقال الشاعر

ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى شق كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

(٢) قوله (وقول الله تعالى ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾) قال القرطبي : إن فيها حذفا تقديره أفرأيتم هذه الآلهة هل نفعت أو ضرت حتى تكون شركاء لله . والشاهد من الآيات للترجمة أن أهل الجاهلية إنما عبدوا هذه الأوثان وعظموها لما يعتقدونه ويرجونه ويؤملونه من بركتها وشفاعتها ، وهذا هو الذى يقصده مشركو أزماننا ممن عبدوه سواء بسواء . فالتبرك بالمشايخ =

= وقبور الصالحين كالتبرك باللات ، والتبرك بالأشجار كالتبرك بالعزى ، والتبرك بالأحجار كالتبرك بمناة ، وهذه الأوثان الثلاثة من أعظم أوثان أهل الجاهلية من أهل الحجاز ، فاللات كانت لأهل الطائف ومن حولهم من العرب ، والعزى كانت لقريش وبنى كنانة . ومناة لبنى هلال . وقال ابن هشام : كانت لهذيل وخزاعة . واللات بتخفيف التاء فى قراءة الجمهور وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغيرهم بتشديد التاء فعلى الأول قال الأعمش سموا اللات من الإله ، والعزى من العزيز ، ومناة من المنان . واللات كانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وهم بنو مغيث ، قاله ابن كثير ، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف يفتخرون بهما على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش ، قال ابن هشام : وعلى قراءة التشديد كان رجلا يلتُّ السويق للحاج فمات فعكفوا على قبره ، ذكره البخارى . وروى الفاكهى عن ابن عباس أن اللات لما مات قال لهم عمرو ابن لحىّ إنه لم يمت ولكنه دخل فى الصخرة فعبدوها وبنو عليها بيتاً وكانت فى موضع مسجد الطائف فلما أسلمت ثقيف بعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار . وفيه أن أهل الجاهلية كانوا يعبدون الصالحين مع عبادتهم الأصنام ، قاله فى فتح المجيد . وأما العزى فقال ابن جرير : كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها وعن أبى الطفيل قال : لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى فأتاها خالد وكانت على ثلاث سمرات فقطع السمرات وهدم البيت الذى كان عليها ثم أتى النبى ﷺ فأخبره فقال « ارجع فإنك لم تصنع شيئا » فرجع خالد ، فلما أبصرته السدنة وهم حجبتها أمعنوا فى الجبل وهم يقولون يا عزى يا عزى فأتاها خالد فإذا امرأة ناشرة شعرها تحفن التراب على رأسها فعلاها خالد بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال « تلك العزى » قال ابن هشام: وكانوا يسمعون منها الصوت وكل هذا وما هو أعظم منه يقع فى هذه الأزمنة عند ضرائح الأموات والمشاهد قاله فى فتح المجيد . وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والأوس والخزرج يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة ، وأصل اشتقاقها من اسم الله المنان ، وقيل سميت مناة =

عن أَبي واقد الليثي (١) قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنَين ونحنُ حُدَثاءَ عهدٍ بكفر (٢) ، وللمشركين سِدْرَةٌ يعكفون عندها ويَنُوطون بها أَسلحتهم (٣) ، يقال لها ذاتُ أَنوَاط (٤) ، فمررنا بسِدرة

= لكثرة ما يمنى أي يراق عندها من الدماء للتبرك بها قال البخاري في حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها صنم بين مكة والمدينة ، قال ابن هشام فبعث رسول الله ﷺ عليا فهدمها عام الفتح . قال ابن إسحق: وكانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها سدنة وحجاب وتهدى لها كما يهدى للكعبة وتطوف بها وتنحر عندها . وفيه معرفة تفسير آية النجم قاله المصنف

(١) قوله (عن أبي واقد الليثي) - وهو الحارث بن عوف - صحابي مشهور مات سنة ثمان وستين وله خمس وثمانون سنة رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين) اسم واد شرقي مكة معروف قاتل فيه رسول الله ﷺ هوازن

(٢) قوله (ونحن حدثاء عهد بكفر) يشير إلى الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ ممن قرب عهدهم بالإسلام من مسلمة الفتح وكانوا ألفاً ونيفاً

قوله (ونحن حدثاء عهد بكفر) قيد أن غيرهم لا يجهل ذلك ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٣) قوله (وللمشركين سدرة يعكفون عندها) والعكوف هو الإقامة على الشيء بالمكان ولزومه ، ومنه ﴿ ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ﴾ وعكوفهم عندها تبركا وتعظيما لها لما يعتقدونه فيها من البركة

قوله (وينوطون بها أسلحتهم) أي يعلقونها عليها للبركة . وفي هذا بيان أن عبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك ، وبهذه الأمور الثلاثة عبدت الأشجار ونحوها ، قاله في فتح المجيد

(٤) قوله (يقال لها ذات أنواط) جمع نوط وهو مصدر سمي به المنوط

قوله (فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم =

فقلنا : يارسولَ الله اجعلْ لنا ذاتَ أَنواط كما لهم ذاتُ أَنواط ، فقال رسول الله ﷺ « اللهُ أَكبر . إنهـــــــا السُّنن [1]

= ذات أنواط) فلما رآها رسول الله ﷺ عدل عنها فى يوم صائف الظل هو أدنى منها ، وقال (الله أكبر) وفى رواية الترمذى « سبحان الله » كبر ربه وعظمه ونزهه عن أن يتقرب إليه بمثل هذا . وفيه أن المنتقل من الباطل الذى اعتاده قلبه لا يأمن أن يكون فى قلبه بقية من تلك العادة لقوله : ونحن حدثاء عهد بكفر وأنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر فصار فيه التنبيه على مسائل القبر ، أما من ربك فواضح ، وأما من نبيك فمن إخباره بأنباء الغيب ، وأما ما دينك فمن قولهم «اجعل لنا . . إلى آخره » . وفيه التكبير عند التعجب خلافا لمن كرّهه وسد الذرائع والنهى عن التشبه بأهل الجاهلية والغضب عند التعليم . وفيه معرفة صورة الأمر الذى طلبوا ، وكونهم لم يفعلوا وكونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم أنه يحبه وأنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل ، وأن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ماليس لغيرهم ، وأن النبى ﷺ لم يعذرهم بل رد عليها بقوله « الله أكبر ، إنها السنن لتتبعن سنن من كان قبلكم » فغلظ الأمر بهذه الثلاث ، قاله المصنف رحمه الله

(١) قوله (إنها السنن) بضم السين أى الطرق أى ستفعل هذه الأمة مافعلت الأمم قبلها من الشرك فما دونه كما فى حديث أبى سعيد « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القُذّة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال « فمن » وفيه القاعدة الكلية لقوله « إنها السنن » وأن هذا علم من أعلام النبوة لكونه وقع كما أخبر . وأن ماذم الله به اليهود والنصارى فى القرآن أنه لنا، يعنى إذا عملنا كعملهم. وأن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين قاله المصنف رحمه الله تعالى . قال شيخ الإسلام هذا خرج منه مخرج الخبر عن وقوع ذلك والذم لمن يفعله كما يخبر عما يفعله الناس بين يدى الساعة من الأشراط والأمور المحرمة ولا يقال إن كان الكتاب والسنة قد دلا على وقوع ذلك فما فائدة النهى عنه لأن الكتاب والسنة أيضا قد دلا على أنه =

قلتم والذى نفسى بيده كما قالت بنو إسرائيلَ لموسى ﴿ اجْعَلْ لنا إلٰهاً كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون ﴾ لتركبنَّ سَنَنَ من كان قبلكم »
رواه الترمذى وصححه(١)

= لا يزال فى هذه الأمة طائفة متمسكة بالحق الذى بعث الله به محمداً ﷺ إلى قيام الساعة وأنها لا تجتمع على ضلالة ، ففى النهى عن ذلك تكثير لهذه الطائفة المنصورة وتثبيتها ، وزيادة إيمانها فنسأل الله المجيب أن يجعلنا منها . وأيضا لو فرض أن الناس لا يترك أحد منهم هذه المشابهة المنكرة لكان فى العلم بها معرفة القبيح والإيمان بذلك فإن نفس العلم والإيمان بما كرهه الله خير وإن لم يعمل به ، بل فائدة العلم والإيمان أعظم من فائدة مجرد العمل الذى لم يقترن به علم ، ثم لو فرض أنا علمنا أن الناس لا يتركون المنكر ولا يعترفون بأنه منكر لم يكن ذلك مانعا من إبلاغ الرسالة وبيان العلم بل ذلك لا يسقط وجوب الإبلاغ ولا وجوب الأمر والنهى فى إحدى الروايتين عن أحمد ، وهو قول كثير من أهل العلم ، انتهى ملخصاً

(١) قوله (قلتم والذى نفسى بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون ، لتركبن سنن من كان قبلكم رواه الترمذى وصححه) وفيه الأمر الكبير أنه أخبر أن طلبتهم كطلبة بنى إسرائيل لما قالوا لموسى اجعل لنا إلاها وأن نفى هذا من معنى لا إله إلا الله مع دقته وخفائه على أولئك وأنه حلف على الفتيا وهو لا يحلف إلا لمصلحة . وأن الشرك فيه أكبر وأصغر لأنهم لم يرتدوا بهذا قاله المصنف . فاذا كان اتخاذ شجرة لتعليق الأسلحة والعكوف عندها كاتخاذ إله مع الله مع أنهم لا يدعونها ولا يسئلونها فماذا يكون حكم ماحدث من عباد القبور من دعاء الأموات والاستغاثة بهم والذبح والنذر لهم والطواف بقبورهم وتقبيلها وتقبيل أعتابها وجدرانها والتمسح بها، والعكوف عندها وجعل السدنة والحجاب لها ، وأى نسبة بين هذا وبين تعليق الأسلحة على شجرة تبركا . انتهى من الشرح بتصرف . وفيه أن العبرة بالمعانى لا بالأسماء ، ولهذا جعل طلبتهم كطلبة بنى إسرائيل ، ولم يلتفت إلى كونهم سموها ذات =

= أنواط فالمشرك مشرك وإن سمى شركه ما سماه ، قاله فى فتح المجيد . قلت وهذا كتسمية مشركى زماننا دعاء الأموات والغائبين توسلا ، قال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي المعروف بأبي شامة في كتاب البدع والحوادث : ومن هذا ماعم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق بعض الحيطان وإسراج مواضع مخصوصة فى كل بلد يحكى لهم حاك أنه رأى فى منامه بها أحداً ممن شهد بالصلاح والولاية فيفعلون ذلك يحافظون عليه مع تضييعهم لفرائض الله تعالى وسننه ويظنون أنهم متقربون بذلك ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن فى قلوبهم فيعظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها وهى من عيون وشجر وحائط وحجر ، وفى مدينة دمشق من ذلك مواضع متعددة كعوينة الحمى خارج باب توما والعمود المخلق داخل باب الصغير والشجرة الملعونة خارج باب النصر فى نفس قارعة الطريق ، سهل الله قطعها واجتثاثها من أصلها ، فما أشبهها بذات أنواط الواردة فى الحديث انتهى . قلت ومن هذا افتتان بعض العوام بعين نجم التى فى الأحساء فيقصدونها للاستشفاء لمرضاهم فما أشبهها بعوينة الحمى ، وكل هذا شرك وضلال فيجب النهى عنه . وفيه الخوف من الشرك وأن الإنسان قد يستحسن شيئاً يظن أنه يقربه إلى الله وهو مما يبعده من رحمته ويقربه من سخطه ، ولا يعرف هذا على الحقيقة إلا من عرف ما وقع فى هذه الأزمان من كثير من العلماء والعباد مع أرباب القبور من الغلو فيها وصرف جل العبادة لها ويحسبون أنهم على شىء وهو الذنب الذى لا يغفره الله . تنبيه : ذكر بعض المتأخرين أن التبرك بآثار الصالحين مستحب كشرب سؤرهم والتمسح بهم أو بثيابهم وحمل المولود إلى أحدهم ليحنكه بتمرة حتى يكون أول ما يدخل جوفه ريق الصالحين ، والتبرك بعرقهم. وقد أكثر من ذلك النووى فى شرح مسلم فى الكلام على الأحاديث التى فيها أن الصحابة فعلوا ذلك مع النبى ﷺ وظن أن غير النبى ﷺ ممن يدعى صلاحه مثله ، وهذا خطأ صريح لوجوه : منها عدم المقاربة فضلا عن المساواة للنبى ﷺ فى الفضل ، ومنها عدم تحقق الصلاح ولا يتحقق ذلك إلا بصلاح القلب وهو أمر لا يمكن الاطلاع عليه إلا بنص . ومنها أن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك مع غيره ﷺ لا فى حياته ولا بعد

١٠ – باب

ما جاء فى الذبح لغير الله[1]

وقول الله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾[2] الآية . وقوله ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ

= موته ، ولو كان خيراً لسبقونا اليه فيكون هذا من خصائص النبى ﷺ انتهى ملخصا من الشرح .

(١) قوله (باب ما جاء فى الذبح لغير الله) أى من النهى الأكيد والوعيد الشديد ، وأنه شرك ينافى التوحيد

(٢) قوله (وقول الله تعالى : قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغيره : إن صلاتى يشمل الفرائض والنوافل والصلوات كلها عبادة وقد اشتملت الصلاة على نوعى الدعاء دعاء المسئلة ودعاء العبادة فما كان فيها من السؤال والطلب فهو دعاء مسئلة وما كان فيها من الحمد والثناء والتسبيح والركوع والسجود وغير ذلك من الأركان والواجبات ، فهو دعاء عبادة وهذا هو التحقيق فى تسميتها صلاة لأنها اشتملت على نوعى الدعاء الذى هو صلاة لغة وشرعا ، قاله شيخ الإسلام رحمه الله تعالى

قوله (ونسكى) قال سعيد بن جبير، ونسكى : أى ذبحى ، وقال مجاهد : النسك الذبح فى الحج والعمرة

قوله (ومحياى ومماتى) أى ما آتيه فى حياتى وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح (لله رب العالمين) خالصا لوجهه لا شريك له فى شىء من ذلك ولا فى غيره من أنواع العبادة . فالصلاة أجل العبادات البدنية ، والنسك أجل العبادات المالية

قوله (وأنا أول المسلمين) قال قتادة من هذه الأمة لأن إسلام كل نبى متقدم على إسلام أمته . ووجه مطابقة الآية للترجمة أن الله تعالى تعبد عباده بأن يتقربوا اليه بالنسك كما تعبدهم بالصلاة وغيرها من أنواع العبادات وأمرهم أن يخلصوا =

وَانْحَرْ ﴾ (١).

عن علىّ (٢) رضى الله عنه قال : حَدَّثنى رسولُ الله ﷺ بأربع

= جميع ذلك له دون ما سواه ، فاذا تقربوا إلى غير الله بالذبح أو غيره من أنواع العبادة فقد جعلوا لله شريكا فى عبادته وهو ظاهر فى قوله : لا شريك له ، نفى أن يكون لله شريك فى هذه العبادات وهو بحمد الله واضح قاله فى فتح المجيد . وفيه معرفة تفسير : إن صلاتى ونسكى قاله المصنف رحمه الله

(١) وقوله (فصل لربك وانحر) قال شيخ الإسلام أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين وهما : الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عِدته ، عكس حال أهل الكبر والنفرة وأهل الغنى عن الله الذين لا حاجة لهم فى صلاتهم إلى ربهم يسئلونه إياها ، والذين لا ينحرون له خوفا من الفقر ، ولهذا جمع بينهما فى قوله ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ فانهما أجل ما يُتقرب به إلى الله ، ولهذا أتى فيهما بالفاء الدالة على السبب لأن فعل ذلك سبب للقيام بشكر ما أعطاه الله من الكوثر وما يجتمع للعبد فى الصلاة لا يجتمع له فى غيرها كما عرفه أرباب القلوب الحية وما يجتمع له عند النحر إذا قارنه الإيمان والإخلاص من قوة اليقين وحسن الظن أمر عجيب وكان ﷺ كثير الصلاة كثير النحر انتهى . وفيه معرفة تفسير ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٢) قوله (عن على) وهو الإمام أبو الحسن على بن أبى طالب الهاشمى ابن عم النبى ﷺ وزوج فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، كان من السابقين الأولين ومن أهل بدر وبيعة الرضوان وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ورابع الخلفاء الراشدين ، ومناقبه مشهورة قتله ابن ملجم الخارجى فى رمضان سنة أربعين (قال حدثنى رسول الله ﷺ بأربع كلمات لعن الله من ذبح لغير الله) أصل اللعن الطرد والإبعاد من الله ، ومن الخلق السب والدعاء قاله أبو السعادات ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة

قال شيخ الإسلام على قوله تعالى ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ ظاهره أنه ما ذبح لغير الله مثل أن يقال هذا ذبيحة لكذا وإذا كان هذا هو المقصود فسواء لفظ =

كلمات : « لَعَنَ اللهُ من ذَبَحَ لغير الله ، لَعَنَ اللهُ من لَعَن والِدَيْه[1] » ،

= به أو لم يلفظ وتحريم هذا ظهر من تحريم ما ذبح النصراني للحم وقال فيه باسم المسيح ونحوه كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله تعالى أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله ، فاذا حرم ماقيل فيه باسم المسيح أو الزهرة فلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح أو الزهرة أو قصد به ذلك أولى ، فإن العبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله ، فعلى هذالو ذبح لغير الله متقرباً إليه يحرم وإن قال فيه باسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الامة الذين يتقربون إلى الكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك وإن كان هؤلاء مرتدين لاتباح ذبيحتهم بحال ، لكن يجتمع فى الذبيحة مانعان : الاول : أنها مما أهل به لغير الله . والثاني : أنها ذبيحة مرتد . ومن هذا ما يفعله الجاهلون بمكة من الذبح للجن ولهذا يروى عن النبي ﷺ أنه نهى عن ذبائح الجن . قال الزمخشري كانوا إذا اشتروا داراً أو بنوها أو استخرجوا عينا ذبحوا ذبيحة خوفا من أن تصيبهم الجن فأضيفت اليهم الذبائح لذلك قال فى الشرح : قال النووي وذكر الشيخ إبراهيم المروزي من أصحابنا أن ما ذبح عند استقبال السلطان تقربا إليه أفتى أهل بخارى بتحريمه لانه مما أهل به لغير الله . قال الرافعي : إنما يذبحونه استبشاراً بقدومه فهو كذبح العقيقة لولادة المولود قال فى الشرح : إن كانوا إنما يذبحونه استبشاراً كما ذكر الرافعي فلا يدخل فى ذلك وإن كانوا يذبحونه تقرباً اليه فهو داخل فى الحديث انتهى. وإني لأعجب من كلام الرافعي وقياسه الذبح للسلطان تقربا اليه وتعظيما له عند قدومه الذى هو شرك أكبر على العقيقة التي هي سنة نبوية وأعجب منه موافقة الشارح له على ذلك وهذا القياس إنما يصح لو كانت العقيقة مشروعة عند وضع المولود وهى إنما تشرع فى اليوم السابع من الولادة فما بعده ، اللهم إنا نعوذ بك من سوء الفهم وانقلاب الحقائق

(١) قوله (لعن الله من لعن والديه) يعني أباه وأمه وإن علوا ، وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « من الكبائر شتم الرجل والديه » قالوا وهل يشتم الرجل والديه قال « نعم ، يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه »

لَعَنَ اللهُ من آوَى محدِثاً[١]، لعن اللهُ من غَيَّرَ منارَ الأرض[٢] » رواه مسلم . وعن طارق بن شهاب[٣] أن رسول الله ﷺ قال « دخل

---

(١) قوله (لعن الله من آوى محدثا) وهو بفتح الهمزة ممدودة إلى ضمه إليه ، وحماه . وأما محدثا فقال أبو السعادات يروى بكسر الدال وفتحها على الفاعل والمفعول فمعنى الكسر من نصر جانيا وآواه وأجاره من خصمه وحال بينه وبين أن يقتص منه ، والفتح هو الأمر المبتدع نفسه ويكون معنى الإيواء فيه الرضى به والنصر فإنه إذا ارتضى بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه . قال ابن القيم : هذه الكبيرة تختلف مراتبها باختلاف مراتب الحدث فى نفسه فكلما كان الحدث فى نفسه أكبر كانت الكبيرة أعظم

(٢) قوله (لعن الله من غير منار الأرض بفتح الميم علامات حدودها وهى التى توضع لتمييز حق الشركاء إذا اقتسموا ما بينهم فى الأرض والدور . قال المصنف : وهى المراسيم التى تفرق بين حقك وحق جارك فتغيرها بتقديم أو تأخير . قال فى النهاية : منار الأرض معالمها وحدودها ، وفى الحديث « من ظلم شبرا من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة » . ومن تغيير منار الأرض ما يفعله بعض فسقة الكتاب والمحامين من التلاعب فى الحجج والسجلات وتغيير حدودها بزيادة أو نقص فيها أو إخفاء الحجج وعمل استحكامات بخلافها حتى يعود الوقف ملكا أو إخفاء شرط الواقف لإخراج مستحق وإدخال غيره ، كما هو جار كثيراً نسأل الله العافية . وفيه البداءة بلعنة من ذبح لغير الله ولعن من لعن والديه . ومنه أن تلعن والدى الرجل فيلعن والديك ولعن من آوى محدثا وهو الرجل يحدث شيئاً يجب فيه حق لله فيلتجىء إلى من يجيره من ذلك والفرق بين لعن المعين ولمن أصحاب المعاصى على سبيل العموم قاله المصنف رحمه الله تعالى وأما لعن الفاسق المعين ففيه قولان : أحدهما أنه جائز اختاره ابن الجوزى وغيره والثانى لا يجوز ، اختاره أبو بكر عبد العزيز : وشيخ الإسلام .

(٣) قوله (وعن طارق بن شهاب) البجلى الأحمسى أبو عبد الله رضى الله ، قال أبو داود : رأى النبى ﷺ ولم يسمع منه شيئا ، قال الحافظ إذا ثبت أنه لقى النبى ﷺ فهو صحابى وإذا ثبت أنه لم يسمع منه فروايته عنه مرسل صحابى وهو مقبول على الراجح ، وكانت وفاته على ما جزم به ابن حبان سنة ثلاث =

الجنةَ رجلٌ فى ذُبابٍ ودخل النارَ رجلٌ فى ذُبابٍ » قالوا : ؟ وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال « مرَّ رجلان على قوم لهم صنمٌ لا يجوزُهُ أحدٌ حتى يقرِّب له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرِّب. قال : ليس عندى شىء أُقرِّبُ. قالوا له : قرِّبْ ولو ذباباً فقرَّب ذُبَاباً فخلوا سبيله فدخل النار . وقالوا للآخر قرِّب فقال : ما كنت لأقرِّب لأحد شيئاً دُونَ الله عزَّ وجلَّ ؛ فضربوا عنقه ، فدخل الجنة »(١) رواه أحمد

= وثمانين (أن رسول الله ﷺ) قال : « دخل الجنة رجل فى ذباب ودخل النار رجل فى ذباب » أى من أجله وبسببه ، قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ كأنهم تقالوا ذلك لأن الجنة لا يدخلها أحد إلا بالأعمال الصالحة والنار لا يدخلها أحد إلا بالأعمال السيئة واحتقروا الذباب فتعجبوا من ذلك فبين لهم النبى ﷺ ماصير هذا الأمر الحقير عظيما يستحق هذا عليه الجنة ، ويستحق هذا عليه النار . (فقال : مر رجلان على قوم لهم صنم) والصنم ما كان منحوتا على صورة ويطلق عليه الوثن

(١) قوله (لا يجاوزه — أى لا يمر به — أحد حتى يقرب له شيئاً فقالوا لأحدهما قرب . قال : ليس عندى شىء أقرب . قالوا : قرب ولو ذبابا ، فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار . وقالوا للآخر قرب . فقال : ماكنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل فضربوا عنقه ، فدخل الجنة (وفى هذه القصة العظيمة وهى قصة الذباب أنه دخل النار بسبب الذباب الذى لم يقصده بل فعله تخلصاً من شرهم وأنه مسلم قبل تقريب الذباب لأنه لو كان كافرا لم يقل دخل النار فى ذباب ، وفيه أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان . قال المصنف رحمه الله : وفيه بيان عظم الشرك ولو فى شىء يسير حقير فكيف بمن يستسمن الإبل والبقر والغنم ويقربها لغير الله من ميت أو غائب أو طاغوت أو مشهد أو غير ذلك . وقد عمت البلوى بهذا فى الأمصار وما هو أعظم منه =

١١ - باب

لا يُذْبَحُ لِلّهِ بمكانٍ يُذْبَحُ فيـــه لغيرِ الله (١)

وقول الله تعالى ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً ﴾ الآية (٢)

= فلا حول ولا قوة إلا بالله . وفيه معرفة قدر الشرك فى قلوب المؤمنين كيف صبر على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر . وفيه شاهد للحديث الصحيح « الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعليه والنار مثل ذلك » ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (باب لا يذبح لله فى مكان يذبح فيه لغير الله) لا نافية ويحتمل أنها للنهى وهو أظهر ، قاله فى فتح المجيد . ذكر المصنف رحمه الله هذه الترجمة فى النهى عن الذبح لله فى المكان الذى يذبح فيه لغير الله لئلا تقع مشابهة أهل الشرك فى ذبحهم لطواغيتهم

(٢) قوله (وقول الله تعالى ﴿ لا تقم فيه أبداً ﴾ الآيات) هذا نهى من الله تعالى لنبيه أن يقوم فى مسجد الضرار الذى بناه المنافقون ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله والأمة تبع له فى ذلك . والشاهد من الآية للترجمة أن الله نهى رسوله أن يقوم فى مسجد الضرار لأنه أسس على معصية الله ، مع أنه لا يقوم فيه إلا لله فكذلك المواضع التى أعدت للذبح لغير الله لا يجوز أن يذبح فيها الموحد لله لأنهـا قد أسست على معصية الله والشرك به . وقد كان سبب نزول هذه الآيات الكريمة أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب وكان قد تنصر فى الجاهلية وكان له شرف فى الخزرج كبير فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة واجتمع المسلمون عليه وأظهرهم الله يوم بدر شرق اللعين بريقه وخرج إلى مكة فألبهم على حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب وقدموا عام أحد ، وكان من أمر المسلمين ما كان ، وامتحنهم الله عز وجل ، وكانت العاقبة للمتقين ، وكان هذا الفاسق قد حفر حفراً فيما بين الصفين فوقع فى إحداهن =

= رسول الله ﷺ وأصيب ذلك اليوم وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى ، وشج رأسه صلوات الله وسلامه عليه ، وتقدم أبو عامر فى أول المبارزة إلى قوم من الأنصار فخاطبهم واستمالهم إلى نصره ، فقالوا : لا أنعم الله بك عينايا فاسق » فرجع وهو يقول : والله لقد أصاب قوى بعدى شر ، وكان رسول الله ﷺ قد دعاه قبل فراره وقرأ عليه القرآن فأبى أن يسلم وتمرد ، فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يموت بعيداً طريداً فنالته هذه الدعوة . وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد ورأى أمر رسول الله ﷺ فى ارتفاع ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبى ﷺ فوعده ومناه وأقام عنده وكتب إلى جماعة من قومه من أهل النفاق يعدهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ . وأمرهم أن يتخذوا له معقلا لمن يقدم عليهم من عنده ، فشرعوا فى بناء مسجد الضرار ، وذكروا أنهم بنوه للضعفة وأهل العلة فى الليلة الشاتية وطلبوا من النبى ﷺ أن يصلى فيه وكان قد تأهب للخروج إلى غزوة تبوك ، فقال : « إذا رجعنا إن شاء الله تعالى » فلما قفل راجعا إلى المدينة ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم ، نزل عليه الوحى بخبر المسجد ، فبعث اليه مالك بن الدخشم أخا بنى سالم بن عوف ومعن بن عدى أو أخاه عامر بن عدى فهدماه وحرقاه ، وأنزل الله فيه ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد إنهم لكاذبون . لا تقم فيه أبداً ، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا ﴾ روى الإمام أحمد وابن خزيمة وغيرهما عن عويم بن ساعدة الأنصارى أن النبى ﷺ أتاهم فى مسجد قباء فقال « إن الله أحسن عليكم الثناء بالطهور فى قصة مسجدكم ، فما هذا الطهور ؟ » فقالوا : والله يا رسول الله مانعلم شيئا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا . وفى رواية عن جابر وأنس « هو ذاك فعليكموه » رواه ابن ماجه وابن أبى حاتم والدارقطنى والحاكم

قوله ﴿ والله يحب المطهرين ﴾ قال أبو العالية : إن الطهور بالماء لحسن ولكنهم المتطهرون من الذنوب . فنهى الله رسوله ﷺ عن الصلاة فيه وحثه على الصلاة فى مسجد قباء الذى أسس من أول يوم بنى على التقوى وهى طاعة الله =

عن ثابت بن الضَّحَّاك[1] رضى الله عنه قال : نَذَرَ رجلٌ أن يَنحَر

= ورسوله وجمعاً لكلمة المسلمين ومعقلا للإسلام وأهله . قال ابن كثير : وفيه دليل على استحباب الصلاة مع الجماعة الصالحين المتنزهين عن ملابسة القاذورات ، المحافظين على إسباغ الوضوء . وفيه إثبات المحبة ، قاله فى الشرح . وقد جاء فى الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يزور قباء راكباً وماشياً ، وجاء فيه أيضا أن رسول الله ﷺ قال : صلاة فى مسجد قباء كعمرة . وقد ذهب جماعة من السلف منهم ابن عباس وعروة وعطية والشعبى وغيرهم إلى أن المسجد المذكور فى الآية هو مسجد قباء ويؤيده قوله تعالى ﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا ﴾ قاله فى فتح المجيد . وقيل هو مسجد رسول الله ﷺ لحديث أبى سعيد الذى رواه مسلم قال تمارى رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم ، فقال أحدهما : هو مسجد قباء ، وقال الآخر : هو مسجد رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ « هو مسجدى هذا » وهو قول عمر وابنه وزيد بن ثابت وغيرهم . قال ابن كثير : وهذا صحيح ولا منافاة بين الآية والحديث لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى من أول يوم فمسجد رسول الله ﷺ بطريق الأولى انتهى .

وقال شيخ الإسلام : على قوله لا تقم فيه أبداً فإنه من أمكنة العذاب . قال سبحانه ﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار ﴾ فانهار به فى نار جهنم وقد روى أنه لما هدم خرج منه دخان . وهذا كما أنه ندب إلى الصلاة فى أمكنة الرحمة كالمساجد الثلاثة ومسجد قباء ، فكذلك نهى عن الصلاة فى أماكن العذاب . وأما أماكن الكفر التى لم يكن فيها عذاب ، إذا جعلت مكانا للإيمان والطاعة فهذا حسن ، كما أمر النبى ﷺ أهل الطائف أن يجعلوا المسجد مكان طاغيتهم ، وأمر أهل اليمامة أن يتخذوا المسجد مكان بيعة كانت عندهم انتهى . وفيه معرفة تفسير ﴿ لا تقم فيه أبدا ﴾ وأن المعصية قد تؤثر فى الأرض وكذلك الطاعة ، قاله المصنف رحمه الله

(١) قوله (عن ثابت بن الضحاك) بن خليفة الأشهلى صحابى مشهور روى عنه أبو قلابة وغيره مات سنة أربع وستين (قال نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة) بضم الموحدة وقيل بفتحها ، قال البغوى : موضع فى أسفل مكة دون يلملم ، وقال أبو =

إبلا ببُوانةَ فسأل النبيَّ ﷺ فقال « هل كان فيهـا وَثَنٌ من أوثان الجاهليةُ يُعبَد » ؟ قالوا : لا . قال : « فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم » ؟ قالوا : لا ، فقال رسول الله ﷺ « أوفِ بنَذْرِك(١) ، فإنه لا وَفاء

= السعادات : هضبة من وراء ينبع (فسأل النبي ﷺ فقال هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد قالوا : لا) والوثن ماليس منحوتاً على صورة ، والصنم ما كان منحوتا على صورة ويطلق عليه أيضا الوثن (فقال : هل كان فيها عيد من أعيادهم قالوا : لا) قال شيخ الإسلام : العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائدا ما يعود السنة أو بعود الاسبوع أو الشهر ونحو ذلك والمراد هنا الاجتماع المعتاد من اجتماع أهل الجاهلية ، فالعيد يجمع أمورا منها يوم عائد ليوم الفطر ويوم الجمعة ومنها اجتماع فيه ومنها أعمال تتبع ذلك من العبادات والعادات وقد يختص العيد بمكان وقد يكون مطلقا ، وكل من هذه الأمور يسمى عيداً ، والزمان كقول النبي ﷺ فى يوم الجمعة « إن هذا يوم جعله الله للمسلمين عيدا » والاجتماع والأعمال كقول ابن عباس رضى الله عنهما : شهدت العيد مع رسول الله ﷺ ، والمكان كقول النبي ﷺ « لا تتخذوا قبرى عيداً » وقد يكون لفظ العيد اسماً لمجموع اليوم والعمل وهو الغالب كقول النبي ﷺ للجاريتين اللتين تغنيان عند النبي ﷺ بما تناشدته الانصار يوم بعاث « دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوم عيداً » وفيه رد المسئلة المشكلة إلى المسئلة البينة ليزول الإشكال والاستفصال المفتى إذا احتاج إلى ذلك

(١) قوله (فقال :أوف بنذرك) حيث تحقق عدم المانع من الوفاء به (فإنه لاوفاء لنذر فى معصية الله) . وفيه أنه لا وفاء لنذر فى معصية الله قاله المصنف رحمه الله وهذا يدل على تحريم الوفاء بنذر المعصية وهل تجب فيه كفارة يمين على قولين هما روايتان عن أحمد إحداهما : تجب ، وهى المذهب ، روى عن ابن عباس وابن مسعود ، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه لحديث عائشة رضى الله عنها مرفوعا لا نذر فى معصية وكفارته كفارة يمين » . رواه أحمد وأهل السنن واحتج به أحمد وإسحق . والثانى لا تجب فيه كفارة يمين ، روى ذلك عن مسروق والشعبي والشافعى لحديث الباب

لنذرٍ فى معصية الله ، ولا فيما لا يَملِكُ ابنُ آدم » رواه أبو داود، [١]
وإسناده على شرطهما [٢]

= قال شيخ الإسلام : وأما نذره لغير الله فهو بمنزلة أن يحلف بغير الله والحالف بالمخلوقات لا وفاء عليه ولا الكفارة ، وكذلك الناذر للمخلوقات ، فإن كليهما شرك ، والشرك ليس له حرمة بل عليه أن يستغفر الله من هذا العقد ، ويقول ما قال النبي ﷺ « من حلف باللات والعزى فاليقل لا إله إلا الله » وفيه أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع . والمنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله ، والمنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله ، وأنه لا يجوز الوفاء بما نذر فى تلك البقعة لأنه نذر معصية والحذر من مشابهة المشركين فى أعيادهم ولو لم يقصده قاله المصنف رحمه الله ، قال فى قرة العيون : وفيه المنع من اتخاذ آثار المشركين محلا للعبادة لكونها صارت محلا لما حرم الله من الشرك والمعاصى ، والحديث وإن كان فى النذر فيشمل كل ما كان عبادة فلا تفعل فى هذه الأماكن الخبيثة التى اتخذت محلا لما يسخط الله تعالى . فبهذا صار الحديث شاهدا للترجمة ، والمصنف لم يرد التخصيص بالذبح وإنما ذكر الذبح كالمثال وقد استشكل جعل محل اللات بالطائف مسجداً انتهى . قلت : لا إشكال مع ما ذكرناه عن شيخ الإسلام فيما تقدم أول الباب

(١) قوله (ولا فيما لا يملك ابن آدم رواه أبو داود) ، يعنى إذا أضاف النذر إلى معين لا يملكه بأن قال : إن شفى الله مريضى فلله علىّ أن أعتق عبد فلان ، فأما إذا التزم فى الذمة شيئا لا يملكه كأن يقول : إن شفى الله مريضى فلله علىّ أن أعتق رقبة ، وهو فى تلك الحال لا يملكها ولا قيمتها فيصح نذره ، وإذا شفى مريضه ثبت النذر فى ذمته . وفيه أنه لا نذر فيما لا يملك ، قاله المصنف رحمه الله

(٢) قوله (وإسناده على شرطهما) أى البخارى ومسلم ، وشرط البخارى فى صحة المعنعن اللقى مع المعاصرة وأما غير المعنعن فيكتفى فيه المعاصرة وبدونها مثل حدثنا لأنها صريحة فى المشافهة وأما مسلم فاكتفى بالمعاصرة مع إمكان اللقى =

١٢ – باب

مِنَ الشِّركِ النَّذْرُ لغير الله (١)

وقولِ الله تعالى ﴿ يُوفُونَ بالنَّذْر ﴾ وقوله ﴿ وما أَنفقتُمْ مِن نَفَقةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ من نَذْرٍ فإنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ ﴾ (٢)

---

(١) قوله (باب من الشرك النذر لغير الله) تعالى أى لكونه عبادة يجب الوفاء به إذا نذره الله تعالى (وقول الله تعالى : يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) قال ابن كثير أى يتعبدون الله تعالى فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع ، وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر . والشاهد من الآية للترجمة أن الله مدح الموفين بالنذر ، والله لا يمدح إلا على فعل واجب أو مستحب أو ترك محرم وذلك هو العبادة ، فمن فعل شيئا من ذلك لغير الله متقربا به اليه فقد أشرك ، فالنذر لغير الله شرك أصغر كالحلف بغيره . وقال شيخ الإسلام : النذر أعظم من الحلف ، وقال ابن القيم رحمه الله : النذر عبادة يتقرب بها الناذر إلى المنذور له

(٢) قوله (وقول الله تعالى : وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه) قال ابن كثير : يخبر تعالى بأنه عالم بجميع ما يعمله العاملون من النفقات والمنذورات وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين به ابتغاء وجهه انتهى. وقال شيخ الإسلام :النذر لغير الله كالنذ للأصنام والشمس والقمر والقبور ونحو ذلك بمنزلة أن يحلف بغير الله من المخلوقات ، والحالف بالمخلوقات لا وفاء عليه ولا كفارة وكذلك الناذر للمخلوقات فإن كليهما شرك ، والشرك ليس له حرمة بل عليه أن يستغفر الله من هذا ويقول ما قال النبي ﷺ « من حلف وقال فى حلفه واللات والعزى ، فليقل لا إله إلا الله » رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة عن أبى هريرة رضى الله عنه . وقال فيمن نذر للقبور ونحوها دهنا لتنوّر به ويقول إنها تقبل النذر كما يفعله بعض المشركين فهذا النذر معصية باتفاق المسلمين لا يجوز الوفاء به ، وكذلك إذا نذر مالا للسدنة أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة فإن فيهم شبها من السدنة التى كانت عند اللات والعزى ومناة ، يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله =

= والمجاورون هناك فيهم شبه من الذين قال فيهم الخليل عليه السلام ﴿ ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ﴾ وفيهم شبه من النذر لسدنة الصلبان والمجاورين عندها أو لسدنة الأبداد فى الهند والمجاورين عندها . قال الرافعى فى شرح المنهاج : وأما النذر للمشاهد التى على قبر ولى أو شيخ أو على اسم من حلها من الأولياء أو تردد فى تلك البقعة أو المشهد أو الزاوية أو تعظيم من دفن بها أو نسبت اليه أو بنيت على اسمه ، فهذا النذر باطل غير منعقد فإن معتقدهم أن لهذه الأماكن خصوصيات ، ويرون أنها مما يدفع به البلاء أو يستجلب به النعماء أو يستشفى بالنذر لها من الأدواء حتى إنهم لينذرون لبعض الأحجار لما قيل لهم إنه استند اليه عبد صالح وينذرون لبعض القبور السرج والشمع والزيت ويقولون القبر الفلانى يقبل النذر ويعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض وقدوم غائب وسلامة مال وغير ذلك من أنواع نذر المجازات ، فهذا النذر على هذا الوجه باطل لاشك فيه بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل ، ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر إبراهيم الخليل عليه السلام ولقبر غيره تبركا وتعظيما ظاناً أن ذلك قربة فهذا مما لا ريب فى بطلانه والإيقاد المذكور محرم سواء انتفع به منتفع أم لا . وقال الشيخ قاسم الحنفى فى شرح درر البحار : النذر الذى ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد كأن يكون للإنسان غائب أو مريض أو له حاجة فيأتى إلى بعض الصلحاء ويجعل على رأسه سترة ، ويقول : يا سيدى فلان إن رد الله غائبى أو قضيت حاجتى فلك من الذهب كذا أو من الفضة كذا أو من الطعام كذا أو من الماء كذا أو من الشمع والزيت كذا فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه : منها أنه نذر لمخلوق والنذر للمخلوق لا يجوز لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق ، ومنها أن المنذور له ميت والميت لا يملك شيئا ، ومنها أنه ظن أن الميت يتصرف فى الأمور دون الله عز وجل واعتقاد ذلك كفر إلى أن قال : إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وينقل إلى ضرائح الأولياء تقرباً اليهم فحرام بإجماع المسلمين ، نقله عنه ابن نجيم فى البحر الرائق ونقله المرشدى فى تذكرته وغيرهما عنه ، وزاد : وقد ابتلى الناس بهذا لاسيما فى مولد البدوى انتهى

وفى الصحيح[١] عن عائشة رضى الله عنها أن رسولَ الله ﷺ قال « مَن نَذَرَ أَن يُطِيعَ الله فليُطِعْهُ ، ومَن نَذَرَ أن يَعْصِيَ اللهَ فلا يَعْصِهِ »[٢]

١٣ - باب
مِنَ الشِّرْكِ الاستعاذَةُ بغيرِ الله[٣]

---

(١) قوله (وفى الصحيح) أى صحيح البخارى (عن عائشة) زوج النبى ﷺ وابنة الصديق رضى الله عنهما تزوجها النبى ﷺ وهى ابنة سبع ودخل بها وهى ابنة تسع ، وكان الصحابة رضى الله عنهم بعد وفاة النبى ﷺ يرجعون اليها فيما أشكل عليهم من أحوال النبى ﷺ وحديثه صلوات الله وسلامه عليه ، توفيت عائشة رضى الله عنها سنة سبع وخمسين (أن رسول الله ﷺ قال « من نذر أن يطيع الله فليطعه ») أى يجب عليه الوفاء بنذر الطاعة ، لأنه نذره لله خالصا فوجب عليه الوفاء به . وقد أجمع العلماء على أن من نذر طاعة لشرط يرجوه كإن شفى الله مريضى فعلىّ أن أتصدق بكذا ونحوه ، وجب عليه إن حصل ما علق نذره على حصوله ، إلا أبا حنيفة قال : لا يلزمه الوفاء إلا بما جنسه واجب بأصل الشرع كالصوم ، وأما ماليس كذلك فلا يوجب الوفاء به كالاعتكاف

(٢) قوله (ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه) زاد الطحاوى : وليكفر عن يمينه . وقد أجمع العلماء على أنه لا يجوز الوفاء بنذر المعصية . وفيه وجوب الوفاء بالنذر وإذا ثبت كونه عبادة فصرفه لغير الله شرك . وإن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به . قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٣) قوله (باب من الشرك الاستعاذة بغير الله) الاستعاذة : الالتجاء والاعتصام ، ولهذا يسمى المستعاذ به معاذا وملجأ ووزرا ، وقد أمر الله عباده فى كتابه بالاستعاذة به فى عدة آيات فقال ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ﴾ وقال ﴿ فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ وفى المعوذتين وغيرهما ، فالاستعاذة عبادة يجب إخلاصها لله ، وأن لا يستعاذ بغيره ، =

وقولِ الله تعالى ﴿ وَأَنَّهُ كانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرجالٍ مِنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً ﴾ (١)

= والعياذ يكون لدفع الشر ، واللياذ لطلب الخير . قال بعض الشعراء فى بعض الملوك :

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهيضون عظما أنت جابره

وهذا لا ينبغى أن يقال إلا لله عز وجل ، ولهذا ذكر عن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أنه كان يجعل هذين البيتين فى دعائه لربه

(١) قوله (وقول الله تعالى : وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) ذكر ابن جرير فى تفسير هذه الآية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادى فى الجاهلية فيقول أعوذ بعزيز هذا الوادى من سفهاء قومه ، فزادهم ذلك إثما وقال بعضهم فزاد الإنس الجن باستعاذتهم بعزيزهم جراءة عليهم وزادوهم بذلك إثما . وقال مجاهد فازداد الكفار طغيانا . وقال ابن زيد : وزادهم الجن خوفا انتهى . وفيه معرفة تفسير سورة الجن وكون الاستعاذة بالجن من الشرك ، قاله المصنف رحمه الله تعالى وقد قال تعالى ﴿ يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ﴾ أى من إغوائهم ﴿ وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا ، قال النار مثواكم ﴾ فاستمتاع الإنسى بالجنى فى قضاء حوائجه وامتثال أوامره وإخباره بشئ من المغيبات واستمتاع الجنى بالإنسى تعظيمه إياه واستعاذته به وخضوعه له . وفيه كون الشئ يحصل به منفعة دنيوية من كف شر أو جلب نفع لايدل على أنه ليس من الشرك ، قاله المصنف رحمه الله تعالى . وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به وتقرب اليه بما يحب فقد عبده وإن لم يسم ذلك عبادة ويسميه استخداما ، وصدق هو استخدام من الشيطان له ، فيصير من خدم الشيطان وعابديه وبذلك يخدمه الشيطان لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة فإن الشيطان لا يخضع له ولا يعبده كما يفعل هو انتهى .

وعن خَوْلَةَ بنتِ حَكيم (١) رضى الله عنها قالت : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول « مَنْ نزَلَ مَنزِلًا فقال : أعوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِن شرِّ ما خلَقَ (٢) ، لم يَضُرَّهُ شيءٌ حتى يَرْحَلَ مِنْ مَنزِلِهِ ذلك » . رواه مسلم

---

(١) قوله (وعن خولة بنت حكيم) بن أمية السلمية ، يقال لها أم شريك ويقال إنها الواهبة ، وكانت قبل تحت عثمان بن مظعون ، قال ابن عبد البر : كانت صالحة فاضلة (قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من نزل منزلا - أى حضراً أو سفراً ، براً أو بحراً - فقال : أعوذ بكلمات الله التامات ») قال القرطبي : قيل معناه : الكاملات التى لا يلحقها نقص ولا عيب كما يلحق كلام البشر ، وقيل : الشافية الكافية ، والكلمات هنا هى القرآن ، فإن الله أخبر عنه أنه هدى وشفاء ، وهذا الأمر على جهة الإرشاد إلى ما يدفع به الأذى فهذا الذى شرعه الله لأهل الإسلام أن يستعيذوا به لا كما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن . قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، كلمات الله نوعان : كلمات كونية وكلمات دينية فكلماته الكونية هى التى استعاذ بها النبي ﷺ فى قوله « أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر » وقال سبحانه ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ وقال تعالى ﴿ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ، لا مبدل لكلماته ﴾ والكون كله داخل تحت هذه الكلمات . والنوع الثانى : الكلمات الدينية وهى القرآن وشرع الله الذى بعث به رسوله ، وهى أمره ونهيه وخبره وحظ العبد منها العلم بها والعمل والأمر بما أمر الله به كما أن حظ العبد عموما وخصوصا من الأولى العلم بالكونيات والتأثير فيها أى بموجبها فالأولى قدرية كونية ، والثانية شرعية دينية ، وكشف الأولى العلم بالحوادث الكونية ، وكشف الثانية العلم بالمأمورات الشرعية ، وقدرة الأولى التأثير فى الكونيات ، وقدرة الثانية التأثير فى الشرعيات انتهى ملخصا . وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق وردوا على الجهمية والمعتزلة فى قولهم بخلق القرآن فلو كانت كلمات الله مخلوقة لم يأمر النبي ﷺ بالاستعاذة بها لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك

(٢) قوله (من شر ما خلق) أى من شر كل ذى شر فى أى مخلوق قام به الشر من حيوان أو غيره إنسيا أو جنيا أو هامة أو دابة أو ريحا أو صاعقة أى نوع =

١٤ - باب

مِنَ الشِّرْكِ أن يَسْتَغِيثَ بغيرِ اللهِ أو يَدْعُوَ غيرَهُ (١)

= كان من أنواع البلاء فى الدنيا والآخرة قاله ابن القيم . قال : وما ههنا موصولة وليس المراد بها العموم الإطلاق بل المراد التقييد الوصفى والمعنى : من شر كل مخلوق فيه شر لا من شر ما خلقه الله ، فان الجنة والملائكة والأنبياء ليس فيهم شر . والشر يقال على شيئين على الألم وعلى ما يفضى اليه

وقوله : (لم يضره شىء حتى يرتحل من منزله ذلك ، رواه مسلم) وفيه جواز الاستعاذة بكلمات الله والاستدلال على ذلك بالحديث لأن العلماء استدلوا به على أن كلمات الله غير مخلوقة قالوا لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك وفيه فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (باب : من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره) عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص ، قاله المصنف رحمه الله تعالى والمراد بالدعاء هنا دعاء المسئلة ، قاله فى الشرح . والاستغاثة : طلب الغوث وهو إزالة الشدة كالاستنصار طلب النصر ، والاستعانة طلب العون . ومن أسمائه سبحانه : المغيث بمعنى المجيب ، ومعناه المدرك عباده فى الشدائد إذا دعوه ومجيبهم ومخلصهم ، لكن الإغاثة أخص بالأفعال ، والإجابة أخص بالأقوال . والاستغاثة دعاء المكروب والدعاء أعم منها لأنه يكون من المكروب وغيره . قال شيخ الإسلام : والدعاء نوعان : دعاء مسئلة ودعاء عبادة ، فدعاء المسئلة هو طلب ما ينفع الداعى من جلب نفع أو دفع ضر ، فالمعبود لابد أن يكون مالكا للنفع والضر ولهذا أنكر الله على من عبد من دونه ما لا يملك نفعاً ولا ضراً ، وأما دعاء العبادة فهو عبادة الله بأنواع العبادات : من الصلاة والزكاة والذبح وغيرها خوفاً وطمعاً يرجوا رحمته ويخاف عذابه وإن لم يكن فى ذلك صيغة سؤال وطلب وهما متلازمان فكل دعاء عبادة فهو مستلزم لدعاء المسئلة ، وكل دعاء مسئلة فهو متضمن لدعاء العبادة ويراد به فى القرآن هذا تارة وهذا تارة ، ويراد به مجموعها وقد فسر قوله تعالى ﴿ أدعونى أستجب لكم ﴾ =

= بالنوعين قيل أعبدوني وامتثلوا أمري أستجب لكم، وقيل سلوني أعطكم. وقد أجمع العلماء على أن من صرف شيئا من نوعي الدعاء لغير الله فقد أشرك ولو قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وصلى وصام وزعم أنه مسلم، انتهى ملخصا. وقال الشيخ صنع الله الحنفي في كتابه في الرد على من ادعى أن للأولياء تصرفات: قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدّعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم ويستغاث بهم في الشدائد والبليات وبهممهم تكشف الملمات، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات مستدلين أن ذلك منهم كرامات وجوزوا لهم الذبائح والنذور وأثبتوا فيهما الأجور. وهذا كلام فيه تفريط وإفراط بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ومخالفته لعقائد الأئمة وما أجمعت عليه الأمة. فأما قولهم إن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات فيرده قوله تعالى ﴿ أإله مع الله ! ألا له الخلق والأمر ﴾ ونحوها من الآيات الدالة على أنه المنفرد بالخلق والتدبير والتصرف والتقدير لا شيء لغيره في شيء ما بوجه من الوجوه. وأما القول بالتصرف بعد الممات فهو أشنع من القول بالتصرف في الحياة، قال جل ذكره ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ وفي الحديث «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ...» الحديث. فجميع ذلك وماهو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت وأن أرواحهم ممسكة وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان، فدل على أنه ليس للميت تصرف في ذاته فضلا عن غيره. وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات من الكرامة فهو من المغالطات لأن الكرامة شيء من عند الله يكرم به أولياء لا قصد لهم فيه ولا تحدي ولا قدرة ولا علم كما في قصة مريم بنت عمران وأسيد بن حضير وأبي مسلم الخولاني يعني قوله تعالى ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا، قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ﴾ وروى البخاري تعليقا عن أنس بن مالك أن عباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند النبي ﷺ فأضاءت عصا أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها فلما افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه حتى بلغ أهله. وأما أبو مسلم الخولاني واسمه عبد الله بن ثوب فروى البيهقي عن سليمان بن =

وقول الله تعالى ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ[1] ، فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ[2] ؛ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ الآية[3] . وقوله ﴿ فابتغوا عند

= المغيرة أن أبا مسلم الخولانى جاء إلى دجلة وهى ترمى بالخشب من مدها فمشى على الماء والتفت إلى أصحابه وقال هل تفقدون من متاعكم شيئاً فندعوا الله عز وجل قال البيهقى : هذا إسناد صحيح ، ذكر ذلك ابن كثير فى البداية والنهاية . وأما قولهم فيستغاث بهم فى الشدائد فهذا أقبح مما قبله لمصادمته قوله جل ذكره ﴿ أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله ! ﴾ وقوله ﴿ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية ﴾ إلى قوله ﴿ ثم أنتم تشركون ﴾ فإنه جل ذكره الكاشف للضر والمنفرد بإجابة المضطر والمستغاث لذلك كله فاذا تعين هو جل ذكره خرج غيره من ملك ونبى وولىّ . والاستغاثة تجوز فى الأسباب والظاهرة العادية من الأمور الحسية فى قتال عدو أو إدراك عدو أو سبع أو نحوه . وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير أو فى الأمور المعنوية كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحو ذلك فمن خصائص الله لا يطلب فيها غيره فمن اعتقد أن لغير الله من نبىّ أو ولى أو روح أو غير ذلك فى كشف كربة أو قضاء حاجة تأثيراً فقد وقع فى وادى جهل خطير فهو على شفا حفرة من السعير ، انتهى ملخصا .

(١) وقوله (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك) وهذا أمر مشترك بين جميع المخلوقين سواء كانوا ملائكة أو أنبياء أو أولياء أو غيرهم مما يدعى من دون الله لا يقدر أحد منهم على نفع ولا ضر

(٢) وقوله (فإن فعلت) أى دعوت غير ربك (فإنك إذاً من الظالمين) أى المشركين . فالظلم هنا الشرك كما قال لقمان ﴿ يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾

(٣) وقوله (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو) أى هو القادر على ذلك دون ما سواه وإن يردك بخير فلا راد لفضله فإنه المنفرد بالملك =

اللهِ الرِّزْقَ[١] واعبُدُوه ﴾ الآية[٢] . وقولهِ ﴿ ومَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُومِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إلى يَوْمِ القيامَة[٣] ﴾ الآيتين

= والعطاء والمنع والضر والنفع فيجب أن يكون هو المدعو المعبود وحده دون من لا يملك ضراً ولا نفعاً . وفيه معرفة تفسير ﴿ ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك ﴾ وأن هذا هو الشرك الأكبر ، وإن أصلح الناس لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين وتفسير الآية التي بعدها وكون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفر . قاله المصنف رحمه الله

(١) وقوله (تعالى عن خليله إبراهيم) مخاطبا قومه (إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق) أي اطلبوا الرزق عنده لا عند غيره ولم يقل فابتغوا الرزق عند الله لأن تقديم الظرف يشعر بالاختصاص والحصر كأنه قال : لا تبتغوا الرزق إلا عند الله ، قاله شيخ الإسلام

(٢) وقوله (واعبدوه) أي أخلصوا له العبادة من عطف العام على الخاص. فإن ابتغاء الرزق عنده من العبادة التي أمر بها ، واشكروا له على ما أنعم عليكم ، إليه ترجعون فيجازى كل عامل بعمله . وفيه معرفة تفسير : فابتغوا عند الله الرزق. وأن الرزق لا ينبغي إلا من الله كما أن الجنة لا تطلب إلا منه ، قاله المصنف رحمه الله

(٣) وقوله تعالى (ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) أخبر تعالى أن المدعو لا يستجيب لداعيه في الدنيا كما قال تعالى ﴿ والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ﴾ الآية . ولا يستجيب له أيضا في الآخرة كما قال تعالى ﴿ وقيل ادعوا شركائكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ﴾ وقال ﴿ ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ﴾ فتناولت الآية كل داع وكل مدعو من دون الله ، قاله في فتح المجيد . ففي الآية أنه لا أضل ممن دعى غير الله ، وأنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه ، وأن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له وتسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو وكفر المدعو بتلك العبادة ، وأن هذه الأمور هي سبب كونه أضل الناس ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

وقوله ﴿ أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ[١] ﴾
وروى الطَّبَرَانِيُّ بإسناده[٢] أنه كانَ في زمن النبي ﷺ مُنَافِقٌ

---

(١) وقوله تعالى (أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون) يحتج تعالى على المشركين بما أقروا به من توحيد الربوبية على ما أشركوا فيه من توحيد الإلهية ، يقول إذا كنتم تقرون أنه لا إله مع الله يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء النازل بكم ويجعلكم خلفاء الأرض أي يستخلف في الأرض منكم بعد أمواتكم خلفاء أحياء يخلفونهم فلماذا عبدتم غيره ممن لا يستطيع شيئا من ذلك ﴿ قليلا ما تذكرون ﴾ أي قليلا اتعاظكم فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته . وفيه معرفة تفسير ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ﴾ والأمر العجيب وهو إقرار عبدة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلا الله ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين ، قاله المصنف رحمه الله

(٢) قوله (وروى الطبراني بإسناده) وهو الإمام الحافظ سليمان بن أحمد ابن أيوب اللخمي الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة وغيرها ، روى عن النسائي وإسحق بن إبراهيم الديري وخلق ، مات سنة ست وثلاثمائة عن عبادة ، هو ابن الصامت رضي الله عنه (أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين) وهذا المنافق هو عبد الله بن أبيّ كما جاء مصرحا به في رواية ابن أبي حاتم ، وهذا شأن المنافقين في كل زمان ومكان طبعهم السعي في أذية المؤمنين بالقول والفعل ورميهم بالعظائم لا سيما في هذا الزمن الذي ضعف فيه أمر الدين في قلوب الذين يرجى منهم نصرته وتأييده فلذا رفع المنافقون رؤوسهم وأظهروا نفاقهم ، قال حذيفة رضي الله عنه : المنافقون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ ، قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : أولئك يخفون نفاقهم وهؤلاء أعلنوه ، وإذا كان هذا قول حذيفة عن المنافقين الذين كانوا في آخر عصر الصحابة فكيف بمنافقي الرابع عشر قرنا !؟ فالله المستعان

يؤذِى المؤمنين فقال بعضُهم[١] : قوموا بنا نستغيثُ برسول الله ﷺ من هذا المنافق ، فقال النبيُّ ﷺ « إنه لا يُستَغاثُ بى ، وإنَّما يُستغاثُ بالله[٢] »

---

(١) قوله (فقال بعضهم) : أى الصحابة ، وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه (قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق) فى كف أذاه

(٢) قوله (فقال النبى ﷺ إنه لا يستغاث بى وإنما يستغاث بالله عز وجل) أخبرهم النبى ﷺ أنه لا يستغاث به ومن دونه من باب أولى أن لا يستغاث به ، كره ﷺ أن يستعملوا هذا اللفظ فى حقه وإن كان مما يقدر عليه فى حياته لجناب التوحيد وسداً لذرائع الشرك وأدباً وتواضعاً لربه وتحذيراً للأمة من وسائل الشرك فى الأقوال والأفعال . فاذا كان هذا قوله فيما يقدر عليه فى حياته فكيف تجوز الاستغاثة به بعد وفاته ويطلب منه أمور لايقدر عليها إلا الله عز وجل ، كما جرى على ألسنة كثير من الشعراء كالأبوصيرى والبرعى وغيرهما من الاستغاثة بمن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، والإعراض عن الاستغاثة بالرب العظيم القادر على كل شئ لا إله غيره ولا رب سواه ، قاله فى فتح المجيد . وفيه حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد ، والتأدب مع الله عز وجل . قاله المصنف رحمه الله تعالى . وذكر شيخ الإسلام فى كتاب الاستغاثة عن بعض أهل زمانه أنه جوز الاستغاثة بالرسول ﷺ فى كل ما يستغاث فيه بالله وصنف فى ذلك مصنفا وكان يقول إن النبى ﷺ يعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر عليه الله ، وأن بعضهم قال فى قوله ﴿ وتسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ أن الرسول هو الذى يسبح ، ومنهم من قال : نحن نعبد الله ورسوله . . إلى غير ذلك من الكفر الصريح ، والله يقول ﴿ قل لايعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله ﴾ ويقول ﴿ قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ﴾ انتهى

١٥ — باب

قولِ اللهِ تعالى ﴿ أيشرِكونَ ما لَا يخلُقُ شيئاً وهُمْ يُخلَقُونَ ، ولا يَستَطيعون لهم نَصراً ﴾[١] الآية ، وقوله ﴿ والّذِين تَدْعُونَ مِنْ دُونه ما يَملِكونَ من قِطمِير ﴾ الآية[٢]

---

(١) قوله (باب قول الله تعالى أيشركون مالا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون) وهذا توبيخ وتعنيف للمشركين فى عبادتهم مع الله تعالى مالا يخلق شيئا وهو مخلوق والمخلوق لا يكون شريكا للخالق فى العبادة التى خلقهم لها وشيئا نكرة فى سياق النفى تعم كل شىء وإن قل كما قال تعالى ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره ﴾ الآية : فذكر أنهم لا يستطيعون لمن عبدهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون ، فنفى عنهم النصر القاصر وهو نصرهم لأنفسهم والمتعدى وهو نصرهم لغيرهم فكيف يشركون مع الله فى عبادته من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه ؟ وهذا وصف كل مخلوق حتى الملائكة والأنبياء والأولياء والصالحين

(٢) وقوله تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) بعد قوله ﴿ ذلكم الله ربكم له الملك ﴾ يخبر تعالى أن الملك له وحده لا شريك له ، وأن الذين يدعون من دونه من الملائكة والأنبياء والأولياء والأصنام وغيرها ما يملكون لمن دعاهم من قطمير ، وهو اللفافة التى على ظهر نواة التمر ، قاله ابن عباس وغيره أى لا يملكون قليلا ولا كثيرا ، ثم قال تعالى ﴿ إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ﴾ ولو فرض أنهم سمعوا ما استجابوا لكم بل قد انتفت عنهم الأسباب التى تكون فى المدعو المعبود وهى الملك وسماع الدعاء وإجابة الداعى فمن لم توجد فيه هذه الشروط بطلت دعوته وعبادته ، ثم قال ويوم القيامة يكفرون بشرككم أى يجحدون عبادتكم إياهم وينكرونها ، كما قال تعالى ﴿ وقال =

وفى الصحيح(١) عن أنس قال : شُجَّ النبىُّ ﷺ يومَ أُحُدٍ

= شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين ﴾ . وهذه الآية نص فى أن دعاء غير الله شرك ولا ينبئك مثل خبير أى لا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه مثل خبير . قال قتادة : يعنى نفسه تبارك وتعالى . وفيه معرفة تفسير الآيتين ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (وفى الصحيح) أى الصحيحين علقه البخارى عن حميد عن أنس ، ووصله أحمد والترمذى والشافعى عن حميد (عن أنس بن مالك) خادم رسول الله ﷺ رضى الله عنه . (قال شج النبى ﷺ يوم أحد وكسرت رباعته) قال أبو السعادات الشج فى الرأس خاصا فى الأصل وهو أن يضربه بشىء فيجرحه فيه ويشقه ثم استعمل فى غيره من الأعضاء . وذكر ابن هشام من حديث أبى سعيد الخدرى أن عتبة بن أبى وقاص هو الذى كسر رباعية النبى ﷺ السفلى وأن عبد الله بن شهاب الزهرى هو الذى شجه فى جبهته ، وأن عبد الله بن قمئة جرحه فى وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته وأن مالك بن سنان مص الدم من وجه رسول الله ﷺ ثم ازدرده فقال رسول الله ﷺ له « لن تمسك النار » وروى الطبرانى من حديث أبى أمامة قال : رمى عبد الله بن قمئة رسول الله ﷺ يوم أحد فشج وجهه وكسر رباعيته فقال خذها وأنا ابن قمئة فقال رسول الله ﷺ « مالك أقمأك الله » فسلط الله عليه تيس الجبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة . قال القرطبى : الرباعية بفتح الراء وتخفيف الياء كل سن بعد ثنية . قال النووى : وللإنسان أربع رباعيات . قال الحافظ ابن حجر : والمراد أنها كسرت فذهب منها فلقة ولم تقلع من أصلها . قال النووى : وفى هذا وقوع الأسقام والابتلاء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لينالوا بذلك جزيل الأجر والثواب ولتعرف الأمم ما أصابهم ويأتسوا بهم قال القرطبى . وليعلم أنهم من البشر تصيبهم محن الدنيا ويطرأ على أجسامهم ما يطرأ على أجسام البشر ليتيقن أنهم مخلوقون مربوبون ولا يفتتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات ويلبس الشيطان من أمرهم ما لبسه على النصارى وغيرهم انتهى . يعنى من الغلو والعبادة قاله فى فتح المجيد .

قوله يوم أحد : هو جبل شرقى المدينة قال ﷺ « أحد جبل يحبنا ونحبه » وكانت عنده الوقعة المشهورة فأضيفت إليه

وكُسِرَتْ رُبَاعِيَتُه فقال : « كيفَ يُفلِحُ قومٌ شَجُّوا نَبيَّهُمْ[(١)] » فنزلت ﴿ ليسَ لكَ منَ الأمرِ شيء[(٢)] ﴾ . وفيه عن ابن عمر رضى الله عنهما[(٣)] أنه سمعَ رسولَ اللهِ ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع[(٤)] فى الركعة الأخيرة من الفجر « اللهمَّ العَنْ فلاناً وفلاناً » بعد ما يقول « سَمِعَ اللهُ لمن حَمِدَه ربنَا ولكَ الحمد » فأنزلَ الله : ﴿ ليسَ لكَ من الأمر

---

(١) قوله (فقال : كيف يفلح قوم شجوا نبيهم) زاد مسلم « وكسروا رباعيته وأدموا وجهه »

(٢) قوله (فأنزل الله : ليس لك من الأمر شيء) قال ابن عطية : كان النبي ﷺ لحقه فى تلك الحال يائس من فلاح كفار قريش فقيل له بسبب ذلك ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ أى عواقب الامور بيد الله ، فامض أنت لشأنك ودم على طاعة ربك . قال ابن إسحق : أى ليس لك من الحكم شيء فى عبادى إلا ما أمرتك به فيهم

(٣) قوله (وفيه أيضا) أى الصحيح (عن ابن عمر) بن الخطاب رضى الله عنهما ، صحابى جليل شهد له رسول الله ﷺ بالصلاح . مات سنة ثلاث وسبعين فى آخرها أو فى أول التى تليها

(٤) قوله (أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الأخيرة من الفجر « اللهم العن فلانا وفلان » بعد ما يقول (سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد) قال أبو السعادات أصل اللعن الطرد والإبعاد من الله ، ومن الخلق السب والدعاء .

وقوله : فلانا وفلانا يعنى صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام كما بينه فى الرواية الآتية . وفيه جواز الدعاء على المشركين بأعيانهم فى الصلاة وأن ذلك لا يضر فى الصلاة

شىء » الآية . وفيه فى رواية : يَدْعُو على صَفْوَان(١) بن أُمَيَّةَ وسُهَيْل

قوله : بعد ما يقول « سمع الله لمن حمده » قال أبو السعادات : أى أجاب حمده وتقبله . قال السهيلى مفعول سمع محذوف لأن السمع متعلق بالأقوال والأصوات دون غيرها ، فاللام تؤذن بمعنى زائد وهو الاستجابة للسمع فاجتمع فى الكلمة الإيجاز والدلالة على الزائد وهو الاستجابة لمن حمده . وقال ابن القيم ما معناه : عدى سمع الله لمن حمده باللام المتضمنة معنى استجاب له ولا حذف هناك وإنما هو مضمن قوله : ربنا ولك الحمد فى بعض روايات البخارى بإسقاط الواو . قال ابن دقيق العيد : كان إثباتها دال على معنى زائد لأنه يكون التقدير : ربنا استجب ولك الحمد فيشتمل على معنى الدعاء ومعنى الخبر . قال شيخ الإسلام : والحمد ضد الذم ، والحمد يكون على محاسن المحمود مع المحبة له كما أن الذم يكون على مساوئه مع البغض له ، وفيه التصريح بأن الإمام يجمع بين التسميع والتحميد وهو قول الشافعى وأحمد وخالفه فى ذلك مالك وأبو حنيفة وقالا : يقتصر على سمع الله لمن حمده

(١) قوله (وفى رواية : يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام) عينهم ﷺ لأنهم من أشد الناس عداوة له وهم السبب فى غالب ما جرى عليه ﷺ وعلى أصحابه هم وأبو سفيان ، ومع ذلك ما أجيب فيهم بل أنزل الله عليه ﴿ ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾ فتاب عليهم فآمنوا . فدل هذا على أنه ﷺ لا يملك لأحد ضراً ولا نفعاً كما قال تعالى ﴿ قل إنى لا أملك لكم ضراً ولا رشداً . قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا إلا بلاغا من الله ورسالاته ﴾ بل لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلا عن غيره كما قال تعالى ﴿ قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾ وفيه : قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون فى الصلاة ، وأن المدعو عليهم كفار ، وأنهم فعلوا أشياء مافعلها غالب الكفار منها شجهم نبيهم وحرصهم على قتله ، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم (فأنزل الله عليه فى ذلك ﴿ ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون فتاب عليهم فآمنوا ﴾ . والقنوت فى النوازل وتسمية المدعو عليهم فى الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم ولعنة المعين فى القنوت قاله المصنف رحمه الله

ابن عمرو والحارث بن هشام فنزلت ﴿ ليسَ لكَ من الأمر شيء ﴾ وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقربين[1] ﴾ . فقال : « يا معشر قريش[2] - أو كلمةً نحوَها[3] - اشتَرَوا أنفُسَكم[4] . لا أُغْنى عنكم منَ

وقوله (وفى الصحيح) أى صحيح البخارى (عن أبى هريرة رضى الله عنه) واختلف فى اسمه على أكثر من ثلاثين قولا ، وصحح النووى أن اسمه عبد الرحمن ابن صخر كما رواه الحاكم فى المستدرك عن أبى هريرة قال كان يسمى فى الجاهلية عبد شمس بن صخر فسميت فى الإسلام عبد الرحمن وروى الدولابى بإسناده عن أبى هريرة أن النبى ﷺ سماه عبد الله وهو دوسى من فضلاء الصحابة وحفاظهم رضى الله عنه حفظ عن النبى ﷺ أكثر مما حفظ غيره ، مات سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة ولما حصل الخلاف بين على ومعاوية رضى الله عنهما كان مقيما فى جبل مطل على الفريقين فاذا جاءت الصلاة نزل فصلى مع على ، وإذا جاء وقت الأكل نزل فأكل مع معاوية ، فقيل له فى ذلك فقال : الصلاة وراء على أتم ، وحفنة معاوية أدسم ، ورأس الجبل لأبى هريرة أسلم

(١) قوله (قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ، والإنذار هو الإعلام بأسباب المخافة والتحذير منها وهذه نذارة خاصة أمر فيها بإنذار عشيرته الأقربين . وعشيرة الرجل بنو أبيه الأدنون أو قبيلته . والأقربون الأقرب فالأقرب فأنذر بطون قريش وأنذر عمه وعمته وابنته وهم أقرب الناس إليه فعم وخص ، وأخبرهم أنه لا يغنى عنهم من الله شيئا إذا لم يؤمنوا به ويقبلوا ما جاء به من التوحيد وترك الشرك . وأما النذارة العامة ففى قوله تعالى ﴿ وأوحى إلىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾ وقوله ﴿ أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس ﴾ وغيرها من الآيات

(١) قوله (فقال) يا معشر قريش ، المعشر : كمسكن الجماعة ، وفى صحيح البخارى يا بنى عبد مناف

(٢) قوله (أو كلمة نحوها) هو بنصب كلمة عطفا على ما قبله

(٣) وقوله (اشتروا أنفسكم) أى بتوحيد الله وإخلاص العبادة له وحده

اللهِ شيئاً [١] ، يا عباسُ بنَ عبدِ المطَّلب [٢] لا أُغنى عنكَ من الله شيئاً ، يا صَفِيَّةُ عمةَ رسول الله ﷺ لا أُغنى عنكِ من اللهِ شيئاً ، ويافاطمةُ بنتَ محمد ، سَلِينى من مالى ما شئتِ [٣] لا أُغنى عنكِ من الله شيئاً »

= لا شريك له وطاعته فيما أمر به والانتهاء عما نهى عنه . فان ذلك هو الذى ينجى من عذاب الله، لا الاعتماد على الأنساب والأحساب فان ذلك غير نافع عند رب الأرباب

(١) وقوله (لا أغنى عنكم من الله شيئا) فيه حجة على من تعلق على الأنبياء والصالحين ليشفعوا له وينفعوه أو يدفعوا عنه. فإن هذا هو الشرك الذى حرمه الله الله وأمر نبيه بالإنذار عنه . قاله فى فتح المجيد

(٢) قوله (يا عباس بن عبد المطلب) بنصب ابن ويجوز فى عباس الرفع والنصب وكذا فى قوله (يا صفية عمة رسول الله ، ويا فاطمة بنت محمد)

(٣) قوله (سلينى من مالى ما شئت) أى الذى أنا أملكه (لا أغنى عنك من الله شيئا) بين ﷺ أنه لا ينجى من عذاب الله إلا الإيمان والعمل الصالح ، وهذا نفى لما عسى أن يتوهموه من أنه يغنى عنهم من الله شيئا بشفاعته ، فإذا كان لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً كما أخبر الله عنه بقوله ﴿ قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ﴾ الآية . بل ولا يدفع عن نفسه عذاب الله لو عصاه ﴿ قل إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم ﴾ فكيف يملك لغيره نفعاً أو ضراً أو يدفع عنه عذاب الله ؟ وأما شفاعته فى بعض العصاة فهو أمر من الله له ابتداء فضلا عليه وعليهم لا أنه يشفع من تلقاء نفسه فيمن يشاء . وفيه جده ﷺ لما أنزل عليه ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون وكذلك لو يفعله مسلم الآن وقوله للأبعد والأقرب « لا أغنى عنك من الله شيئا » فإذا صرح وهو سيد المرسلين أنه لا يغنى شيئا عن سيدة نساء العالمين وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق ثم نظر فيما وقع فى قلوب خواص الناس الآن تبين له التوحيد وغربة الدين ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

١٦ - باب

قولِ الله تعالى ﴿ حتىٰ إذا فُزِّعَ عن قُلُوبهم قالوا : ماذا قال ربُّكم ؟ قالوا : الحقَّ ، وهو العليُّ الكبير ﴾[1]

(١) قوله (باب قول الله تعالى : حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلى الكبير) . أراد المصنف رحمه الله تعالى بالترجمة بهذه الآية بيان حال الملائكة الذين هم أقوى وأعظم من عبد من دون الله وأقربهم منه منزلة ، فاذا كانت هذه هيبتهم وخوفهم من الله عند سماعهم لكلامه فكيف يدعون من دونه وهم لا يملكون شيئا لمن دعاهم ، وإذا كانوا لا يملكون شيئا فغيرهم من الأنبياء والأولياء أولى أن لا يدعى ، ففيها رد على جميع فرق المشركين الذين يدعون من لا يدانى الملائكة فى صفة من صفاتهم ، وهذه الآية مرتبطة بما قبلها ، وهى قوله تعالى ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم - أى زال عنها الفزع قاله بن عباس وغيره - قالوا ماذا قال ربكم ﴾ الآية . قال أبو حيان تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن قوله ﴿ حتى إذا فزع عن قلوبهم ﴾ إنما هى الملائكة إذا سمعوا الوحى إلى جبريل وأمر الله تعالى له سمعت كجر السلسلة الحديد على الصفوان فتفزع عند ذلك تعظيما وهيبة ، قال : وبهذا المعنى من ذكر الملائكة مشار اليهم من أول قوله ﴿ الذين زعمتم ﴾ لم تتصل له هذه الآية بما قبلها انتهى ، قال ابن جرير : قال بعضهم الذين فزع عن قلوبهم الملائكة ، قالوا : وإنما فزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله عز وجل ، قال ابن كثير : وهو الحق الذى لا مرية فيه لصحة الأحاديث فيه والآثار ، انتهى . وفى الآية : الرد على من زعم أن كلام الله مخلوق وعلى القائلين بالكلام النفسى . وقد كان المشركون يعبدون الملائكة ويزعمون أنهم بنات الله تعالى وتقدس ، ويقولون نعبدهم ليقربونا اليه ويشفعوا لنا عنده كما أخبر الله عنهم فى قوله ﴿ ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا سبحانك .=

= أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن ﴾ وقال تعالى ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون ﴾ وقال تعالى ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ، ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزى الظالمين ﴾ . فلذا يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يدعون الملائكة ﴿ ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ﴾ يستقلون به ، والذرة قيل إنها صغار النمل وقيل إنها الهباء الذى يرى فى الكوة إذا نزلت الشمس معها

وقوله ومالهم فيهما من شرك ، أى لا يملكون مثقال ذرة يستقلون به ولا على طريق المشاركة

وقوله وماله منهم من ظهير ، والظهير : المعين

وقوله ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له . وهذه الآية تقطع عروق الشرك بأمور أربعة

الأول : أنهم لا يملكون مثقال ذرة مع الله والذى لا يملك مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض لا ينفع ولا يضر

الثانى : قوله ومالهم فيهما من شرك . أى فى السموات والأرض

الثالث : قوله وماله منهم من ظهير ، والظهير : المعين فليس له معين من خلقه بل هو الذى يعينهم على ما ينفعهم لكمال غناه عنهم وفقرهم اليه فيما قل وكثر من أمور دنياهم وأخراهم

الرابع : قوله ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ، وفيه معرفة تفسير الآية وما فيها من الحجة على إبطال الشرك خصوصاً ما تعلق على الصالحين وهى الآية التى قيل إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

فى الصحيح (١) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « إذا قضى اللهُ الأمرَ فى السماء ضَرَبَتِ الملائكةُ (٢) بأجنحتها خضعاناً لقولِهِ، كأنه سِلسلةٌ على صَفْوَان (٣) يَنفُذُهم ذلك (٤) ﴿ حتى إذا فزّعَ عن قلوبهم (٥) قالوا: ما ذا قال ربُّكم (٦)؟ قالوا الحقَّ وهو العلىُّ الكبير (٧) ﴾

---

(١) قوله (فى الصحيح) أى صحيح البخارى (عن أبى هريرة) رضى الله عنه (عن النبى ﷺ قال « إذا قضى الله الأمر فى السماء ») أى إذا تكلم بأمره الذى قضاه فى السماء مما يكون

(٢) قوله (ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا) بفتحتين من الخضوع وفى رواية خضعانا بضم أوله وسكون ثانيه مصدر أى خاضعين (لقوله) عز وجل

(٣) قوله (كأنه سلسلة على صفوان) وهو الحجر الأملس وقد روى ابن مروية من حديث ابن مسعود رفعه « إذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان » الحديث

(٤) قوله (ينفذهم ذلك) بفتح التحتية وسكون النون وضم الفاء والذال المعجمة، أى يمضى كلام الله الذ تكلم به وينفذ قلوب الملائكة حتى يفزعوا من ذلك وعند ابن مردوية من حديث ابن عباس « فلا ينزل على أهل سماء إلا صعقوا » وعند أبى داود وغيره مرفوعا « إذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السماء الدنيا صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون »

(٥) قوله (حتى إذا فزع عن قلوبهم) أى زال عنها الفزع قال ابن عباس وغيره

(٦) قوله (قالوا: ماذا قال ربكم؟) ولم يقولوا: ماذا خلق ربكم؟ أى قال الملائكة بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ ولو كان كلام الله مخلوقا لقالوا: ماذا خلق ربكم؟

(٧) وقوله (قالوا الحق وهو العلى الكبير) أى قالوا: قال الله الحق، علموا أن الله لا يقول إلا حقا

فيسمعُها مُسْتَرَقُ السمعِ (١) ، ومسترقُ السمعِ هكذا (٢) بعضُهُ فوقَ بعض ـ وصفه سفيان بكفّه فحرفها (٣) وبدّدَ (٤) بينَ أصابعه ـ

---

(١) قوله (فيسمعها مسترق السمع) أى يسمع الكلمة التى قضاها الله وسمعتها الملائكة وتحدثوا بها ومسترق السمع هم الشياطين ، وفى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها مرفوعا أن الملائكة تنزل فى العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضى فى السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوصله إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم ، فظاهر هذا أنهم لا يسمعون كلام الملائكة الذين فى السماء الدنيا وإنما يسمعون كلام الملائكة الذين فى السحاب ، قاله فى الشرح قال : فى إبطال التنديد وليس كما قال فان هذا الحديث إنما دل على أنهم يسمعون من الذين فى السحاب ، وسماعهم منهم لا ينفى سماعهم من الذين فى السماء الدنيا بل سماعهم منها دل عليه دليل آخر ، وقد قال تعالى ﴿ وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين ﴾ وقال ﴿ إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب ﴾ وقال تعالى إخبارا عنهم ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ﴾ . والشهب إنما يرمى بها من السماء لا من السحاب ، فالحق أن يقال إنهم كما يسمعون من ملائكة السماء ، فكذلك يسمعون من ملائكة السحاب ولا تنافى بين الأمرين ، انتهى

(٢) قوله (ومسترق السمع هكذا وصفه سفيان بكفه) أى وصف ركوب بعضهم فوق بعض . وسفيان هو ابن عيينة الهلالى أبو محمد الكوفى ثم المكى ثقة حافظ فقيه إمام حجة إلا أنه تغير حفظه بآخرة وربما دلس لكن عن الثقات . مات سنة ثمان وتسعين ومائة وله إحدى وتسعون سنة

(٣) قوله (فحرفها) بحاء مهملة وراء مشددة وفاء

(٤) قوله (وبدد) أى فرق بين أصابعه

فيسمعُ الكلمةَ فيُلْقِيها إلى مَن تحتَه[١] ، ثم يُلقِيها الآخرُ إلى مَن تحتَه ، حتى يُلقِيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربَّما أدركه الشّهاب قبل أن يُلقِيَها ، وربما ألْقاها قبل أن يُدرِكه[٢] ، فيكذِبُ معها مائة كِذْبة[٣] ،

---

(١) قوله (فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته) أى يلقى الشيطان الفوقانى المستمع الكلمة التى سمعها إلى الشيطان الذى تحته وهكذا (حتى يلقيها آخرهم على لسان الساحر أو الكاهن)

(٢) قوله (فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه) والشهاب النجم الذى يرمى به مسترق السمع ، وهو لا يقتله لما روى ابن جرير عن ابن عباس : فأتبعه شهاب ثاقب. قال : لا يقتلون بشهاب ولا يموتون ولكنها تحرقهم من غير قتل وتخبل وتخدج من غير قتل ، وهذا يدل على أن الرجم بالنجوم كان قبل المبعث لما روى أحمد ومسلم والترمذى والنسائى عن معمر عن الزهرى عن على بن حسين عن ابن عباس قال : كان النبى ﷺ جالسا فى نفر من أصحابه فرمى بنجم فاستنار فقال : « ما كنتم تقولون إذا كان هذا فى الجاهلية ؟ » قالوا : نقول يولد عظيم أو يموت عظيم. فقال « إنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا إذا قضى أمراً سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلون حملة العرش فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر أهل كل سماء سماء حتى ينتهى الخبر إلى هذه السماء وتخطف الجن السمع فيرمون ، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق لكنهم يحرفونه ويزيدون فيه » قال معمر ، قلت للزهرى : كان يرمى بها فى الجاهلية ؟ قال : نعم ، أرأيت وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصداً ، قال : غلظت وشدد أمرها حين بعث رسول الله ﷺ . وفيه الرد على المنجمين الذين ينسبون الحوادث التى تقع فى الأرض إلى الكواكب لما فى الرمى بها من الدلالة على أنها مسخرة لما خلقت له . لقوله تعالى ﴿ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ﴾

(٣) قوله (فيكذب معها مائة كذبة) بفتح الكاف وسكون الذال المعجمة أى يكذب الكاهن أو الساحر مع الكلمة التى ألقاها اليه وليه من الشياطين مائة =

فيقال : أَليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا : كذا وكذا [١] ؟ فيُصدَّقُ بتلك الكلمة التى سُمِعَتْ من السماء »

وعن النوّاس بن سمعان [٢] رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ

= كذبة أو يكذب الشيطان مع الكلمة التى استرقها مائة كذبة ويخبر بالجميع وليه من الإنس فيفتتن الإنس بالإنسى الساحر أو الكاهن ويفتتنان بوليهما من الشياطين ويقبلون ما جاؤوا به من الصدق والكذب لكونهم قد يصدقون فيما يأتون به من خبر السماء

(١) قوله (فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا : كذا وكذا) فيصدقون بكونهم قد يصدقون بعض الأحيان كما فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها ، قلت : يا رسول الله إن الكهان كانوا يحدثونا بالشىء فنجده حقا . قال « تلك الكلمة التى يخطفها الجنى فيقذفها فى أذن وليه ويزيد فيها مائة كذبة » وفيه ذكر استراق الشياطين وصفة ركوب بعضهم بعضا وإرسال الشهب ، وأنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها وتارة يلقيها فى أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه ، وكون الكاهن يصدق فى بعض الأحيان وكونه يكذب معها مائة كذبة وأنه لم يصدق كذبه (إلا بتلك الكلمة التى سمعت من السماء) وكونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة ويحفظونها وفيه قبول النفوس للباطل كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة كذبة ، قاله المصنف رحمه الله تعالى . وفيه أن الشىء إذا كان فيه شىء من الحق فلا يدل على أنه كله حق فكثيراً ما يلبس أهل الضلال الحق بالباطل ليكون أقبل لباطلهم ، قال تعالى ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾ . وفى هذه الأحاديث وما بعدها وما فى معناها إثبات علو الله تعالى على خلقه على مايليق بجلاله وعظمته خلافا للأشاعرة والجهمية ونفاة المعتزلة ، قاله فى فتح المجيد

(٢) قوله (وعن النواس بن سمعان) ـ بكسر السين ـ بن خالد الكلابى ، ويقال الأنصارى صحابى ، ويقال إن أباه صحابى أيضا (قال : قال رسول الله ﷺ « إذا أراد الله أن يوحى بالأمر ») . والإرادة صفة من صفاته عز وجل =

« إذا أراد اللهُ تعالى أن يوحيَ بالأمر تكلَّمَ بالوحي[١] أخذتِ السمواتِ منه رَجْفةٌ[٢] ـ أو قال رِعْدَةٌ ـ شديدةٌ[٣] ، خوفاً من الله عز وجل ، فإذا سمع ذلك أهل السموات صَعِقُوا وخَرُّوا لله سُجَّداً[٤] ، فيكونُ أولَ

= وهي نوعان : إرادة شرعية دينية ، فتكون هي المحبة ، وإرادة كونية قدرية فتكون هي المشيئة

(١) قوله (تكلم بالوحى) فيه التصريح بأن الله يتكلم بالوحى فيوحيه إلى جبريل عليه السلام ففيه الرد على الأشاعرة فى إنكارهم كلام الرب تعالى وزعمهم أن القرآن عبارة عن كلام الله

(٢) قوله (أخذت السموات منه رجفة) هو برفع رجفة على أنه فاعل ، أى أصاب السموات منه رجفة أى ارتجفت . كما روى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال إذا قضى الله تبارك وتعالى أمراً رجفت السموات والأرض والجبال وخرت الملائكة كلهم سجداً

(٣) قوله (أو قال : رعدة شديدة) شك من الراوى هل قال النبي ﷺ رجفة أو قال رعدة ، وهو بفتح الراء : خوفا من الله عز وجل . يعنى أن ارتجافها وارتعادها ناشئ عن خوفها من الله تعالى ، فالسموات تخاف الله بما جعل فيها من الإحساس ومعرفة من خلقها كما قال تعالى ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا ﴾ وفى البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفى حديث أبى ذر أن النبي ﷺ أخذ فى يده حصيات فسمع لهن تسبيح كحنين النحل وكذا فى يد أبى بكر وعمر وعثمان ، وهو حديث مشهور فى المسانيد

(٤) قوله (فاذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً) أى يحصل لهم الأمران الصعق وهو الغشى والسجود هيبة وتعظيما لربهم وخشية لما سمعوا من كلام الله تعالى وتقدس

من يرفع رأسَه جبريلُ(١) ، فيُكلمه اللهُ من وَحْيه بما أراد(٢) ، ثمَّ يمرُّ جبريل على الملائكة كلَّما مرَّ بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربُّنا ياجبريلُ؟ فيقول جبريل : قال الحقَّ وهو العليُّ الكبير(٣) ، فيقولون كلهم مثلَ ماقال جبريلُ . فينتهى جبريل بالوحى إلى حيثُ أمرَهُ اللهُ عز وجل(٤) »

---

(١) قوله (فيكون أول من يرفع رأسه جبريل) لأنه ملك الوحى . وفيه فضيلة جبريل عليه السلام كما قال تعالى ﴿ إنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثَم أمين ﴾ قال أبو صالح فى قوله ﴿ عند ذى العرش مكين ﴾ قال جبريل يدخل فى سبعين حجابا من نور بغير إذن

(٢) قوله (فيكلمه الله من وحيه بما أراد) وفيه إثبات صفة الكلام والإرادة

(٣) قوله (ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء يسأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول : قال الحق وهو العلى الكبير) فله العلو المطلق سبحانه علو القدر وعلو القهر وعلو الذات

(٤) قوله (فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهى بالوحى إلى حيث أمره الله عز وجل) وتمامه من السماء والأرض وقد بيض المصنف لتمام الحديث ومن رواه . وقد رواه ابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى قاله فى الشرح . وفيه ارتجاف السموات لكلام الله عز وجل وأن تلك الرجفة والغشى خوفا من الله عز وجل وأن الغشى يعم أهل السموات كلهم وأنهم يخرون لله سجدا وأن أول من يرفع رأسه جبريل وسبب سؤال الملائكة وتفسير قوله: قال الحق وهوالعلى الكبير ، وأن جبريل ينتهى بالوحى إلى حيث أمره الله عز وجل ، وأنه يجيب الملائكة بعد ذلك بقوله قال كذا وكذا وأنه يقول لأهل السموات كلهم وإثبات الصفات خلافا للأشعرية المعطلة ، قاله المصنف رحمه الله تعالى والآيات المذكورة فى هذا الباب والأحاديث تقرر التوحيد الذى هو مدلول شهادة أن لا إله إلا =

١٧ – باب
الشفاعة (١)

= الله ، فإن الملك العظيم الذى تصعق الأملاك من كلامه خوفا منه ومهابة وترجف منه المخلوقات ، الكامل فى ذاته وصفاته وعلمه وقدرته وملكه وعزه وغناه عن جميع خلقه وافتقادهم جميعا إليه ونفوذ تصرفه وقدره فيهم لعلمه وحكمته ، لا يجوز شرعا ولا عقلا أن يجعل له شريك من خلقه فى عبادته التى هى حقه عليهم ، فكيف يجعل المربوب رباً والعبد معبوداً أين ذهبت عقول المشركين سبحان الله عما يصفون ، قاله فى فتح المجيد

(١) قوله (باب الشفاعة) : الشفاعة هى إعانة الطالب والمشفوع اليه فى المطلوب حتى يصير كل منهما معه شفعاً بعد أن كان وتراً فكل من أعان غيره على أمر فقد شفعه فيه فإن أعنت على بر وتقوى كانت شفاعة حسنة وإن أعنت على إثم وعدوان كانت شفاعة سيئة . والبر ما أمرت به ، والإثم ما نهيت عنه . والله تعالى وتر لا يشفعه أحد فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، فالأمر كله اليه وحده لا شريك له بوجه . قال شيخ الإسلام رحمه الله قال : والشفاعة سبب من الأسباب التى يرحم الله بها من يرحم من عباده ، وأحق الناس برحمته أهـــل التوحيد والإخلاص له ، فكل من كان أكمل فى تحقيق إخلاص لا إله إلا الله علما وعقيدة وعملا وبراءة وموالاة ومعاداة كان أحق بالرحمة . قال : وأحاديث الشفاعة كثيرة متواترة فى الصحيحين والسنن والمسانيد انتهى . وشروطها : إذنه تعالى للشافع ورضاه عن المشفوع فيه ، ومانعها : الشرك بالله ، ومستحقها الموحد ، والمالك لها : هو الله عز وجل . وأنواعها ستة فيما ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله . الأول : الشفاعة الكبرى التى يتأخر عنها أولى العزم من الرسل حتى تنتهى إلى النبى ﷺ وهى الشفاعة لإراحتهم من موقف القيامة وهذه خاصة بالنبى ﷺ لا يشركه فيها أحد . الثانى : شفاعته لأهل الجنة فى دخولها . الثالث : شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار فيشفع لهم أن لا يدخلوها . الرابع : شفاعته فى العصاة من أهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم أن يخرجوا منها . والأحاديث بها متواترة ، وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة وَبدَّعوا من =

وقولِ الله تعالى ﴿ وأَنذِرْ به الذينَ يخافونَ أن يُحشَرُوا إلى ربِّهم[(١)] ليس لهم مِن دُونِه وليٌّ ولا شَفِيع ﴾ وقوله ﴿ قُل لله الشفاعةُ جميعاً[(٢)] ﴾

= أنكرها أى نسبوهم إلى البدعة . الخامس : شفاعته لقوم من أهل الجنة فى زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم وهذه لم ينازع فيها أحد وكلها مختصة بأهل الإخلاص . السادس : شفاعته فى بعض الكفار من أهل النار حتى يخفف عنهم العذاب وهذه خاصة بأبى طالب وحده انتهى .

(١) قوله (وقول الله تعالى : وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم) يقول تعالى : وأنذر يا محمد به ـ أى بالقرآن ـ قاله ابن عباس : الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم وهم أهل الإخلاص الذين لم يتخذوا من دون الله شفيعاً بل أخلصوا قصدهم وطلبهم وجميع أعمالهم لله وحده ولم يلتفتوا إلى أحد سواه فيما يرجونه أو يخافونه . والإنذار هو الإعلام بأسباب المخافة والتحذير منها وهذه نذارة خاصة أمره الله تعالى أن ينذر الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع ، أى ليس لهم من دونه ولى يتولاهم ولا شفيع من عذابه يوم القيامة لعلهم يتقون فى هذه الدار فيعملون عملا ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة . والتقوى : أن تجعل بينك وبين النار وقاية بأن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله . وأما النذارة العامة ففى قوله تعالى ﴿ وأوحى إلىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾ وغيرها

(٢) قوله (وقول الله تعالى : قل لله الشفاعة جميعا) بعد قوله ﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء ﴾ قل يا محمد أو لو كان الشفعاء الذين اتخذوهم لا يملكون شيئا ولا يعقلون ؟ وشيئا : نكرة فى سياق النفى تعم كل شئ أى لا يملكون شفاعة ولا غيرها ولا يعقلون لأنهم إما أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ، أو جماد لا تعلم شيئا ولا تعقل ، ثم قال ﴿ قل لله الشفاعة جميعا ﴾ أى هو المالك لها ، وهذا إنكار منه تعالى على المشركين فى اتخاذهم الشفعاء من =

وقوله ﴿ مَنْ ذا الّذِى يَشْفعُ عندَه إلّا بإذنه[(١)] ﴾ وقوله ﴿ وكَمْ مِنْ مَلكٍ فى السمٰواتِ لا تُغنى شَفاعتهمْ شيئاً إلّا مِنْ بعـدِ أنْ يَأْذَنَ لِمَنْ يَشَاءُ ويَرْضَى[(٢)] ﴾ وقوله ﴿ قُلِ ادعُوا الذينَ زَعَمْتمْ

= دونه مع كونهم لا يملكون شفاعة ولا غيرها فليس لمن يطلبونها منه شئ منها وإنما تطلب ممن يملكها وهو الله جل وعلا دون ما سواه

(١) وقوله تعالى (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) قال ابن جرير : نزلت لما قال الكفار : ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، فقال تعالى ﴿ له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ والإذن نوعان : إذن بمعنى المشيئة والخلق ، وإذن بمعنى الإباحة والإجازة فمن الأول قوله فى السحر ﴿ وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ أى بمشيئته وقدره وإلا فهو لم يبح السحر ، وكذا قوله ﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان ﴾ من القتل والجراح والتمثيل والهزيمة فبإذن الله فهو خالق أفعال الكفار والمؤمنين . والنوع الثانى : قوله ﴿ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه ﴾ وقوله ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ﴾ فإن هذا يتضمن إباحته لذلك وإجازته ورفع الحرج عن فاعله مع كونه بمشيئته وقضائه فقوله ﴿ من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ هو هذا الإذن الكائن بقدره وشرعه ، ولم يرد بمجرد المشيئة والقدر انتهى ملخصا من كلام شيخ الإسلام رحمه الله

(٢) وقوله (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) . قال أبو حيان « كم » خبرية ومعناها التكثير وهى فى موضع رفع بالابتداء والخبر « لا تغنى » ، وإذا كانت الملائكة لا تغنى شفاعتهم إلا بعد إذن الله ورضاه أى يرضاه أهلا للشفاعة فكيف تشفع الأصنام لمن عبدها ؟ قال ابن كثير : وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له فى الشفاعة ، كما جاء فى حديث الشفاعة « آتى تحت العرش فأخر ساجداً فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى ، =

مِنْ دونِ اللهِ لا يَملِكون مِثقَالَ ذَرَّةٍ فى السموٰاتِ ولا فى الأرض ﴾ الآيتين .

قال أبو العبــاس[1] : (*) نفى اللهُ عمَّا سواه كلَّ ما يتعلق به

= ثم يقال : ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع ، الحديث (وقول الله تعالى : قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) . وقد تقدم الكلام على هذه الآية فى الباب الذى قبل هذا وفيه معرفة تفسير الآيات ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (قال أبو العباس) هو شيخ الإسلام وعلم الهداة الأعلام أحمد ابن تيمية رحمه الله ورضى عنه (*) : نفى الله عما سواه كلما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عونا لله ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال تعالى ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ فهذه الشفاعة التى يظنها المشركون هى منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن ، وأخبر النبى ﷺ أنه يأتى فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولا ، ثم يقال له : ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع . وقال ابن القيم رحمـه الله تعالى وقد قطع الله الأسباب التى يتعلق بها المشركون جميعها قطعا يعلم من تأمله وعرفه أن من اتخذ من دون الله وليا فمثله كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت ، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل لديه من النفع ، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الخصال الأربع ، إما مالكا لما يريده منه ، فإن لم يكن مالكا كان شريكا للمالك ، فان لم يكن شريكا كان معينا له وظهيرا ، فإن لم يكن معينا له وظهيرا كان شفيعا عنده . فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيا مرتبا منتقلا من =

(*) وهذا المقام لا يتسع لذكر ترجمة هذا الإمام ، ومن أراد الوقوف على تاريخ حياته فليراجع العقود الدرية فى مناقب شيخ الإسلام الإمام أحمد بن تيمية لابن عبد الهادى وهى فى مجلد ضخم .

المشركون ، فنفى أن يكون لغيره مِلكٌ أو قِسطٌ منه ، أو يكون عوناً لله ولم يَبقَ إلا الشفاعة فبيَّنَ أنها لا تنفع إلا لمن أَذِنَ له الربّ كما قال ﴿ولا يَشفعون إلا لِمَنِ ارتضى﴾ فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون

= الأعلى إلى ما دونه فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة بإذنه فهو الذي يأذن للشافع وإن لم يأذن له لم يتقدم بالشفاعة بين يديه ، وكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً وتجريداً للتوحيد وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها . والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخوله تحت الواقع وتضمنه له ويظنه في قوم قد خلوا ولم يعقبوا وارثا ، وهذا الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم وشر منهم وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية ، لأنه إذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمه ، وقع فيه وأقره ودعا اليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية فتنقض بذلك عرى الإسلام ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا ، والبدعة سنة والسنة بدعة ، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد ، ويبدع بتجريد متابعة الرسول ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً ، فالله المستعان انتهى ملخصاً وقال أيضاً : ومن أنواع الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم ، وهذا أصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلا عن من استغاث به وسأله أن يشفع له ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سببا لإذنه وإنما السبب كمال التوحيد فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها وهذه حالة كل مشرك فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله إلى التنقص بالأموات وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأولياءه الموحدين بذمهم وعيبهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا وأنهم =

هى منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن ، وأخبر النبى ﷺ أنه « يأتى فيسجدُ لربه ويحمده — لا يبدأ بالشفاعة أو لا — ثم يقال له : ارفع

= أمروهم به وأنهم يوالونهم عليه وهؤلاء هم أعداء الرسل فى كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم وما نجا من شَرَك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله وعادى المشركين فى الله وتقرب بمقتهم إلى الله واتخذ الله وحده وليه وإلاهه ومعبوده فجرد حبه لله وخوفه لله ورجاءه لله وذله لله وتوكله على الله واستعانته بالله والتجاءه إلى الله واستغاثته بالله وقصده لله متبعاً لأمره متطلبا لمرضاته إذا سأل سأل الله وإذا استعان استعان بالله وإذا عمل عمل لله فهو لله وبالله ومع الله . انتهى كلامه رحمه الله

وقال شيخ الإسلام وهذا الموضع افترق الناس فيه ثلاث فرق : طرفان ووسط ، فالمشركون ومن وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب كالنصارى ومبتدعة هذه الأمة أثبتوا الشفاعة التى نفاها القرآن ، والخوارج والمعتزلة أنكروا شفاعة نبينا ﷺ فى أهل الكبائر من أمته بل أنكر طائفة من أهل البدع انتفاع الإنسان بشفاعة غيره ودعائه ، كما أنكروا انتفاعه بصدقة غيره وصيامه فأنكروا الشفاعة بقوله تعالى ﴿ من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾ وبقوله ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ وأما سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة فأثبتوا ما جاءت به السنة عن نبى الله ﷺ من شفاعته لأهل الكبائر من أمته وغير ذلك من أنواع شفاعاته وشفاعة غيره من النبيين والملائكة ، وقالوا إنه لا يخلد فى النار من أهل التوحيد أحد وأقروا بما جاءت به السنة من انتفاع الإنسان بدعاء غيره وشفاعته والصدقة عنه والصوم عنه فى أصح قولى العلماء كما ثبتت به السنة الصحيحة وما كان فى معنى الصوم . وأما من علق قلبه بأحد المخلوقين يرجوه ويخافه فهذا من أبعد الناس عن الشفاعة ، فشفاعة المخلوق عند المخلوق تكون بإعانة الشافع للمشفوع له بغير إذن المشفوع عنده ، بل يشفع إما لحاجة المشفوع عنده وإما لخوفه منه . فيحتاج أن يقبل شفاعته والله غنى عن العالمين كلهم فما من شفيع إلا من بعد إذنه فله ﷺ شفاعات يختص بها لا يشركه فيها أحد ، وشفاعات يشركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين لكن ماله فيها أفضل =

رأسَك ، وقل يُسْمَعْ ، وسَلْ تُعطَ ، واشفَع تُشَفَّع » . وقال له أبو هريرة[١] : مَن أسعد الناسِ بشفاعتك ؟ قال : « مَنْ قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » فتلكَ الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله[٢] ، ولا تكون لمن أشركَ بالله ، وحقيقتُه أن اللهَ سبحانه هو الذى يتفضّل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذِنَ له أن يَشفع ليُكرِمَه ويَنال المقامَ المحمود . فالشفاعةُ التى نفاها القرآنُ[٣] ما كان فيها شرك ،

= مما لغيره فإنه ﷺ أفضل الخلق وأكرمهم على ربه عز وجل وله من الفضائل التى ميزه بها على سائر النبيين ما يضيق هذا الموضع عن بسطه ومن ذلك المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والآخرون انتهى

(١) قوله (وقال أبو هريرة رضى الله عنه : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال « من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه ») وهذا الحديث رواه البخارى والنسائى عن أبى هريرة ، ورواه الإمام أحمد وصححه ابن حبان . وفيه « وشفاعتى لمن قال لا إله إلا الله مخلصا يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه » وشاهده ما رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وإنى أختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا »

(٢) قوله (قال شيخ الإسلام : فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله . وحقيقته : أن الله سبحانه هو الذى يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمة وينال المقام المحمود)

(٣) قوله (فالشفاعة التى نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه فى مواضع وقد بين النبى ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص) انتهى كلامه رحمه الله . وقال أيضا والإخلاص محبة الله وإرادة وجهه . وفيه : معرفة صفة الشفاعة المنفية ، والشفاعة المثبتة ، وذكر الشفاعة =

ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه فى مواضع ، وقد بيّن النبى ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص . انتهى كلامه .

١٨ – باب

قولِ الله تعالى ﴿ إنَّكَ لَا تَهْدِى من أَحْبَبْتَ ﴾ الآية(١)

= الكبرى وهى المقام المحمود ، وصفة ما يفعله ﷺ وأنه لا يبدأ بالشفاعة أولا بل يسجد ، فإذا أذن له شفع ، ومن أسعد الناس بها ، وأنها لا تكون لمن أشرك بالله ، وبيان حقيقتها قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (باب قول الله تعالى إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) أراد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الترجمة الرد على عباد القبور الذين يعتقدون فى الأنبياء والأولياء أنهم ينفعون ويضرون فيسألونهم مغفرة الذنوب وتفريج الكروب وهداية القلوب ويعتقدون أن لهم التصرف بعد الموت على سبيل الكرامة، فإذا عرف الإنسان معنى هذه الآية المترجم بها ومن نزلت فيه تبين له أن رسول الله ﷺ الذى هو أفضل الخلق عند الله وأعظمهم جاها عنده حرص واجتهد فى هداية عمه أبى طالب فى حال حياته وعند موته فلم يستطع ذلك ولم يقدر عليه ثم استغفر له بعد موته فلم يغفر له بل نهاه الله عن ذلك. قال الزجاج: أجمع المسلمون على أن هذه الآية نزلت فى أبى طالب وذلك أن أباطالب قال عند موته : يامعشر بنى عبد مناف أطيعوا محمداً وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال عليه السلام « ياعم تأمرهم بالنصح لا نفسهم وتدعها لنفسك؟ » قال : فما تريد يابن أخى؟ قال : « أريد منك كلمة واحدة ، فإنك فى آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله تعالى » قال : يابن أخى قد علمت أنك صادق ولكنى أكره أن يقال جزع عند الموت ولولا أن يكون عليك وعلى بنى أبيك غضاضة ومسبة بعدى لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصحك، ولكنى سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف انتهى

فى الصحيح [١] عن ابن المسيَّب عن أبيه [٢] قال : لما حَضَرت أبا طالب الوفاةُ جاءه رسولُ الله ﷺ ، وعنده عبدُ الله بن أبى أُميّة وأبو جهل فقال له «ياعمّ [٣] ، قل لا إله إلّا الله [٤] ، كلمةً أحاجُّ لك بها عندَ الله [٥] »

---

(١) قوله (فى الصحيح) أى الصحيحين (عن ابن المسيب) وهو سعيد بن المسيب المخزومى القرشى أحد العلماء الأثبات والفقهاء الكبار الحفاظ العباد ، اتفقوا على أن مراسيله أصح المراسيل . قال ابن المدينى : لا أعلم فى التابعين أوسع علما منه ، مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين

(٢) قوله (عن أبيه) ، وأبوه المسيب صحابى ، وكذا جده حزن صحابى ، استشهد باليمامة . (قال لما حضرت أبا طالب الوفاة) أى ظهرت عليه علامات الموت (جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبى أمية وأبو جهل) يحتمل أن يكون المسيب حضر هذه القصة فان المذكورين من بنى مخزوم وهو أيضا مخزومى وكانوا يومئذ كفاراً فمات أبو جهل على الكفر وأسلم الآخران . وفى هذا جواز عيادة المشرك إذا رجى إسلامه ، وجواز حمل العلم إذا كان فيه مصلحة راجحة على عدمه

(٣) قوله (فقال النبى ﷺ : « ياعم ») منادى مضاف يجوز فيه إثبات الياء وحذفها . قاله فى الشرح

(٤) قوله (« قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله ») أى قل هذه الكلمة لأنه يعرف معناها وما دلت عليه من البراءة من كل معبود سوى الله ، فلو قالها فى تلك الحال لنفعته لأنه لا يقولها إلا عن اعتقاد لمعناها وما دلت عليه وفيه معرفة تفسير قوله « قل لا إله إلا الله » بخلاف ما عليه من يدعى العلم وأن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبى ﷺ إذا قال للرجل : قل لا إله إلا الله فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام قاله المصنف رحمه الله

وقوله (كلمة) بالنصب على أنه بدل من لا إله إلا الله ويجوز رفعها على احتمال لمبتدأ قاله القرطبى

(٥) قوله (أحاج لك بها عند الله) هو بتشديد الجيم من المحاجة جواب =

فقالا له[١] : أترغبُ عن ملّةِ عبد المطّلب ؟ فأعاد عليه النبيُّ ﷺ ، فأعادا ، فكان آخر ما قال هو على ملّة عبد المطّلب وأبىٰ أن يقول لا إله إلا الله . فقال النبيُّ ﷺ « لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك[٢] » فأنزل الله عز وجل ﴿ ما كانَ للنبيِّ والّذِين آمنوا أن يَسْتَغفروا[٣]

═ الأمر أى أشهد لك بها عند الله . وفيه دليل على أن الأعمال بالخواتيم فلو قالها نفعته وإن لم يعمل شيئا غير ذلك

(١) قوله (فقالا له) أى أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية (أترغب عن ملة عبد المطلب) ذكراه الحجة الملعونة التى يتعلق بها المشركون الاولون والآخرون وهى تقليد الآباء والكبراء ، وأخرجا الكلام مخوج الاستفهام مبالغة فى الإنكار لعظمة هذه الحجة عندهم ، ولذا اكتفيابها فى المجادلة مع مبالغته ﷺ وتكراره فلأجل وضوحها عندهم اقتصرا عليها ، قاله المصنف رحمه الله وملة عبد المطلب هى عبادة الأوثان والشرك بالله فى إلاهيته (فأعاد عليه النبى ﷺ فأعادا فكان آخر ما قال) الأحسن فيه الرفع على أنه اسم « كان » وجملة « هو » وما بعدها الخبر (هو على ملة عبد المطلب) وقد رواه الإمام أحمد بلفظ : أنا على ملة عبد المطلب فغيره الراوى استقباحاً للفظ المذكور لانه لو حكاه بلفظه لاوهم عود الضمير إلى المتكلم وهو من التصرفات الحسنة ، قاله الحافظ ابن حجر

قوله : وأبى أن يقول لا إله إلا الله ، قال الحافظ ابن حجر هذا تأكيد من الراوى فى نفى وقوع ذلك من أبى طالب . وفيه الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه مضرة أصحاب السوء على الإنسان ومضرة تعظيم الأسلاف ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٢) قوله (فقال النبى ﷺ « لأستغفرن لك مالم أنه عنك ») وفى رواية مسلم « أما والله لأستغفرن لك » . قال النووى : وفيه جواز الحلف من غير استحلاف ، والحلف هنا لتأكيد العزم على الاستغفار

(٣) قوله (فأنزل الله ﴿ ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ الآية .) أى ما ينبغى لهم ذلك وهو خبر بمعنى النهى . والظاهر أن هذه الآية ═

للمشركين ﴾ وأنزل فى أبى طالب ﴿ إنكَ لا تَهدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ، ولـكنَّ الله يَهْدِى مَنْ يَشاء ﴾ (١)

= نزلت فى أبى طالب ، فإن الإتيان بالفاء المفيدة للترتيب فى قوله فأنزل الله بعد قوله « لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » يفيد ذلك . وقد ذكر العلماء لنزول هذه الآية أسبابا أخر فلا منافاة لأن أسباب النزول قد تعدد ، وقد روى الطبرانى عن عمرو بن دينار قال : قال رسولا الله ﷺ « استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك فلا أزال أستغفر لأبى طالب حتى نهانى عنه ربى » ، فقال أصحابه نستغفر لآبائنا كما استغفر نبينا لعمه فنزلت ﴿ ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ﴾ . قال الحافظ ابن حجر : ويظهر أن الآية المتعلقة بالاستغفار نزلت بعد أبى طالب بمدة وهى عامة فى حقه وحق غيره ، يوضح ذلك ما يأتى فى التفسير ، فأنزل الله بعد ذلك ﴿ ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ الآية . ونزل فى أبى طالب ﴿ إنك لاتهدى من أحببت ﴾ كله ظاهر فى أنه مات على غير الإسلام . ويضعف ما ذكره السهيلى أنه رأى فى بعض كتب المسعودى أنه أسلم لأن مثل ذلك لايعارض ما فى الصحيحين ، انتهى وفيه تحريم الاستغفار للمشركين وموالاتهم ومحبتهم ، لأنه إذا حرم الاستغفار لهم فموالاتهم ومحبتهم أولى ، قاله الحافظ ابن حجر

(١) قوله (وأنزل الله فى أبى طالب : إنك لا تهدى من أحببت ولـكن الله يهدى من يشاء) قال ابن كثير ، يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ : إنك يا محمد لا تهدى من أحببت ، أى ليس ذلك اليك إنما عليك البلاغ والله يهدى من يشاء ، والمنفى هنا هداية التوفيق والقبول فإن أمر ذلك إلى الله وحده وهو القادر عليه فنفى عنه هذه الهداية وأثبت له هداية الدعوة والبيان فى قوله : ﴿ وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ﴾ . وفيه جده ﷺ ومبالغته فى إسلام عمه وكونه استغفر له فلم يغفر له بل نهى عن ذلك ، قاله المصنف رحمه الله . وكانت وفاة أبى طالب بمكة قبل الهجرة بقليل ، قال ابن فارس : مات أبو طالب ولرسول الله ﷺ تسع =

= وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوما ، وتوفيت خديجة رضى الله عنها بعد موت أبى طالب بثمانية أيام ، ومن حكمة الرب تبارك وتعالى فى عدم هداية أبى طالب إلى الإسلام ليبين لعباده أن ذلك اليه وهو القادر عليه دون ماسواه فلو كان عند النبي ﷺ الذى هو أفضل خلقه وأكرمهم عليه من هداية القلوب وتفريج الكروب ومغفرة الذنوب والنجاة من العذاب ونحو ذلك شئ لكان أحق الناس بذلك وأولاهم به عمه الذى كان يحوطه ويحميه ويؤويه ، وناله بسببه من الأذى ما ناله ، وحصر فى الشعب سنوات وقاطعته قريش من أجله وكان ينشد الأشعار فى الذب عنه ومدحه والثناء عليه وعلى دينه الذى يدعو إليه ، ومن ذلك قوله فى قصيدته اللامية المشهورة :

ولما رأيت القوم لا ودّ فيهمـــوا   وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى   وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة   وابيض عضب من تراث المقاول
وأحضرت عند البيت رهطى وإخوتى   وأمسكت من أثوابه بالوصائل
قياما معا مستقبلين رتاجـــه   لدى حيث يقضى حلفه كل نافل
كذبتم وبيت الله نترك مكة   ونظعن إلا أمركم فى بلابل
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا   ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمــــه حتى نصرع حوله   ونذهل عن أبنائنا والحلائل

إلى أن قال :

لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمد   وإخوته دأب المحب المواصل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للأرامل
فلا زال فى الدنيا جمالا لأهلهـــا   وزيناً لمن والاه رب المشاكل
فمن مثله فى الناس أى مؤمل   إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش   يوالى إلاها ليس عنه بغافل
فوالله لولا أن أجىء بسبة   تجر على أشياخنا فى المحافل
لكنا اتبعناه على أى حالة   من الدهر جدا غير قول التهازل
فأصبح فينا أحمد فى أرومة   تقصر عنه سورة المتطاول =

١٩ — باب

ما جاء أنَّ سببَ كُفر بنى آدمَ وتركهم دينهم هو الغُلُوُّ فى الصالحين (١)

وقولِ الله عز وجل ﴿ يا أهلَ الكتابِ لا تَغلوا فى دِينِكم (٢) ﴾

= حديث بنفسى دونه وحميته ودافعت عنه بالذرى والكلاكل
فأيده رب العباد بنصره وأظهر دينا حقه غير باطل

وفى قصته وفاة أبى طالب المروية فى الصحيحين وحرص النبى ﷺ على إسلامه فلم يسلم بل مات على ملة عبد المطلب التى هى عبادة الأوثان والشرك بالله ونزل فى حقه ﴿ إنك لا تهدى من أحببت ﴾ واستغفار النبى ﷺ له فلم يغفر له بل نهى عن ذلك وأنزل الله فى النهى عنه قوله تعالى ﴿ ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ الرد على الرافضة الذين يزعمون إسلام أبى طالب وعلى الشيخ أحمد زينى دحلان الذى ألف لهم كتابا فى إسلامه سماه أسنى المطالب فى إسلام أبى طالب ، مع ماورد فى قصة وفاته وما نزل فى ذلك من الآيات وما تظاهرت به الأحاديث من أن له نعلان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل ، نسأل الله السلامة والعافية بمنه وكرمه ونعوذ به من زيغ القلوب ورين الذنوب وعمى البصائر

(١) قوله (باب ما جاء أن سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم هو الغلو فى الصالحين) . أراد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الترجمة أن يبين أن الغلو فى الصالحين يكون سببا للخروج من الدين . فإن الشيطان يخرج الغلو فيهم فى قالب محبتهم وأنه من الدين الذى يقربهم إلى الله تعالى ، ويثابون عليه وهو يجر إلى أعظم الذنوب وهو الشرك بالله وعبادة من غلو فيه

(٢) قوله (وقول الله تعالى : يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم) أهل الكتاب هم اليهود والنصارى والغلو هو الإفراط فى التعظيم بالقول والفعل والاعتقاد ، أى لا تجاوزوا الأمر المشروع فى الدين ولا ترفعوا المخلوق عن =

فى الصحيح[١] عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله تعالى ﴿ وقالوا لا تَذَرُنَّ آلهتَكم ولا تَذَرُنَّ وَدًّا ولا سُواعاً ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْرًا ﴾ قال : هذه أسماء رجالٍ صالحينَ من قوم نُوح ، فلما

= منزلته التى أنزله الله وهى العبودية إلى المنزله التى لا تنبغى إلا لله . والخطاب ، وإن كان لأهل الكتاب فإنه عام يتناول جميع الأمة تحذيراً لهم أن يفعلوا كفعل اليهود والنصارى ، وبسبب الغلو وقع الشرك فى العبادة فى هذه الأمة . قال شيخ الإسلام رحمه الله : ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى وغلا فى الدين بإفراط فيه أو تفريط فقد شابههم ، قال : وعلى رضى الله عنه حرق الغالية من الرافضة ، فأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندة فقذفهم فيها وقال :

لما رأيت الأمر أمراً منكرا أججت نارى ودعوت قنبرا

يعنى مولى ليساعده على قذفهم فى النار

واتفق الصحابة على قتلهم لكن ابن عباس مذهبه أن يقتلوا بالسيف من غير تحريق وهو قول أكثر العلماء . قال ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ثم ظهر الشرك بسبب تعظيم قبور صالحيهم

(١) قوله (وفى الصحيح) - أى صحيح البخارى - عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله تعالى ﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾ قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم عبدت) هذا الأثر اختصره المصنف والذى فى البخارى عن ابن عباس صارت الأوثان التى فى قوم نوح فى العرب بعد . أما ودّ فكانت لكلب بدومة الجندل ، وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبنى غطيف بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذى الكلاع أسماء رجال صالحين فى قوم نوح ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا =

هلكوا أوحى الشيطانُ إلى قومهم أنِ انْصِبوا إلى مجالسهم التى كانوا يَجلِسون فيها أنصاباً وسمُّوها بأسمائهم ، ففعلوا ، ولم تُعْبَد . حتى إذا هَلَكَ أُولئك ونُسِىَ العلمُ ، عُبِدَتْ

= ذكرناهم فصوروهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم وكانوا يتبركون بدعائهم ، وكلما مات منهم أحد مثلوا صورته وتمسحوا بها ، فعبدوهم بتدريج الشيطان لهم ثم صارت سنة فى العرب فى الجاهلية . قال القرطبى : وإنما صور أوائلهم الصور ليستأنسوا بهم ويتذكروا أفعالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم ، ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم فوسوس لهم الشيطان أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها انتهى . وروى الفاكهى عن ابن الكلبى قال : كان لعمرو بن ربيعة رئى من الجن فأتاه فقال : أجب أبا ثمامة ودخل بلا ملامة ثم أت سيف جده تجد بها أصناماً معدة ثم أوردها تهامة ، ولا تهب ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب . قال فأتى عمرو ساحل جدة فوجد بها وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً وهى الأصنام التى عبدت على عهد نوح وإدريس ، ثم إن الطوفان طرحها هناك فسفى عليها الرمل فاستثارها عمرو وخرج بها إلى تهامة وحضر الموسم ودعى إلى عبادتها فأجيب . وعمرو بن ربيعة هو عمرو بن لحى وكانت العرب قبله على دين إبراهيم عليه السلام حتى نشأ فيهم عمرو فأحدث الشرك . روى ابن جرير عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لأكثم بن الجون « يا أكثم رأيت عمرو ابن لحى بن قمئة بن خندق يجر قصبه فى النار فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ولا به منك » فقال أكثم : أتخشى أن يضرنى شبهه يارسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ « إنك مؤمن وهو كافر ، إنه أول من غير دين إبراهيم ، وبحر البحيرة وسيب السائبة وحمى الحامى » إسناده حسن . والأنصاب : المراد بها الأصنام المصورة على صورهم المنصوبة فى مجالسهم .

وقوله (حتى إذا هلك أولئك) أى الذين نصبوها ليكون أشوق لهم إلى العبادة وليتذكروا برؤيتها أفعالهم .

قوله (ونسى العلم) أى المعرفة بحالها وما قصده من صورها وغلب الجهال =

وقال ابن القيم : قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوَّرُوا تماثيلَهم ، ثم طال عليهمُ الأمَدُ فعبَدوهم(١)

=الذين لا يميزون بين التوحيد والشرك ، وذهب العلماء الذين يعرفون ذلك عبدت وقالوا ما عظم أولونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله فعبدوهم ، فهذا هو السبب فى عبادة هؤلاء الصالحين وهو رجاء شفاعتهم عند الله

(١) قوله (وقال ابن القيم) هو العلامة المحقق محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعى الدمشقى المعروف بابن قيم الجوزية ، قال السخاوى العلامة الحجة المتقدم فى سعة العلم ومعرفة الخلاف وقوة الجنان المجمع عليه بين الموافق والمخالف صاحب التصانيف السائرة والمحاسن الجمة : مات سنة إحدى وخمسين وسبعمائة . (قال غير واحد من السلف لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم) فتبين أن مبدأ الشرك بالصالحين هو الغلو فيهم وهو أول شرك حدث فى الأرض . قال شيخ الإسلام : الغلو فى الأمة وقع فى طائفتين : طائفة من ضلال الشيعة الذين يعتقدون فى الأنبياء والأئمة من أهل البيت الألوهية وطائفة من جهال المتصوفة يعتقدون نحو ذلك فى الأنبياء والصالحين . وقال العلامة ابن القيم رحمه الله : فالغلو فى الصالحين هو الذى أوحاه الشيطان إلى عباد القبور فى هذه الأزمان فإنه ألقى إليهم أن البناء على القبور والعكوف عندها من محبة الصالحين وتعظيمهم وأن الدعاء عندها أرجى فى الإجابة من الدعاء فى المسجد الحرام والمساجد فاعتادوها لذلك . (فإذا تقرر) ذلك عندهم نقلهم إلى الدعاء به والإقسام على الله به وهذا أعظم من الذى قبله ، فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه . فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته واتخاذه عيداً ومنسكا ، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى أن من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل الرتب العالية وحطهم عن منزلتهم وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر ، وغضب المشركون واشمأزت قلوبهم كما قال تعالى ﴿ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﴾ وسرى ذلك نفوس كثير من الجهال والطغام وكثير=

=ممن ينتسب إلى العلم والدين حتى عادوا أهل التوحيد ورموهم بالعظائم ونفروا الناس عنهم ووالوا أهل الشرك وعظموهم وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله ، ويأبى الله ذلك وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون . فكل ما عبد من دون الله من قبر أو مشهد أو صنم أو طاغوت . فالأصل فى عبادته هو الغلو كما لا يخفى على من له بصيرة فى الدين (فانظر) إلى ما يفعل فى مصر عند أحمد البدوى وهو لا يعرف له أصل ولا فضل ولا علم ولا عبادة ومع هذا صار أعظم آلهتهم مع أنه لا يعرف إلا أنه دخل المسجد يوم الجمعة فبال فيه ثم خرج ولم يصل . ذكره السخاوى عن أبى حيان فزين لهم الشيطان عبادته فاعتقدوا أنه يتصرف فى الكون ويطفئ الحريق وينجى الغريق وصرفوا له أنواع العبادة من الدعاء والذبح والنذور واعتقدوا أنه يعلم الغيب وأنه يسمع من دعاه من الديار البعيدة ويستجيب له . وكذلك أهل الشام قد فتنوا بابن عربى إمام أهل الوحدة الذين هم أكفر من اليهود والنصارى وجعلوا على قبره قبة وصاروا يطوفون به ويذبحون له النذور ويدعونه . وقد ألف السخاوى كتابا فى ترجمته سماه القول المنبى عن ترجمة ابن عربى ذكر فيه أشياء من أقواله الشنيعة ، وما قاله أهل العلم فيه وفتاواهم بكفره ، وفيه يقول محمد بن إسماعيل الأمير الصنعانى :

وأكفر أهل الأرض من قال إنه ... إله فإن الله جل عن الند
مسماه كل الكائنات جميعها ... من الكلب والخنزير والقرد والفهد
وإن عذاب النار عذب لأهلها ... سواء عذاب النار أو جنة الخلد
وعباد عجل للسامرى على هدى ... ولائمهم فى اللوم ليس على رشد
وتنشدنا عنه نصوص فصوصه ... تنادى خذوا فى النظم مكنون ما عندى
وكنت امرأ من جند إبليس فارتمى ... بى الدهر حتى صار إبليس من جندى
فلو مات قبلى كنت أدركت بعده ... دقائق كفر ليس يدركها بعدى

وكذا أهل العراق ومن حولهم كأهل عمان يعتقدون فى عبد القادر الجيلانى كاعتقاد أهل مصر فى البدوى . وجرى فى نجد والحجاز واليمن وحضرموت وغيرها من عبادة الجن والطواغيت والأشجار والقبور ما عمت به البلوى =

= ولكن الله أزال ذلك من نجد بسبب الدعوة المباركة التي قام بها الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ورضى عنه وعن أئمة الهدى من آل سعود الذين أيدوه ونصروه . وبعد دخول الحكومة السعودية الحجاز زال كثير من الأوثان والطواغيت التي كانت تعبد من دون الله . فقد كان لقبر خديجة رضى الله عنها سدنة ، وفى الليلة الحادية عشرة من كل شهر يذهب الناس إليها ينادونها ياصاحبة الليلة يابنت خويلد علماثهم وعامتهم ، فلله الحمد والمنة على زوال ذلك ، ونسأله أن ينصر دينه ويعلى كلمته ويزيل الشرك وآثاره من سائر البلاد إنه على كل شىء قدير وبالإجابة جدير ، ومن فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب ، وفيه معرفة أول شرك حدث فى الأرض أنه بشبهة الصالحين ، وأول شىء غير به دين الأنبياء وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم ، وقبول النفوس للبدع مع كون الشرائع والفطر تردها ، وأن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل ، فالأول محبة الصالحين والثانى فعل أناس من أهل العلم والدين شيئاً أرادوا به خيراً فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره وفيه معرفة تفسير الآية التي فى سورة نوح ومعرفة جبلة الإنسان فى كون الحق ينقص فى قلبه والباطل يزيد ، وفيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر ومعرفة الشيطان بما تؤول اليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل وأنها أحب إلى الشيطان من المعصية لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها ، ومضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح ومعرفة النهى عن التماثيل والحكمة فى إزالتها ومعرفة عظم شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها ، ومنها - وهى أعجب - قراءتهم إياها فى كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات ، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه هو الكفر المبيح للدم والمال ، والتصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة ، وظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك والتصريح بأنها لم تعبد حتى نسى العلم ، ففيها بيان معرفة قدر وجود العلم ومضرة فقده ، وأن سبب فقد العلم موت العلماء . قاله المصنف رحمه الله تعالى

وعن عمر (١) أن رسول الله ﷺ قال: « لا تُطْرُونى كما أطرَتِ النصارى ابنَ مريم (٢)، إنما أنا عبد، فقولوا عبدُ الله ورسوله (٣) » أخرجاه

---

(١) قوله (وعن عمر رضى الله عنه) وهو الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ابن نفيل العدوى أمير المؤمنين وأفضل الصحابة بعد أبي بكر الصديق رضى الله عنه. ولى الخلافة عشر سنين ونصفا فامتلأت الدنيا عدلا وفتحت فى أيامه ممالك كسرى وقيصر وأنفقت كنوزهما فى سبيل الله، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى. واستشهد فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة

(٢) قوله (أن رسول الله ﷺ قال: « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم »)، الإطراء هو مجاوزة الحد فى المدح والكذب فيه، قاله أبو السعادات

(٣) وقوله (إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) أخرجاه. أمرهم ﷺ أن لا يتجاوزوا هذا القول، أى صفونى بما وصفنى به ربى فى قوله ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ﴾ وقوله ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ﴾ وقوله ﴿ وإن كنتم فى شك مما نزلنا على عبدنا ﴾ فمنزلة العبودية أخص أوصافه ﷺ. وفيه البيان العظيم فى قوله « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم »، فصلوات الله وسلامه عليه فقد بلغ البلاغ المبين، قاله المصنف رحمه الله تعالى. فأبى المشركون إلا مخالفة أمره وارتكاب نهيه وعظموه بما نهاهم عنه وحذرهم منه وناقضوه أعظم مناقضة وضاهوا النصارى فى غلوهم وشركهم ووقعوا فى المحذور وجرى منهم من الغلو والشرك شعراً ونثراً ما يطول عده. قاله فى فتح المجيد، قلت ومن الإطراء قول الأبوصيرى:

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم ... واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

لو ناسبت قدره آياته عظماً ... أحيي اسمه حين يدعى دارس الرمم

يقول: دع ما ادعته النصارى فى نبيهم فلا تقل محمد هو الله ولا ابن الله ولا ثالث ثلاثة واحكم بما شئت. قل: محمد يخلق ويرزق ويحيي ويميت، وقوله لو =

وقال : قال رسول الله ﷺ « إيَّاكُمْ والغُلُوَّ (١) فإنّما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ ولمسلم عن ابن مسعود (٢) أن رسول الله ﷺ قال « هَلَكَ المتنطعون » قالها ثلاثاً

٢٠ – باب

ما جاء من التغليظ فيمن عَبَدَ اللهَ عند قبرِ رجل صالح فكيف إذا عَبَده (٣)

= ناسبت قدره آياته عظماً ، فيه نسبة الظلم إلى الله ، وأنه لم يعط محمداً آيات تناسب قدره ولو أعطاه آيات تناسب قدره لأحي الأموات إذا دعوته باسمه

(١) قوله (وعن ابن عباس) رضى الله عنهما (قال قال رسول الله ﷺ : « إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو ») هذا الحديث رواه الإمام أحمد والترمذى وابن ماجه عن ابن عباس قال : قال لى رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته « ألقط لى حصى » فلقطت له سبع حصيات هن حصى الخذف فجعل ينفضهن فى كفه ويقول « أمثال هؤلاء فارموا وإياكم والغلو » الحديث قال شيخ الإسلام : هذا عام فى جميع أنواع الغلو فى الاعتقادات والأقوال والأعمال وفيه القاعدة الكلية وهى النهى عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٢) قوله (ولمسلم عن ابن مسعود) رضى الله عنه (أن رسول الله ﷺ قال « هلك المتنطعون » قالها ثلاثاً) قال : فى النهاية المتنطعون المتعمقون الغالون فى الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم . مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى من الفم ثم استعمل فى كل تعمق قولا وفعلا . قال النووى : فيه كراهة التقعر فى الكلام بالتشدق وتكلف الفصاحة واستعمال وحشى اللغة ودقائق الإعراب فى مخاطبة العوام ونحوهم

قوله : قالها ثلاثاً مبالغة فى التعليم والتحذير قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٣) قوله (باب ما جاء من التغليظ فيمن عبدَ الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده) أراد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الترجمة أن يبين أنه إذا =

فى الصحيح عن [١] عائشة رضى الله عنها أنَّ أمَّ سَلَمَةَ ذكرتْ لرسول الله ﷺ [٢] كنيسةً رأتْها بأرض الحَبَشَة وما فيها من الصُّوَر فقال «أُولئكِ [٣] إذا ماتَ فيهمُ الرجلُ الصالحُ ـ أو العبدُ الصالحُ ـ [٤] بَنَوْا على قبره مسجداً [٥] وصوَّرُوا فيه تلك الصُّوَر، أُولئكَ شرارُ الخَلْقِ عندَ الله» [٦] فهؤلاء جَمَعُوا بين الفِتْنتين: فِتنةِ القبور،

= كانت عبادة الله عند القبور منهياً عنها ومحرمة فكيف إذا عبد أصحاب القبور فإن عبادتها هى الشرك الأكبر، وعبادة الله عندها وسيلة إلى عبادتها ووسائل الشرك محرمة لأنها تؤدى إلى الشرك.

(١) قوله (فى الصحيح) أى الصحيحين (عن عائشة رضى الله عنها أن أم سلمة) وهى هند بنت أبى أمية بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية تزوجها رسول الله ﷺ بعد أبى سلمة سنة أربع وقيل ثلاث وكانت قد هاجرت مع أبى سلمة إلى أرض الحبشة، وفى الصحيحين أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا ذلك لرسول الله ﷺ، توفيت سنة اثنتين وستين.

(٢) قوله (ذكرت لرسول الله ﷺ) والكنيسة بفتح الكاف وكسر النون معبد النصارى وما فيها من الصور

(٣) قوله (فقال: أولئك) بكسر الكاف خطاب للمرأة

(٤) قوله (إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح) هذا والله أعلم بشك من أحد رواة الحديث هل قال النبى ﷺ هذا أو هذا. وفيه التحرى فى الرواية والرواية بالمعنى قاله فى الشرح

(٥) قوله (بنوا على قبره مسجداً) أى موضعاً للصلاة (وصوروا فيه تلك الصور) والإشارة إلى ما ذكرت أم سلمة وأم حبيبة من التصاوير التى فى الكنيسة.

(٦) قوله (أولئك شرار الخلق عند الله) وفيه ما ذكر الرسول ﷺ فيمن =

وفتنة التمـــاثيل (١)

ولهما عنها (٢) قالت : لما نزِلَ برسول الله ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خميصة

= بنى مسجداً يعبدالله فيه عند قبر رجل صالح ، ولو صحت نية الفاعل والنهى عن التماثيل وغلظ الأمر فى ذلك ، قاله المصنف رحمه الله ، وهذا يقتضى تحريم بناء المساجد على القبور وتصوير الصور لا سيما وقد ثبت اللعن عليه . قال البيضاوى ولما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيما لهم ويجعلونها قبلة يتوجهون فى الصلاة نحوها واتخذوها أوثاناً ، لعنهم النبى ﷺ ومنع المسلمين عن مثل ذلك وإنمـــا كانوا شرار الخلق عند الله لبناء المساجد على القبور ، والتصوير لكونه ذريعة إلى عبادة من بنوا عليه المسجد وصوروا صورته

(١) قوله (فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين : فتنة القبور ، وفتنة التماثيل) هذا من كلام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله ذكره المصنف تنبيها على ما وقع من شدة الفتنة بالقبور والتماثيل ، فإن الفتنة بالقبور كالفتنة بالأصنام أو أشد ، قاله فى فتح المجيد . قال شيخ الإسلام : وهذه العلة التى لأجلها نهى الشارع ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور هى التى أوقعت كثيراً من الامم إما فى الشرك الأكبر أو فيما دونه من الشرك ، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل الصالحين وتماثيل يزعمون أنها طلاسم الكواكب ونحو ذلك ، فإن الشرك بقبر الرجل الذى يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر ، ولهذا تجد أهل الشرك يتضرعون عندها ويخشعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها فى بيوت الله ولا وقت السحر ، ومنهم من يسجد لها وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه فى المساجد ، فلأجل هذه المفسدة حسم النبى ﷺ مادتها حتى نهى عن الصلاة فى المقبرة مطلقا وإن لم يقصد المصلى بركة البقعة بصلاته . وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركا بالصلاة فى تلك البقعة ، فهذا عين المحادة لله ولرسوله ، والمخالفة لدينه ، وابتداع دين لم يأذن به الله . انتهى ملخصا

(٢) قوله (ولهما) أى البخارى ومسلم (عنها) أى عن عائشة رضى الله عنها قالت لما نزل برسول الله ﷺ بضم النون وكسر الزاى أى نزل به ملك الموت =

له على وجهه فإذا اغتَمَّ بها كَشَفَها ، فقال وهو كذلك « لعنةُ اللهِ على اليهود والنصارى اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مَساجدَ(١) » يُحَذِّرُ ما صنعوا(٢) ، ولولا ذلك أُبْرِزَ قبرُه(٣) ، غير أنه خُشِىَ أن يُتَّخَذ مسجداً(٤) أخرجاه .

= والملائكة الكرام لقبض روحه الشريفة (طفق) بكسر الفاء أى جعل (يطرح خميصة له على وجهه) والخميصة كساء له أعلام فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه) . وفيه ما بلى به ﷺ من شدة النزع . قاله المصنف .

(١) قوله (فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة وهذا يبين أن من فعل مثل ذلك حل عليه من اللعنة ما حل على اليهود والنصارى

(٢) وقوله (يحذر ما صنعوا) والظاهر أن هذا مدرج فى الحديث من كلام عائشة رضى الله عنها لأنها فهمت من قول النبى ﷺ ذلك تحذير أمته عن أن يفعلوا هذا الصنيع الذى كانت تفعله اليهود والنصارى معه ومع الصالحين من أمته . وهذا الذى لعن رسول الله ﷺ فاعله تحذيراً لأمته أن يفعلوه معه ومع الصالحين من أمته قد فعله الخلق الكثير من متأخرى هذه الأمة واعتقدوه قربة من القربات ، وهو من أعظم السيئات والمنكرات وما شعروا أن ذلك محادة لله ورسوله

(٣) قوله (ولولا ذلك) أى ما كان يحذر من اتخاذ قبره مسجداً (لأبرز قبره) وجعل مع قبور أصحابه فى البقيع

(٤) قوله (غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً) بفتح الخاء وضمها فعلى الفتح يكون هو الذى خشى ذلك ﷺ وأمرهم أن يدفنوه فى المكان الذى قبض فيه وعلى رواية الضم يحتمل أن يكون الصحابة هم الذين خافوا أن يقع ذلك من بعض الأمة فلم يبرزوا قبره

ولمسلم عن جُنْدَب[١] بن عبد الله قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ قبلَ أن يموتَ بخمسٍ وهو يقول «إنى أبرأُ إلى الله أنْ يكونَ لى منكم خليلٌ فإنَّ اللهَ قد اتخذَنى خليلًا كما اتخذ إبراهيمَ خليلا، ولو كنتُ متَّخِذًا من أمَّتى خليلا لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلا»[٢]

---

(١) قوله (ولمسلم عن جندب) بن سفيان البجلى وينسب إلى جده صحابى مشهور مات بعد الستين رضى الله عنه (قال سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس) أى خمس ليال (وهو يقول «إنى أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل فإن الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا») ، والخليل هو المحبوب غاية المحبة . قال فى النهاية: الخلة بالضم الصداقة والمحبة التى تخللت القلب فصارت فى خلاله أى فى باطنه . والخليل الصديق فعيل بمعنى مفاعل وقد يكون بمعنى مفعول وإنما قال ذلك لأن خلته كانت مقصورة على حب الله تعالى فليس لغيره فيها متسع . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : الخلة توحيد المحبة ، فالخليل هو الذى توحد حبه لمحبوبه وهى رتبة لا تقبل المشاركة ، ولهذا اختص بها فى العالم الخليلان ابراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما . وأما ما يظنه بعض الغالطين من أن المحبة أكمل من الخلة وأن إبراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله فمن جهله ، فإن المحبة عامة والخلة خاصة وهى نهاية المحبة ، وقد أخبر النبى ﷺ أن الله اتخذه خليلا ونفى أن يكون له خليل غير ربه مع إخباره بحبه لعائشة ولأبيها ولعمر ابن الخطاب رضى الله عنهم ، وأيضاً فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين وخلته خاصة بالخليلين . وفيه ما أكرم به ﷺ من الخلة والتصريح بأنها أعلى من المحبة . قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٢) قوله (ولو كنت متخذاً من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا) ، وهو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب الصديق خليفة رسول الله ﷺ وأفضل أصحابه بإجماع من يعتد بقوله من أهل العلم ، مات سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة رضى الله عنه وأرضاه ، وفيه التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة والإشارة إلى خلافته لأن من كانت محبته لشخص أشد كان أولى به من =

ألا (١) وإنْ مَنْ كانَ قبلَكم (٢) كانوا يتَّخِذونَ قبورَ أنبيائِهِمْ مساجدَ ،

= غيره ، وقد استخلفه فى الصلاة بالناس وغضب لما قيل يصلى بهم عمر فى مرضه الذى توفى فيه ، وفيه الرد على الرافضة الذين يبخسون الصديق حقه ، قاله المصنف رحمه الله تعالى ، وهم أعظم المنتسبين إلى القبلة إشراكا بعبادة علىّ وغيره من البشر قاله شيخ الإسلام ، وقد استنبط الإمام مالك رحمه الله كفر الرافضة من القرآن من قوله تعالى فى سورة الفتح ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾ قال من غاظ أصحاب رسول الله ﷺ فهو كافر ذكره ابن كثير فى تفسيره . قال : وقد وافقه طائفة من العلماء . وفيه ذكره قبل موته بخمس ، الرد على الطائفتين اللتين هما من شرار أهل البدع بل أخرجهما بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة ، وهم الرافضة والجهمية . وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور وهم أول من بنى عليها المساجد ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (ألا) حرف استفتاح

(٢) قوله (وإن من كان قبلكم) يعنى اليهود والنصارى (كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإنى أنهاكم عن ذلك) . قال بعض أهل العلم : وإنكار النبى ﷺ صنيعهم هذا يخرج على وجهين : أحدهما أنهم كانوا يسجدون لقبور الأنبياء تعظيما لهم ، والثانى أنهم يجوزون الصلاة فى مدافن الأنبياء والسجود فى مقابرهم والتوجه إليها حال الصلاة وعبادة الله مبالغة فى تعظيم الأنبياء ، والأول هو الشرك الجلى ، والثانى الخفى . فلذلك استحقوا اللعن . انتهى ، وقال شيخ الإسلام : أما بناء المساجد على القبور فقد صرح عامة الطوائف بالنهى عنه للأحاديث فى ذلك إلى أن قال : وهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين والملوك وغيرهم تتعين إزالتها بهدم أو غيره ، هذا =

ألا فلا تتخِذوا القُبورَ مساجدَ ، فإنى أنهاكُم عن ذلك » فقد نهىٰ عنه فى آخرِ حياته[1] ثمّ إنه لَعن — وهو فى السياق — مَن فعلَه . والصلاةُ عندَها من ذلكَ . وإنْ لم يُبنَ مسجدٌ ، وهو مَعنىٰ قولها « خُشىَ أن يُتَّخَذَ مسجداً » ، فإنَّ الصحابةَ لم يكونوا لِيَبْنُوا حولَ قبرِه مسجداً ، وكل مَوضع قُصِدَتِ الصلاةُ فيـــه فقد اتُّخِذَ

= مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء المعروفين . وقال ابن القيم رحمه الله : يجب هدم هـذه القباب التى بنيت على القبور لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ . وقد أفتى جماعة من الشافعية بهدم ما فى القرافة من الأبنية منهم ابن الجميزى والظهير الترميتى وغيرهما

(١) قوله (فقد نهى عنه فى آخر حياته) كما فى حديث جندب من قوله : « ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإنى أنهاكم عن ذلك » ، (ثم إنه لعن وهو فى السياق من فعله) كما فى حديث عائشة من قوله « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » والصلاة عندها من ذلك أى من اتخاذها مساجد وإن لم يبن مسجد فيكون المصلى عندها داخلا فى اللعنة ، وهو معنى قولها خشى أن يتخذ مسجداً ، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً بل كل موضع يصلى فيـه يسمى مسجداً كما قال ﷺ « جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً » قال البغوى فى شرح السنة أراد أن أهل الكتاب لم تبح لهم الصلاة إلا فى بيعهم وكنائسهم فأباح الله لهـذه الأمة الصلاة حيث كانوا تخفيفا عليهم وتيسيراً ثم خص من جميـع المواضع الحمام والمقبرة والمكان النجس انتهى . وفيه العبرة فى مبالغته ﷺ كيف بين لهم هـذا أولا ثم قبل موته بخمس قال ما قال ، ثم لما كان فى السياق لم يكتف بما تقدم ونهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر ، وأنه من سنن اليهود والنصارى فى قبور أنبيائهم ولعنه إياهم على ذلك وأن مراده تحذيره إيانا عن قبره والعلة فى عدم إبرازه وفى معنى اتخاذه مسجداً وأنه قرن بين من اتخذها مساجد وبين من =

مسجداً . بل كلُّ موضعٍ يُصَلَّىٰ فيـه يُسَمَّى مسجداً ، كما قال ﷺ « جُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسجداً وطَهوراً » .

ولأحمد بسندٍ جيّد[1] عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعاً إنَّ مِن شِرَارِ الناسِ مَن تَدْرِكهُمُ الساعةُ وهم أَحياء[2] ؛ والذين يَتَّخِذونَ القبورَ مَساجدَ[3] » . ورواه أبو حاتم فى صحيحه .

= تقوم عليه الساعة فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته قاله المصنف رحمه الله تعالى . قال ابن القيم رحمه الله : وبالجملة فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه وفهم عن الرسول ﷺ مقاصده جزم جزما لا يحتمل النقيض أن هـذه المبالغة واللعن والنهى بصيغتيه ، صيغة لا تفعلوا ، وصيغة : إنى أنهاكم ، ليس لأجل النجاسة بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة من عصاه وارتكب ما عنه نهاه واتبع هواه ولم يخش ربه ولا مولاه وقل نصيبه ، أو عدم من تحقيق : لا إله إلا الله فإن هـذا وأمثاله من النبى ﷺ صيانة لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك ويغشاه وتجريد له وغضب له به أن يعدل به سواه فأبى المشركون إلا معصية لأمره وارتكابا لنهيه وغرهم الشيطان بأن هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين وكلما كنتم أشد لها تعظيما وأشد فيهم غلوا كنتم بقربهم أسعد ومن أعدائهم أبعد ولعمرو الله من هذا الباب بعينه دخل الشيطان على عباد يغوث ويعوق ونسرا ودخل على عباد الأصنام منذ كانوا إلى يوم القيامة

(١) قوله (ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا « إن من شرار الناس ») بكسر الشين جمع شرير

(٢) قوله (من تدركهم الساعة وهم أحياء) أى مقدماتها كخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها وبعد ذلك ينفخ فى الصور نفخة الفزع

(٣) قوله (والذين يتخذون القبور مساجد) بالصلاة عندها وإليها وبناء المساجد عليها (ورواه أبو حاتم فى صحيحه)

٢١ – باب

ما جاء أن الغُلُوَّ فى قبور الصالحين يُصَيِّرُها أَوثاناً تُعْبَدُ من دُونِ الله(١)

(١) قوله (باب ما جاء أن الغلو فى قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله) الغلو هو بجاوزة الحد فى التعظيم بالقول والفعل والاعتقاد (روى مالك فى الموطأ أن رسول الله ﷺ قال « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ») مالك هو الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك الأصبحى المدنى إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة وأحد المتقنين للحديث حتى قال البخارى أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر . حكى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية إجماع أهل الإسلام الخاص منهم والعام على تعظيمه وقال : بل لم يكن فى وقته مثله ، وقد روى الترمذى وغيره عن النبى ﷺ أنه قال : يوشك أن يضرب الناس من أكباد الإبل فى طلب العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة ، قال غير واحد كانوا يرونه مالك بن أنس مات سنة تسع وسبعين ومائة ، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وقيل أربع وتسعين ، قال الواقدى بلغ تسعين سنة . وهذا الحديث رواه مالك فى الموطأ مرسلا عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار ، ورواه ابن أبى شيبة فى مصنفه عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم به ولم يذكر عطاء ، ورواه البزار عن زيد عن عطاء عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا وله شاهد عند الإمام أحمد بسنده عن سهيل بن أبى صالح عن أبى هريرة رفعه « اللهم لا تجعل قبرى وثناً ، لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفى القرى للطبرى المالكى عن مالك أنه كره أن يقول زرت قبر النبى ﷺ وعلل ذلك بقوله ﷺ « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد » الحديث . كره إضافة هذا اللفظ إلى القبر لئلا يقع التشبه بفعل أولئك سداً للذريعة ، وقد ذكروا فى أسباب كراهته لذلك أن هذا اللفظ قد صار كثير من الناس يريدون به الزيارة البدعية الشركية وهى قصد الميت لسؤاله ودعائه والرغبة إليه فى قضاء الحوائج وغير ذلك مما يفعله كثير من الناس ، فهم يعنون بلفظ الزيارة مثل هذا وهذا ليس بمشروع

رَوى مالكُ فى المُوَطَّأ : أن رسول الله ﷺ قال : « اللَّهُمَّ لا تجعلْ قبرِى وَثناً يُعبَد(١) اشتَدَّ غضبُ اللهِ على قَوْمٍ اتَّخَذُوا قبورَ أنبيائِهِمْ مَساجِدِ »

---

(١) قوله ﷺ « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد » قد بالغ النبي ﷺ فى النهى وتحذير أمته عن اتخاذ القبور مساجد ، وأخبر أن الله لعن اليهود والنصارى على اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد وقال « ألا وإن من كان قبلكم - يعنى اليهود والنصارى - كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد . ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإنى أنهاكم عن ذلك » . ودعا الله بأن لا يجعل قبره وثناً يعبد ، ودل الحديث على أن قبر النبى ﷺ لو عبد لكان وثنا ، ودل على أن الوثن هو ما يباشره العابد من القبور والتوابيت التى عليها . قال القرطبى ولهذا بالغ المسلمون فى سد الذريعة فى قبر النبى ﷺ فأعلوا حيطان تربته وسدوا المداخل إليها وجعلوها محدقة بقبره ﷺ ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذا كان مستقبل المصلين فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة فبنوا جدارين من ركنى القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره انتهى ، وإلى هذا أشار العلامة ابن القيم بقوله

ودعى بأن لا يجعل القبر الذى ... قد ضمه وثنا من الأوثان

فأجاب رب العالمين دعاءه ... وأحاطه بثلاثة الجدران

حتى غدت أرجاؤه بدعائه ... فى عزة وحماية وصيان

وقوله (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) هذا الوعيد يدل على تحريم البناء على القبور وتحريم الصلاة عندها وأن ذلك من الكبائر . وفى الحديث تفسير الأوثان وتفسير العبادة وأنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه وقرن بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد وذكر شدة الغضب من الله ، قاله المصنف رحمه الله . وقد عظمت الفتنة بتعظيم القبور وعبادتها كما قال ابن مسعود : كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير وينشأ فيها الصغير ، تجرى على الناس يتخذونها سنة إذا غيرت قيل غيرت السنة ، ولخوف الفتنة نهى عمر رضى الله عنه =

ولابن جَرِير بسندهِ عن سُفيــــــــــــان (١)

=عن تتبع آثار النبي ﷺ قال ابن وضاح سمعت عيسى بن يونس يقول :أمر عمر رضى الله عنه بقطع الشجرة التى بويع تحتها النبى ﷺ لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة ، وقال المعرور بن سويد : صليت مع عمر رضى الله عنه بطريق مكة صلاة الصبح ثم رأى الناس يذهبون مذاهب فقال : أين يذهب هؤلاء ؟ فقيل : يا أمير المؤمنين مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ فهم يصلون فيه ، فقال : إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا ، كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيع ، فمن أدركته الصلاة فى هذه المساجد فليصل ومن لا فليمض ولا يتعمدها . وفى مغازى ابن اسحق من زيادات يونس بن بكير عن أبى خلدة خالد بن دينار حدثنا أبو العالية قال : لما فتحنا تستر وجدنا فى بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر فدعى كعباً فنسخه بالعربية فأنا أول رجل قرأه من العرب قرأته مثل ما أقرأ القرآن ، فقلت لأبى العالية : ما كان فيه ؟ قال : سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد . قلت : فما صنعتم بالرجل ؟ قال : حفرنا له بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة فلما كان الليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لاينبشونه قلت : وما يرجون منه ؟ قال : كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون ، فقلت : من كنتم تظنون الرجل ؟ قال : رجل يقال له دانيال ، فقلت : منذ كم وجدتموه مات ؟ قال : منذ ثلاثمائة سنة . قلت : ما كان تغير منه شىء ؟ فقال : لا ، إلا شعيرات من قفاه ، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض . قال ابن القيم رحمه الله تعالى ففى هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم من تعمية قبره لئلا يفتتن به ولم يبرزوه الدعاء عنده والتبرك به ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله

قوله (ولابن جرير) وهو إمام المفسرين محمد بن جرير بن يزيد الطبرى أبو جعفر صاحب التفسير والتاريخ وتفسيره أجل التفاسير وأحسنها ، قال ابن خزيمة لا أعلم على الأرض أعلم منه ، ولد سنة مائتين وأربعة وعشرين ومات ليومين بقيا من شوال سنة ثلاثمائة وعشر

(١) قوله (بسنده عن سفيان) الظاهر أنه ابن سعيد الثورى أبو عبد الله =

عن منصور [١] عن مُجاهد [٢] ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى [٣] ﴾ . قال : كان يَلُتُّ لهمُ السَّوِيقَ ، فمات ، فعكفوا على قبرِهِ . وكذا قالَ أبو الجوزاء [٤] عن ابنِ عباس [٥] : كان يَلُتُّ السَّوِيق للحاج

= الكوفى ثقة حافظ فقيه إمام عابد كان له أتباع يتفقهون على مذهبه ، مات سنة إحدى وستين ومائة وله أربع وستون سنة

(١) قوله (عن منصور) هو ابن المعتمر بن عبد الله السلمى ثقة ثبت فقيه مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة

(٢) قوله (عن مجاهد) وهو ابن جبر بالجيم والموحدة ، أبو الحجاج المخزومى مولاهم المكى ثقة إمام فى التفسير أخذ عن ابن عباس وغيره رضى الله عنهم ، مات سنة أربع ومائة ، قاله يحي القطان ، وقال ابن حبان مات سنة اثنتين أو ثلاث ومائة وهو ساجد وولد سنة إحدى وعشرين فى خلافة عمر رضى الله عنه

(٣) قوله (أفرأيتم اللات والعزى) قال كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره) وفى رواية فيطعم من يمر به من الناس فلما مات عبدوه ، وقالوا : هو اللات ، رواه سعيد بن منصور . وقد قيل إنه صرمة بن غنم ، قاله فى الشرح

(٤) قوله (وكذا قال أبو الجوزاء) وهو أوس بن عبد الله الربعى بفتح الراء والباء ، مات سنة ثلاث وثمانين (عن ابن عباس كان يلت السويق للحاج) وهذا الأثر رواه البخارى فى صحيحه . والشاهد منه للترجمة أنهم غلوا فيه لأجل صلاحه واتخذوه وثنا بتعظيمه وعبادته وصار من أكبر أوثان أهل الجاهلية . وفيه معرفة صفة عبادة اللات التى هى من أكبر الأوثان ، ومعرفة أنه قبر رجل صالح ، وأنه اسم صاحب القبر ، وذكر معنى التسمية قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٥) قوله (وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور) - أى من النساء - والمتخذين عليها المساجد والسرج ، رواه أهل السنن) وهذا يدل على تحريم زيارة القبور عليهن كما هو مذهب أحمد وطائفة وقيل فى تعليل ذلك إنه يخرجها إلى الجزع والندب والنياحة ، وحديث ابن عباس =

= هذا فى إسناده أبو صالح مولى أم هانى وقد ضعفه بعضهم ووثقه بعضهم ، قال على بن المدينى عن يحيى القطان : لم أر أحداً من أصحابنا ترك أبا صالح مولى أم هانى وما سمعت أحداً من الناس يقول فيه شيئاً ولم يتركه شعبة ولا زائدة ولا عبد الله بن عثمان ، قال ابن معين لا بأس به ولهذا أخرجه ابن السكن فى صحيحه ، انتهى ، من الذهب الإبريز عن الحافظ المزى . وقال شيخ الإسلام : وقد جاء عن النبى ﷺ من طريقين : فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور ، وذكر حديث ابن عباس ثم قال : رجال هذا ليس رجال هذا فلم يأخذه أحدهما عن الآخر ، وليس فى الإسنادين من يتهم بالكذب ، ومثل هذا حجة بلا ريب وهذا من أجود الحسن الذى شرطه الترمذى ، فإنه جعل الحسن ما تعددت طرقه وليس فيها متهم ولا خالفه أحد من الثقات ، هذا لو كان عن صاحب واحد ، فكيف إذا كان هذا رواه عن صاحب وذاك عن آخر ، ويكفى فى الاحتجاج به رواية أهل السنن له ، ولم يذكر أحد منهم له علة ولا معارض له . وقال أيضاً : وما علمنا أحداً من الأئمة استحب لهن زيارة القبور ، ولا كان النساء على عهد النبى ﷺ وخلفائه الراشدين يخرجن إلى زيارة القبور ، ويؤيده ما فى الصحيحين أنه نهى النساء عن اتباع الجنائز . والذين رخصوا فى الزيارة اعتمدوا على ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها زارت قبر أخيها عبد الرحمن وقالت لو شهدتك ما زرتك . وهذا يدل على أن الزيارة ليست مستحبة للنساء كما تستحب للرجال ، ولو كانت كذلك لاستحبت زيارته سواء شهدته أم لا . وهذا لا حجة فيه لمن قال بالرخصة وهذا السياق لحديث عائشة . رواه الترمذى من رواية عبد الله بن أبى مليكة عنها يخالف سياق الأثر له عن عبد الله بن أبى مليكة أيضاً أن عائشة رضى الله عنها أقبلت ذات يوم من المقابر فقلت لها يا أم المؤمنين أليس نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور ؟ قالت : نعم ، نهى عن زيارة القبور . ثم أمر بزيارتها . ولا حجة فى حديث عائشة فإن المحتج عليها احتج بالنهى العام فدفعت بأن ذلك منسوخ ولم يذكر لها المحتج عليها النهى الخاص بالنساء الذى فيه لعنهن على الزيارة ، يبين ذلك قولها أمر بزيارتها ، فهذا يبين أنه أمر بها أمراً يقتضى الاستحباب ، والاستحباب إنما هو ثابت =

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لَعَنَ رسولُ الله ﷺ زائراتِ القبورِ والمتخذينَ عليهـا المساجدَ والسُّرُج . رواه أهل السُّنن (١) .

= الرجال خاصة ولو كانت تعتقد أن النساء مأمورات بزيارة القبور لكانت تفعل ذلك كما يفعله الرجال ولم تقل لأخيها لما زرتك ، واللعن صريح فى التحريم والخطاب بالأول فى قوله : فزوروها لم يتناول النساء فلا يدخلن فى الحكم الناسخ ، والعام إذا عرف أنه بعد الخاص لم يكن ناسخاً له عند جمهور العلماء ، وهو مذهب الشافعى وأحمد فى أشهر الروايتين عنه وهو المعروف عند أصحابه فكيف إذا لم يعلم أن هـذا العام بعد الخاص إذ قد يكون قوله لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور بعد إذنه للرجال فى الزيارة يدل على ذلك أنه قرنه بالمتخذين عليها المساجد والسرج ، ومعلوم أن اتخاذ المساجد والسرج المنهى عنه محكم كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة وكذلك الآخر . ومن العلماء من يقول التشييع كذلك ، ويحتج بقوله ﷺ ارجعن مأزورات غير مأجورات ، فإنكن تفتن الحى وتؤذين الميت ، وقوله لفاطمة ، أما إنك لو بلغت معهم الكدى لم تدخلى الجنة ، ويؤيده ما فى الصحيحين ، أنه نهى النساء عن اتباع الجنائز وفى هـذا الحديث لعن المتخذين على القبور المساجد والسرج وهو من فعل أهل الكتاب . قال أبو محمد المقدسى : لو صح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله لأن فيه تضييعاً للمال فى غير فائدة وإفراطاً فى تعظيم القبور أشبه بتعظيم الأصنام ، وفيه لعنه ﷺ زوارات القبور ، ولعنه من أسرجها . قاله المصنف رحمه الله .

قوله (رواه أهل السنن) يعنى أبا داود والترمذى وابن ماجه ولم يروه النسائى قاله فى الشرح . قال ابن القيم رحمه الله : اتخاذها مساجد وإيقاد السرج عليها من الكبائر . وقال محمد بن إسماعيل الصنعانى فى تطهير الاعتقاد : فإن هـذه القباب والمشاهد التى صارت أعظم ذريعة للشرك والإلحاد وأكبر وسيلة إلى هـدم الإسلام وخراب بنيانه غالب بل كل من يعمرها هم الملوك والسلاطين والرؤساء والولاة إما على قريب لهم أو على من يحسنون الظن به من فاضل أو عالم أو صوفى =

٢٢ - باب

ما جاء فى حماية المصطفى ﷺ جنابَ التوحيد وسدّه كل طريق يُوصل إلى الشرك(١)

وقولِ الله تعالى ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ(٢)

= أو فقير أو شيخ كبير ويزوره الناس الذين يعرفونه زيارة الأموات من دون توسل ولا هتف باسمه ، بل يدعون له ويستغفرون حتى ينقرض من يعرفه أو أكثرهم فيأتى من بعدهم فيجد قبراً قد شيد عليه البناء وسرجت عليه الشموع وفرش بالفراش الفاخر وأرخيت عليه الستور وألقيت عليه الأوراد والزهور فيعتقد أن ذلك لنفع أو دفع ضر وتأتيه السدنة يكذبون على الميت بأنه فعل وفعل ، وأنزل بفلان الضر وبفلان النفع حتى يغرسوا فى جبلته كل باطل والأمر ما ثبت فى الأحاديث النبوية من لعن من أسرج على القبور وكتب عليها وبنى عليها ، وأحاديث ذلك واسعة معروفة ، فإن ذلك فى نفسه منهى عنه ، ثم هو ذريعة إلى مفسدة عظيمة ، انتهى .

(١) قوله (باب ما جاء فى حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك) . الجناب هو الجانب ، قاله فى الشرح ، ذكر الشيخ هذه الترجمة فى بيان أن النبى ﷺ حمى جانب التوحيد من شرك يبطله أو بدعة تقدح فيه أو معصية تنقصه حرصاً على أمته وخوفاً عليهم أن يقعوا فيما وقع فيه من قبلهم من الأمم ، فلم يترك طريقاً ولا وسيلة تؤدى إلى الشرك إلا نهى عنها وحذرهم منها ، منها تعظيم القبور والغلو فى أصحابها وبناء المساجد عليها وإسراجها والعكوف والمجاورة عندها وتحرى الصلاة والدعاء والصدقة عندها لا سيما قبره الشريف فصلوات الله وسلامه عليه .

(١) قوله (وقول الله تعالى : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾) يقول تعالى ممتناً على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم أى من جنسهم وعلى لغتهم كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ﴾ وقال تعالى ﴿ لقد =

عزيزٌ عليه ما عَنِتم (١) حَرِيصٌ عليكم (٢) ﴾ الآية عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « لا تجعلوا بُيُوتكم قُبوراً (٣)

= مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ﴾. قال سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ قال لم يصبه شىء من ولادة الجاهلية.

(١) وقوله (عزيز عليه ما عنتم) أى يعز عليه الشىء الذى يعنت أمته ويشق عليها، ولذا جاء فى الحديث عنه ﷺ « بعثت بالحنيفية السمحة » وفى الصحيح « إن هذا الدين يسر ».

(٢) وقوله (حريص عليكم) أى على هدايتكم ووصول النفع الدنيوى والأخروى إليكم، وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة، وروى الطبرانى بسند جيد عن أبى ذر رضى الله عنه قال: تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه فى الهوى إلا وهو يذكر لنا فيه علماً، وقال ﷺ « ما بقى شىء يقرِّب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بينته لكم »

وقوله (بالمؤمنين رؤوف رحيم) أى المؤمنين به، فحرصه على الهداية عام لجميع الأمة، ورأفته ورحمته خاصة بالمؤمنين به، قال أبو عبيدة: الرأفة أرق الرحمة، وفيه معرفة تفسير آية براءة وإبعاد أمته عن هذا الحمى غاية البعد، وذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته قاله المصنف رحمه الله.

(٣) قوله (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً »). قال شيخ الإسلام أى لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحرى العبادة فى البيوت ونهى عن تحريها عند القبور عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم من هذه الأمة ممن يدعى الإسلام، وفى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما « لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن الشيطان يفر من البيت الذى يسمع سورة البقرة تقرأ فيه » وفيه الحث على النافلة فى البيت، وأنه متقرر عندهم أنه لا يصلى فى المقبرة، قاله المصنف

ولا تجعلُوا قَبرِى عيـداً (١) ، وصلُّوا علىَّ فإنَّ صلاتَـكم تَبلُغُنى حيثُ كنتم (٢) » رواه أبو داود بإسنادٍ حسن ورواته ثقات .

(١) قوله (ولا تجعلوا قبرى عيداً) وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة،وفيه نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص مع أن زيارته من أفضل الأعمال ، ونهيه عن الإكثار من الزيارة وتعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعُد فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب ، وكونه تعرض عليـه فى البرزخ أعمال أمته فى الصلاة والسلام عليه . قاله المصنف رحمه الله . قال شيخ الإسلام : العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد ، إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك . وقال ابن القيم : العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان مأخوذ من المعاودة والاعتياد ، فإذا كان اسماً المكان فهو الذى يقصد فيـه الاجتماع وانتيابه للعبادة أو لغيرها كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله عيداً للحنفاء ومثابة كما جعل أيام العيد فيها عيداً ، وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوض الحنفاء منها عيد الفطر وعيـد النحر وأيام منى ، كما عوضهم عن أعياد المشركين المكانية بالـكعبة ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر

(٢) وقوله (وصلوا علىَّ ، فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم) يشير إلى أن ما ينالنى منـكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبرى وبعدكم فلا حاجة لـكم إلى اتخاذه عيداً ، قاله شيخ الإسـلام رحمه الله . وهـذا الحديث رواه أبو داود وغيره من حديث عبد الله بن نافع الصائغ . قال أخبرنى ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة فذكره (ورواته ثقات) مشاهير لـكن عبد الله ابن نافع قال فيه أبو حاتم ليس بالحافظ تعرف وتنكر ، وقال ابن معين هو ثقة ، وقال أبو زرعة لا بأس به ، قال شيخ الإسـلام : ومثل هـذا إذا كان لحديثه شواهد علم أن محفوظ وهـذا له شواهد متعددة . وقال الحافظ محمد بن عبـد الهادى : هو حديث حسن جيد الإسناد وله شواهد يرتقى بها إلى درجة الصحة .

وعن عليّ بن الحسين (١) أنه رأى رجلا يجئ إلى فرجة كانت عند قبر النبيّ ﷺ فيَدْخُلُ فيها فيَدْعو ، فنهاه وقال : ألا أحدّثكم حديثاً سمعتُه عن أبى عن جدّى عن رسول الله ﷺ قال : « لَا تتَّخِذُوا

---

(١) قوله (وعن على بن الحسين) بن على بن أبى طالب المعروف بزين العابدين أفضل التابعين من أهل بيته وأعلمهم رضى الله عنه ، مات سنة ثلاث وتسعين على الصحيح ، وأبوه الحسين سبط رسول الله ﷺ وريحانته ، حفظ عن النبى ﷺ واستشهد يوم عاشوراء ، سنة إحدى وستين وله ست وخمسون سنة رضى الله عنه (أنه) أى على بن الحسين رأى رجلا يجىء إلى فرجة كانت عند قبر النبى ﷺ فيدخل فيها فيدعو ، فنهاه وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبى الحسين) عن جدى على بن أبى طالب (عن رسول الله ﷺ قال : « لا تتخذوا قبرى عيداً ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا علىّ فإن تسليمكم يبلغنى أين كنتم » رواه فى المختارة) هذا الحديث رواه أبو يعلىٰ والقاضى إسماعيل والحافظ الضياء فى المختارة . قال شيخ الإسلام : فانظر إلى هذه السنة كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت الذين لهم فى رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم وكانوا لها أضبط

قوله (إنه رأى رجلا يجىء إلى فرجة) بضم الفاء وسكون الراء وهى الكوة فى الجدار والخوخة ونحوهما

قوله (فيدخل فيها فيدعو فنهاه) وهذا يدل على النهى عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها . وقال شيخ الإسلام : ما علمت أحداً رخص فيه لأن ذلك نوع من اتخاذه عيداً . ويدل أيضاً على أن قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد للصلاة منهى عنه لأن ذلك لم يشرع ، وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل إنسان المسجد أن يأتى قبر النبى ﷺ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك ، قال : ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها . وكان الصحابة والتابعون رضى الله عنهم يأتون إلى مسجد النبى ﷺ فيصلون ، فإذا قضوا الصلاة قعدوا أو خرجوا ولم يكونوا يأتون القبر للسلام لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه =

قبرى عيداً ، ولا بُيُوتَكم قُبوراً ، وصلُّوا علىَّ فإنَّ تسليمَكم يبلُغُنى »

= عند دخول المسجد هو السنة . وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك أو للصلاة والدعاء فلم يشرعه لهم بل نهاهم عنه فى قوله « لا تتخذوا قبرى عيداً وصلوا علىّ فإن صلاتكم تبلغنى » فبين أن الصلاة تصل إليه من بعد وكذلك السلام ، ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد . وكانت الحجرة فى زمانهم يدخل إليها من الباب ، إذ كانت عائشة رضى الله عنها فيها وبعد ذلك إلى أن بنى الحائط الآخر ، وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون عليه السلام ولا الصلاة ولا للدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم ولا لسؤال عن حديث أو علم ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلاماً أو سلاماً فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم وبين لهم الأحاديث ، أو أنه قد رد عليهم السلام بصوت من خارج كما طمع الشيطان فى غيرهم فأضلهم عند قبره وقبر غيره حتى ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم وينهاهم ويحدثهم فى الظاهر وأنه يخرج من القبر فيرونه خارجاً من القبر فيظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت تكلمهم وأن أرواح الموتى تجسدت لهم فرأوها .

وقال سعيد بن منصور فى سننه : حدثنا عبد العزيز بن محمد أخبرنى سهيل بن أبى سهيل قال : رآنى الحسن بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عند قبر النبى ﷺ فنادانى وهو فى بيت فاطمة يتعشى فقال : هلم إلى العشاء ، قلت : لا أريده ، قال : مالى رأيتك عند القبر ؟ فقلت : سلمت على النبى ﷺ . فقال : إذا دخلت المسجد فسلم ، ثم قال لى : إن رسول الله ﷺ قال « لا تتخذوا قبرى عيداً ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً وصلوا علىّ فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم ، لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء » . والمقصود أن الصحابة رضى الله عنهم لم يكونوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره كما يفعله من بعدهم من الخلوف وإنما كان بعضهم يأتى من خارج فيسلم عليه إذا قدم من سفر كما كان ابن عمر يفعله ، قال عبيد الله بن عمر عن نافع: كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبى ﷺ فقال : السلام عليك يارسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتاه ، ثم ينصرف . قال عبد الله : ما نعلم أحداً من أصحاب النبى ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر . وهذا يدل على أنه لا =

رواه فى المختارة .

٢٣ - باب
ما جاء أنَّ بعضَ هٰذه الأمَّةِ يَعبُدُ الأوثان (١)

= يقف عند القبر للدعاء إذا سلم كما يفعله كثير . قال شيخ الإسلام : لأن ذلك لم ينقل عن أحد من الصحابة فكان بدعة محضة وفى المبسوط ، قال مالك : لا أرى أن يقف عند قبر النبى ﷺ ولكن يسلم ويمضى ، ونص أحمد أنه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستدبره ، وبالجملة فقد اتفق الأئمة على أنه إذا دعا لا يستقبل القبر ، وتنازعوا هل يستقبله عند السلام أم لا . وفى الحديث دليل على منع شد الرحال إلى قبره ﷺ وإلى غيره من القبور والمشاهد لأن ذلك من اتخاذها أعياداً . ومن أعظم أسباب الإشراك بأصحابها . وهذ
أفتى فيها شيخ الإسلام بمنع السفر لا بمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، ونقل فيها اختلاف العلماء ، فمن مبيح لذلك كالغزالى وأبى محمد المقدسى ، ومن مانع لذلك كابن بطة وابن عقيل وأبى محمد الجوينى والقاضى عياض . وهو قول الجمهور ، نص عليه مالك ولم يخالفه أحد من الأئمة وهو الصواب لما فى الصحيحين عن أبى سعيد عن النبى ﷺ قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام . ومسجدى هذا والمسجد الأقصى » فإما أن يكون نهياً ، وإما أن يكون نفياً وجاء فى رواية بصيغة النهى فتعين أن يكون للنهى فدخل فى النهى شدها لزيارة القبور والمشاهد

قوله (رواه فى المختارة) لأبى عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسى الحافظ ضياء الدين الحنبلى أحد الأعلام ، قال الذهبى : أفنى عمره فى هذا الشأن مع الدين المتين والورع والفضيلة التامة والإتقان . والمختارة كتاب جمع فيه الأحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين وتصحيحه فى مختارته خير من تصحيح الحاكم بلا ريب ، قاله شيخ الإسلام ، مات سنة ثلاث وأربعين وستمائة

(١) قوله (باب ما جاء أن بعض هـذه الامة يعبد الأوثان) أراد المصنف

وقول الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ(١) إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ وقولهِ تعالى ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ(٢) ، مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ

= رحمه الله تعالى بهذه الترجمة الرد على عباد القبور الذين يفعلون الشرك ويقولون : إنه لا يقع فى هذه الأمة المحمدية شرك وهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله

(١) قوله (وقول الله تعالى ألم تر) يا محمد (إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) أى أعطوا حظاً من العلم (يؤمنون بالجبت والطاغوت) قال عمر بن الخطاب : الجبت : السحر ، والطاغوت : الشيطان ، وكذا قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وغيرهم ، وعن ابن عباس : الجبت الكاهن وعن مجاهد كعب ابن الأشرف قال الجوهرى : الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك

قوله : ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا . وروى الإمام أحمد عن ابن عباس قال لما قدم كعب بن الأشرف اليهودى مكة قالت قريش ألا ترى إلى هذا الصبى المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة والسقاية قال : أنتم خير . فنزل فيهم ﴿ إن شانئك هو الأبتر ﴾ ، ونزل ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب - إلى قوله - نصيرا ﴾ وروى ابن أبى حاتم عن عكرمة نحوه ، وفيه معرفة تفسير آية النساء ومعرفة الإيمان بالجبت والطاغوت فى هذا الموضع هل هو اعتقاد قلب أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها وقولهم : إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلا من المؤمنين . ومنها وهى المقصود بالترجمة أن هذا لا بد أن يوجد فى هذه الأمة كما تقرر فى حديث أبى سعيد ، قاله المصنف رحمه الله . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة .

(٢) قوله (وقول الله تعالى : قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) قال البغوى : قل يا محمد ﴿ هل أنبئكم ﴾ أخبركم ﴿ بشر من ذلك ﴾ يعنى قولهم =

عليهِ وجَعَلَ منهمُ القِردَةَ والخنازِيرَ وعَبدَ الطَّاغوتِ [(١)] ﴾ وقوله ﴿ قال الذينَ غلَبُوا على أَمرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عليهمْ مَسجدا [(٢)] ﴾

=لم نر أهل دين أقل حظاً فى الدنيا والآخرة منكم ولا ديناً شراً من دينكم ، فذكر الجواب بلفظ الابتداء وإن لم يكن الابتداء شراً ، كقوله ﴿ قل أفنبئكم بشر من ذلكم ؟ ﴾ النار !

وقوله (مثوبة) أى ثوابا وجزاء ، نصب على التفسير

قوله (عند الله ؟ من لعنه الله) أى هو من لعنه الله وغضب عليه يعنى اليهود وجعل منهم القردة والخنازير ، فالقردة أصحاب السبت والخنازير كفار مائدة عيسى ، وعن على بن أبى طلحة عن ابن عباس أن المسخين كلاهما من أصحاب السبت فشبابهم مسخوا قردة وشيوخهم مسخوا خنازير . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير هى مما مسخ الله فقال إن الله لم يهلك أمة أو قال لم يمسخ قوما فجعل لهم نسلا ، وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك رواه مسلم

(١) قوله (وعبد الطاغوت) أى وجعل منهم من عبد الطاغوت أى أطاع الشيطان فيما سول له ، وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة ، وفيه معروفة تفسير الآية ، قاله المصنف رحمه الله تعالى قال شيخ الإسلام فى قوله : وعبد الطاغوت ، الصواب أنه معطوف على ما قبله من الأفعال ، أى من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير ، ومن عبد الطاغوت ، فهو فعل ماض معطوف على ما قبله من الأفعال الماضية ، لكن الأفعال المتقدمة الفاعل فيها هو اسم الله مظهراً ومضمراً ، وهنا الفاعل اسم من عبد الطاغوت وهو الضمير فى عبد ، ولم يعد سبحانه لفظ مَن لأنه جعل هذه الأفعال كلها صفة لصنف واحد وهم اليهود

وقوله (أولئك شر مكانا) مما تظنون بنا (وأضل عن سواء السبيل)

(٢) وقوله (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) حكى ابن جرير فى القائلين ذلك قولين أحدهما أنهم المسلمون ، والثانى أنهم المشركون وعلى القولين فهم مذمومون على ذلك لأن النبى ﷺ قال « لعن الله اليهود والنصارى=

عن أبي سعيد[١] رضي الله عنـه أن رسولَ الله ﷺ قال : لَتَتّبِعُنّ سَنَنَ مَن كان قبلَكم حَذوَ القُذَّةِ بالقُذَّة ، حتى لو دَخَلوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوه[٢] » قالوا : يارسولَ الله ، اليهود والنصارى[٣]

= اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد يحذر ما صنعوا » رواه البخاري ومسلم . ولما فعلته اليهود والنصارى جرهم ذلك إلى الشرك ، وما فعلته اليهود والنصارى ستفعله هذه الأمة . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة كما في حديث أبي سعيد الآتي وفيه معرفة تفسير الآية قاله المصنف

(١) قوله (عن أبي سعيد) سعد بن مالك بن سنان الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لتتبعن سنن من كان قبلكم ») بفتح المهملة وقد تضم والفتح أولى ، قاله المهلب أي : طريق من كان قبلكم (حذو القذة بالقذة) بنصب حذو على المصدر ، والقذة بضم القاف واحدة القذذ وهو ريش السهم ، أي لتتبعن طريقهم في كل ما فعلوه وتشبهوهم في ذلك كما تشبه قذة السهم القذة الأخرى ، وبهذا تظهر مناسبة الآيات للترجمة وقد وقع كما أخبر وهو علم من أعلام النبوة

(٢) قوله (حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) وفي حديث آخر « حتى لو كان فيهم من يأتي أمه علانية لكان في أمتي من يفعل ذلك »

(٣) قوله (قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟) هو برفع اليهود خبر مبتدأ محذوف أي : أهم اليهود والنصارى الذين نتبع سننهم ؟ ويجوز النصب بفعل محذوف تقديره : تعني

وقوله : فمن ؟ استفهام إنكاري أي فمن هم غير أولئك ؟ وفي رواية أبي هريرة عند البخاري أنه فسرهم بفارس والروم والتفسير ببعض الأمم لا ينفي التفسير بأمة أخرى إذ المقصود التمثيل لا الحصر ، قاله في الشرح . قال شيخ الإسلام : وهذا خرج مخرج الخبر والذم لمن يفعله كما كان يخبر عما يكون بين يدي الساعة من الأشراط والأمور المحرمة

قال : « فمن ؟ » أخرجاه[(١)] . ولمسلم عن ثَوْبانَ[(٢)] أن رسولَ الله

---

(١) قوله (أخرجاه) أى البخارى ومسلم واللفظ لمسلم ، أخبر ﷺ فى هذا الحديث أن كل ما وقع من أهل الكتاب مما ذمهم الله به فى هذه الآيات وغيرها لا بد أن يقع جميعه فى هذه الأمة ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة . وقد وقع كما أخبر ﷺ فاتبع كثير من أمته اليهود والنصارى وفارس والروم فى ملابسهم ومساكنهم ولغتهم وإقامة شعائرهم فى الأديان والأعياد والعادات والحروب وزخرفة المساجد وتعظيم القبور وبناء المساجد عليها حتى عبدوا الأموات واتخذوا الأحبار والرهبان أربابا من دون الله وأعرضوا عن تدبر كتاب الله وسنة رسوله والعمل بهما وأقبلوا على كتب الإلحاد ومجلات الخلاعة والمجون والمصورات واستماع الأغانى الخليعة والملاهى وغير ذلك مما هو مشاهد بالعيان فلا حول ولا قوة إلا بالله

(٢) قوله (ولمسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ) صحبه ولازمه ونزل الشام بعده ومات بحمص سنة أربع وخمسين رضى الله عنه (أن رسول الله ﷺ قال « إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة بعامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم . وأن ربى قال : يا محمد إذا قضيت قضاء فانه لا يرد وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكها بسنة بعامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبى بعضهم بعضا » ورواه البرقانى فى صحيحه وزاد : « وإنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتى بالمشركين ، وحتى تعبد فئام من أمتى الأوثان ، وأنه سيكون فى أمتى ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبى وأنا خاتم النبيين لا نبى بعدى ولا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى ») وهذا الحديث رواه أيضا أبو داود فى سننه وابن ماجه بالزيادة التى ذكرها المصنف قاله فى فتح المجيد

ﷺ قال « إنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأرضَ فرأيتُ مشارِقها ومغاربها ، وإنَّ أُمتى سيَبْلُغُ مُلْكُها ما زُوِىَ لى منها . وأُعطيتُ الكنزَين : الأحمرَ والأبيض . وإنى سألتُ ربى لأُمّتى أن لا يُهلِكَها بسَنَةٍ

قوله (إن الله زوى لى الأرض) قال التوربشتى : زويت الشىء جمعته وقبضته ، يريد تقريب البعيد منها حتى اطلع عليه اطلاعه على القريب ، وحاصله أنه طوى له الأرض وجعلها مجموعة كهيئة كف فى مرآة نيظرة ، قال الطيبى جمعها لى حتى أبصرت ما تملكه أمتى من أقصى المشارق والمغارب منها

قوله (وإن ملك أمتى سيبلغ ما زوى لى منها) . قال القرطبى : وهذا الخبر قد وجد مخبره كما قال ﷺ وكان ذلك من دلائل نبوته ، وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة بالنون والجيم الذى هو منتهى عمارة المغرب إلى أقصى المشرق مما وراء خراسان والنهر وكثير من بلاد السند والهند والصين ، ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال ، ولذا لم يذكر عليه السلام أنه أريه ولا أخبر أن ملك أمته يبلغه

قوله (ما زوى لى منها) يحتمل أن يكون مبنيا للفاعل وأن يكون مبنيا للمفعول . وفيه إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب ، وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال قاله المصنف

قوله (وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض) قال القرطبى ، يعنى بهما كنز كسرى وهو ملك الفرس وكنز قيصر وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما ، وقد قال ﷺ « والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله » وعبر بالأحمر عن كنز قيصر لأن الغالب عندهم كان الذهب ، وبالأبيض عن كنز كسرى لأن الغالب عندهم كان الجوهر والفضة . وفيه إخباره بأنه أعطى الكنزين فوقع كما أخبر . قاله المصنف رحمه الله ، وقد وجد ذلك فى خلافة عمر فإنه سيق إليه تاج كسرى وحليته وما كان فى بيوت أمواله وجميع ما حوته مملكته على سعتها وعظمتها ، وكذلك فعل الله بقيصر . وكان النبى ﷺ فى حياته قال لسراقة بن مالك المدلجى « كيف بك يا سراق إذا وضع تاج كسرى على رأسك =

بعامَّة ، وأن لا يُسَلِّطَ عليهم عَدُوًّا مِن سِوَى أنفسهمْ ، فيَستَبيح بَيْضَتَهُم . وإنَّ ربي قال : يا محمدُ ، إنى إذا قَضَيْتُ قضاءً فإنه لا يُرَدُّ ، وإنى أعطيتُكَ لأمَّتِكَ أن لا أهلِكَهُمْ بسنة بعامَّة ، وأن لا أُسَلِّطَ عليهم عَدُوًّا من سِوَى أنفُسهم فيستبيحَ بَيْضَتَهم ، ولو اجتمَعَ

= وسواراه فى يديك ، فلما جىء بهما إلى عمر رضى الله عنه دعى سراقة فألبسهما إياه تصديقا لما أخبر به النبي ﷺ وقال : قل الحمد لله الذى نزع تاج كسرى من رأسه وسواريه من يديه وجعلهما على أعرابى من بنى مدلج ، وذلك بعز الإسلام وقوته لا بحولنا ولا بقوتنا . ذكر ذلك السهيلى فى الروض

قوله (وإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة بعامة) هكذا ثبت فى أصل المصنف بعامة بالباء وهى رواية صحيحة فى صحيح مسلم وفى بعضها بحذفها . قال القرطبى : كأنها زائدة لأن عامة صفة للسنة والسنة الجدب الذى يكون به الهلاك العام

قوله (وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم) أى من غيرهم من الكفار (فيستبيح بيضتهم) قال الجوهرى بيضة كل شىء حوزته ، وبيضة القوم ساحتهم فيكون معنى الحديث أن الله لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح ما حازوه من البلاد والأرض ، وقيل بيضتهم معظمهم وجماعتهم وإن قلوا

قوله (وإن ربى قال يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد) قال بعضهم إذا حكمت حكما مبرما نافذا لا يرد بشىء ولا يقدر أحد على رده ، كما قال ﷺ « لا رادَّ لما قضيت »

قوله (وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكها بسنة بعامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم أى من غيرهم من الكفار فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها) أى من بأقطار الأرض وهى جوانبها . وفيه إخباره بإجابة دعوته فى الإثنتين وإخباره بأنه منع الثالثة قاله المصنف رحمه الله . قلت : الثالثة هى أن لا يجعل بأسهم بينهم ولم يذكرها المصنف فلعلها سقطت من الناسخ .

عليهمْ منْ بأقطارها ، حتى يكونَ بعضُهم يُهلكُ بعضاً ويَسْبي بعضُهم بعضاً » . ورواه البرقانيُّ فى صحيحه(١) ، وزاد « وإنمــا أخافُ على أُمَّتي الأئمــةَ المضلّــــين ،

وقوله (حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبى بعضهم بعضا) . الظاهر أن حتى عاطفة أو تكون لانتهاء الغاية أى أن أمر أمته ينتهى إلى أن يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبى بعضهم بعضا فاذا وجدت هذه الأوصاف فقد يسلط الكفار على جماعتهم ومعظمهم كما وقع ، فإن هذه الأمة لما جعل الله بأسها بينها تفرقت جماعتهم واشتغل بعضهم ببعض عن جهاد العدو فاستولى على كثير من بلاد المسلمين فلا حول ولا قوة إلا بالله . وفيه إخباره بإهلاك بعضهم بعضا وسبى بعضهم بعضا ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (ورواه البرقانى فى صحيحه) وهو الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمى الشافعى ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ومات سنة خمس وعشرين وأربعمائة . قال الخطيب : كان ثبتا ورعاً لم نر فى شيوخنا أثبت منه ، عارفاً بالفقه كثير التصانيف صنف مسنداً ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان وجمع حديث الثورى وحديث شعبة وطائفة ، ورواه أيضا أبو داود بتمامه عن أبى قلابة عن أبى أسماء عن ثوبان

قوله (وإنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين) وهم الأمراء والعلماء والعباد فيحكمون فيهم بغير علم فيضلونهم كما قال تعالى ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ﴾ وقال ﴿ وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم ﴾ وفى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الرجال ولكن يقبض العلم بموت العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن أخوف ما أخاف على أمتى الأئمة المضلين » رواه أبو داود الطيالسى ، وعن زياد بن حدير قال : قال لى عمر بن الخطاب رضى الله عنه : هل تعرف ما يهدم الإسلام ؟ قلت : لا ، قال : يهدمه زلة العالم وجدال =

وإذا وَقَعَ عليهمُ السيفُ لم يُرْفع إلى يوم القيامة . ولا تقومُ الساعةُ حتى يلحَقَ حَيٌّ من أمتى بالمشركين ، وحتى تَعبُد فئامٌ من أُمتى الأوثان

= المنافق بالكتاب وحكم الأئمة المضلين . رواه الدارمى ، ولذا قال عبد الله ابن المبارك :

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

وقال سفيان بن عيينة وغيره : من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى . وسئل سعيد بن جبير : من أين يهلك الناس ؟ قال : من قبل علمائهم وروى ابن أبى الدنيا عن على رضى الله عنه قال : يأتى على الناس زمان لا يبقى فيه من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه ، مساجدهم يومئذ عامرة وهى خراب من الهدى ، علماؤهم شر من تحت أديم السماء منهم خرجت الفتنة وفيهم تعود . وفيه حصره الخوف على أمته من الأئمة المضلين قاله المصنف رحمه الله

قوله (وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة) وقد حصل ما أخبر به ﷺ ، فإن السيف وقع بقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه ولم يرفع ، لكن قد يكثر تارة ويقل أخرى ويكون فى جهة ويرتفع عن أخرى ، وقد يكون شروعا كقتال أهل الإسلام لأهل الشرك ، وقد يكون ظلما وبغياً وفيه إخباره بوقوع السيف وأنه لا يرفع إذا وقع ، قاله المصنف رحمه الله تعالى .

قوله (ولا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتى بالمشركين) الحى واحد الأحياء وهى القبائل ، وفى رواية أبى داود : وحتى يلحق قبائل من أمتى بالمشركين . والمعنى أنهم يكونون معهم ويرتدون برغبتهم عن أهل الإسلام ويلحقون بأهل الشرك فى السكنى والديانة

قوله (وحتى تعبد فئام من أمتى الأوثان) بكسر الفاء مهموزا ، الجماعات =

= الكثيرة قاله أبو السعادات ، وفى رواية أبى داود حتى تعبد قبائل من أمتى الأوثان والوثن يطلق على ما قصد بنوع من أنواع العبادة من القبور والمشاهد وغيرها لقول الخليل : ﴿ إنما تعبدون من دون الله أوثانا ﴾ . مع قوله : ﴿ قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ﴾ وقوله ﴿ أتعبدون ما تنحتون ﴾ وقول النبي ﷺ « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد » فعلم بهذا أن الوثن يطلق على ما عبد من دون الله من القبور والمشاهد والأصنام وغيرها ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة . وفيه التصريح بوقوع عبادة الأوثان فى هذه الأمة فى جموع كثيرة والتنبيه على معنى عبادة الأوثان ، قاله المصنف رحمه الله تعالى . وفيه الرد على عباد القبور الذين ينكرون وقوع الشرك وعبادة الأوثان فى هذه الأمة لجهلهم بحقيقة التوحيد وما ينافيه من الشرك والتنديد ، وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذى الخلصة » قال : وذو الخلصة طاغية دوس التى كانوا يعبدونها فى الجاهلية . وروى ابن حبان عن معمر قال : إن عليه الآن بيتا مبنيا مغلقا ، وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها مرفوعا « لايذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى » قال ابن القيم رحمه الله تعالى : المشاهد التى بنيت على القبور والتى اتخذت أوثانا تعبد من دون الله والأحجار التى تقصد للتبرك والنذر لا يجوز إبقاء شىء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها ، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة أو أعظم شركا عندها وبها ، فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم ، وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة ، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم ، وصار المعروف منكراً والمنكر معروفا ، والسنة بدعة والبدعة سنة ، وطمست الأعلام ، واشتدت غربة الإسلام ، وقل العلماء ، وغلب السفهاء وتفاقم الأمر ، واشتد البأس ، وظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ، ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين ، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، انتهى ملخصا . وقد استحكمت الفتنة بعبادة الأوثان حتى إنه لا يعرف أحد فى هذه القرون المتأخرة أنكر ما وقع من ذلك ، حتى أقام الله الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فأنكر =

وأنهُ سيكونُ فى أمتى كذّابون ثلاثون كلهم يزعُمُ أنه نبيٌّ ،

= ذلك ونهى عنه ودعا الناس إلى أن يعبدوا الله وحده لا شريك له ، فرماه الملوك وأتباعهم من علماء الضلال بقوس العداوة ، فأظهره الله بالحجة وأعز أنصاره ، وبلغت دعوته مشارق الأرض ومغاربها ، وانتفع بدعوته الكثير من الناس ، فلله الحمد على هذه النعمة العظيمة

قوله (وأنه سيكون فى أمتى كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبى) قال القرطبي : وقد جاء عددهم معينا فى حديث حذيفة ، قال : قال رسول الله ﷺ « يكون فى أمتى كذابون دجالون سبع وعشرون ، منهم أربع نسوة » أخرجه أبو نعيم ، وقال : هذا حديث غريب تفرد به معاوية بن هشام ، وحديث ثوبان أصح ، قاله فى فتح المجيد ، قال الحافظ ابن حجر : قد ظهر مصداق ذلك فى زمن النبى ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب باليمامة والأسود العنسى باليمن ، ثم خرج فى خلافة أبى بكر الصديق طليحة بن خويلد فى بنى أسد بن خزيمة ، وسجاح التميمية فى بنى تميم ، وقتل الأسود قبل أن يموت النبى ﷺ ، وقتل مسيلمة الكذاب فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ويقال إن سجاح تابت ، ثم خرج المختار ابن أبى عبيد الثقفى وغلب على الكوفة فى أول خلافة ابن الزبير وأظهر محبة أهل البيت ودعى الناس إلى طلب قتلة الحسين فقتل كثيراً ممن باشر ذلك وأعان عليه فأحبه الناس ثم ادعى النبوة وزعم أن جبريل عليه السلام يأتيه ، ومنهم الحارث الكذاب خرج فى خلافة عبد الملك بن مروان فقتل ، وخرج فى خلافة بنى العباس جماعة وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقا فإنهم لا يحصون كثرة لكون غالبهم تنشأ دعواه عن جنون أو سوداء ، وإنما المراد من قامت له شوكة وقد أهلك الله من وقع له منهم ذلك وبقى من يلحقه بأصحابه وآخرهم الدجال الأكبر . وفيه إخباره بظهور المتنبئين فى هذه الأمة فوقع كما أخبر ، والعجب العجاب خروج من يدعى النبوة مثل المختار مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه أنه من هذه الأمة وأن الرسول حق وأن القرآن حق . وفيه أن محمداً خاتم النبيين ، ومع هذا يصدق فى هذا كله مع التضاد الواضح ، وقد خرج المختار فى آخر عصر الصحابة وتبعه فئام كثيرة ، قاله المصنف رحمه الله .

وأنا خاتمُ النبيّين ، لا نبيَّ بعدي ، ولا تزالُ طائفةٌ من أُمتي على الحقّ منصورةً ، لا يَضُرُّهم مَن خَذَلهم

قوله (وأنا خاتم النبيين) قال الحسن : الخاتم الذى ختم به ، يعنى آخر النبيين قال تعالى ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ وإنما ينزل عيسى بن مريم فى آخر الزمان حاكما بشريعة محمد ﷺ مصليا إلى قبلته فهو كأحد أمته بل هو أفضل هذه الأمة ، قال النبى ﷺ « والذى نفسى بيده لينزلن فيكم ابن مريم حكما مقسطا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية .

قوله (ولا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم) قال يزيد بن هارون وأحمد بن حنبل : إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدرى من هم قال ابن المبارك وعلى ابن المدينى وأحمد بن سنان والبخارى وغيرهم أنهم أهل الحديث وعن ابن المدينى رواية هم العرب واستدل برواية من روى هم أهل الغرب وفسر الغرب بالدلو العظيمة لأن العرب هم الذين يستقون بها . قال النووى يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بالحرب وفقيه ومحدث ومفسر وقائم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وزاهد وعابد ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين فى بلد واحد ، بل يجوز اجتماعهم فى قطر واحد وافتراقهم فى أقطار الأرض ، ويجوز أن يجتمعوا فى البلد الواحد وأن يكونوا فى بعض دون بعض منه ، ويجوز إخلاء الأرض من بعضهم أولا فأول إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد فاذا انقرضوا جاء أمر الله ، انتهى ملخصا مع زيادة فيه ، قاله الحافظ ابن حجر . وفيه إخباره ببقاء الطائفة المنصورة والبشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى بل لا تزال عليه طائفة ، والآية العظمى أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم وأن ذلك الشرط إلى قيام الساعة ، قاله المصنف رحمه الله تعالى . قال القرطبى : وفيه دليل على أن الإجماع حجة لأن الأمة إذا اجتمعت فقد دخل فيهم الطائفة المنصورة ، واحتج به الإمام أحمد على أن الاجتهاد لا ينقطع ما دامت هذه الطائفة موجودة

حتى يأتىَ أمرُ الله تبارك وتعالى »[1]

---

(١) قوله (حتى يأتى أمر الله) الظاهر أن المراد به ما روى من قبض من بقى من المؤمنين بالريح الطيبة ، ووقوع الآيات العظام ، ثم لا يبقى إلا شرار الناس ، فعليهم تقوم الساعة . كما روى الحاكم : أن عبد الله بن عمرو قال : لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق هم شر أهل الجاهلية ، فقال عقبة بن عامر لعبد الله : أعلم ما تقول ، وأما أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول « لا تزال عصابة من أمتى يقاتلون على أمر الله ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك » قال عبد الله : ويبعث الله ريحاً ريحها ريح المسك ومسها مس الحرير فلا تترك أحداً فى قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته ، ثم يبقى شرار الناس فعليهم تقوم الساعة . وعلى هذا فالمراد بقوله فى حديث عقبة : وما أشبهه حتى تأتيهم الساعة ساعتهم وهى وقت موتهم بهبوب الريح . ذكره الحافظ ابن حجر . وقد اختلف فى محل هذه الطائفة فقال بعضهم : إنها تكون فى بيت المقدس ، كما رواه الطبرانى من حديث أبى أمامة : قيل يا رسول الله أين هم قال « ببيت المقدس » وقال معاذ بن جبل : هم بالشام وفى كلام الطبرى ما يدل على أنه لا يجب أن تكون فى الشام أو فى بيت المقدس دائما بل قد تكون فى موضع آخر فى بعض الأزمنة قال فى الشرح وهذا هو الحق فإنه ليس فى الشام منذ أزمان أحد بهذه الصفة بل ليس فيه إلا عباد القبور وأهل الفسق وأنواع الفواحش والمنكرات ، ويمتنع أن يكونوا هم الطائفة المنصورة وأيضا فهم منذ أزمان لا يقاتلون أحدا من أهل الكفر وإنما بأسهم وقتالهم بينهم انتهى . قلت : ويشهد له الواقع وحال أهل الشام وأهل بيت المقدس فانهم من أزمنة طويلة لا يعرف فيهم من قام بهذا الأمر بعد شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه فإنهم كانوا فى زمانهم على الحق يدعون اليه ويناظرون عليه ويجاهدون فيه ، وقد يجىء من أمثالهم بعد بالشام من يقوم مقامهم بالدعوة إلى الحق والتمسك بالسنة والله على كل شىء قدير ، قاله فى فتح المجيد .

وقوله (تبارك وتعالى) جاء بناء تبارك على بناء تعالى الذى هو دال على كمال العلو ونهايته ، فكذلك تبارك دال على كمال بركته وعظمتها وسعتها ، وهذا معنى قول من قال من السلف : تبارك تعاظم ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : جاء

٢٤ - باب
ما جاء فى السحر(١)

= بكل بركة ، قاله ابن القيم رحمه الله تعالى. وهذا الحديث رواه ، أيضا أبو داود فى سننه وابن ماجه بالزيادة التى ذكرها المصنف رحمه الله . وكل جملة من هذا الحديث علم من أعلام النبوة ، فان كل ما أخبر به النبى ﷺ فى هذا الحديث وقع كما أخبر ، قاله فى فتح المجيد

(١) قوله (باب ما جاء فى السحر) أى من الوعيد الشديد وأنه كفر . السحر لغة عبارة عما خفى ولطف سببه، ولهذا جاء فى الحديث « إن من البيان لسحراً » وسمى السحر سحراً لأنه يقع خفيا آخر الليل . وقال أبو محمد المقدسى فى الكافى : السحر عزائم ورقى وعقد يؤثر فى القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه . قال ابن العربى منه ما يفرق بين المرء وزوجه ، ومنه ما يجمع بين المرء وزوجه ، ويسمى التولة وكلاهما كفر . وحقيقته يعنى السحر أنه كلام مؤلف يعظم به غير الله تعالى وتنسب اليه فيه المقادير والكائنات انتهى . ولذا جاء فى الحديث « ومن سحر فقد أشرك » ولما كان السحر لا يتأتى بدون الشرك سواء كان الشرك أكبر أو أصغر فالأكبر ينافى التوحيد والأصغر ينافى كماله ذكره المصنف رحمه الله تعالى تحذيراً منه . وقد زعم قوم من المعتزلة وغيرهم أن السحر تخييل لا حقيقة له وهذا ليس بصحيح فإن التخييل إنما هو فى نظر المسحور فهو ناشئ عن السحر لا نفس السحر ، ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر الله بالاستعاذة منه فى قوله ﴿ ومن شر النفاثات فى العقد ﴾ يعنى السواحر اللاتى يعقدن السحر وينفثن فى عقدهن ، وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ سحر حتى إنه ليخيل اليه أنه يفعل الشئ وما يفعله وأنه قال لها ذات يوم « أتانى ملكان فجلس أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال : ما وجع الرجل ؟ قال : مطبوب . قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم فى مشط ومشاقة وفى جف طلعة ذكر فى بئر ذروان » رواه البخارى فالتخييل الذى كان يراه ﷺ ناشئ عن السحر الذى فى المشط والمشاقة ، وليس هو نفس السحر ولذا لما استخرجه وأتلف ذهب عنه ما يجده من التخييل

وقول الله تعالى ﴿ ولقدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراهُ مَا لَهُ فى الآخِرَةِ من خَلَاق [١] ﴾ وقوله ﴿ يُؤْمِنُونَ بالجِبْتِ والطَّاغوت [٢] ﴾ قال عمر الجِبْت : السِّحر ، والطاغوت : الشيطان . وقال جابر : الطَّواغيت [٣] كهّان كان يَنزلُ عليهمُ الشيطانُ [٤] ، فى كل حيّ واحدٌ

---

(١) قوله (وقول الله تعالى ﴿ ولقد علموا لمن اشتراه ، ماله فى الآخرة من خلاق ﴾) أى ولقد علم اليهود الذين استبدلوا السحر عن متابعة الرسل والإيمان بالله ماله فى الآخرة من خلاق ، قال ابن عباس : من نصيب . وقال قتادة : وقد علم أهل الكتاب فيما عهد اليهم أن الساحر لا خلاق له فى الآخرة . وقال الحسن : ليس له دين ، فدلت الآية على تحريم السحر وهو كذلك محرم فى جميع الشرائع لم يبح فى ملة من الملل كما قال تعالى ﴿ ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾ قاله فى الشرح . وفيه معرفة تفسير آية البقرة قاله المصنف رحمه الله . واختلفوا هل يكفر الساحر أم لا ؟ فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر ، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد رحمهم الله تعالى ، قال أصحابه إلا أن يكون سحره بأدوية وتدخين وسقى شئ يضر فلا يكفر ، وقال الشافعى إذا تعلم السحر قلنا له صف لنا سحرك فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقد أهل بابل من التقرب للكواكب السبعة وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر ، وإن كان لا يوجب الكفر فان اعتقد إباحته كفر انتهى

(٢) وقوله (تعالى ﴿ يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾ قال عمر : الجبت السحر والطاغوت الشيطان ، رواه ابن أبى حاتم وفيه أن السحر من الجبت ، قاله المصنف وقال جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى ثم السلمى بفتحتين صحابى ابن صحابى رضى الله عنهما

(٣) قوله (الطواغيت : كهان) أراد أن الكهان من الطواغيت فهو من إفراد المعنى

(٤) قوله (كان ينزل عليهم الشيطان) أراد الجنس لا الشيطان الذى هو إبليس خاصة ، بل تنزل عليهم الشياطين ويخاطبونهم ويخبرونهم بما يسترقون من السمع (فى =

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ » قالوا : يارسولَ اللهِ ، وما هُنَّ ؟ قال :

= كل حي واحد) قال وهب بن منبه : سألت جابر بن عبدالله عن الطواغيت التي كانوا يتحاكمون إليها فقال : إن في جهينة واحداً وفي أسلم واحداً وفي هلال واحداً وفي كل حي واحد ، وهم كهان كانت تنزل عليهم الشياطين . رواه ابن أبي حاتم ، والحي واحد الأحياء ، وهي القبائل أي في كل قبيلة كاهن يتحاكمون إليه ويسئلونه عن الغيب ، وكذلك كان الأمر قبل مبعث النبي ﷺ فأبطل الله ذلك بالإسلام ، وحرست السماء بكثرة الشهب . وفيه معرفة تفسير آية النساء وتفسير الجبت والطاغوت والفرق بينهما ، وأن الطاغوت قد يكون من الجن وقد يكون من الإنس . قاله المصنف رحمه الله تعالى . ومطابقة أثر جابر للترجمة من جهة أن الساحر طاغوت من الطواغيت إذ كان هذا الاسم يطلق على الكاهن والساحر أولى لأنه أشر وأخبث ، قاله في الشرح

قوله (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا يا رسول الله : وما هن ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات »

فقوله (اجتنبوا) أبلغ في النهي من قوله : اتركوا لأنه يتضمن الترك والتباعد عنها

وقوله (السبع) لاينفي ما زاد لأنه مفهوم عدد ، ومفهوم العدد إذ خالفه منطوق قدم عليه وقد أخرج الطبراني واسمعيل القاضي عن ابن عباس أنه قيل له : الكبائر سبع ، قال : هن أكثر من سبع وسبع ، وفي رواية هي إلى السبعين أقرب وفي رواية إلى السبعمائة

وقوله (الموبقات) أي المهلكات ، وسميت موبقات لأنها تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات ، وفي الآخرة من العذاب

« الشِّرْكُ بالله ، والسِّحْرُ ، وقتلُ النفس التى حرَّمَ اللهُ إلا بالحقِّ ، وأكلُ الرِّبا ، وأكلُ مال اليتيم ، والتولِّى يومَ الزَّحْف ،

قوله (الشرك بالله) بداية من البداءة بالأهم ، وهو أن يجعل الله نداً يدعوه أو يرجوه أو يخافه كما يخاف الله عز وجل ، وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله : أى الذنب أعظم عند الله ؟ قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » الحديث ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى فى الكافية الشافعية :

والشرك فاحذره فشرك ظاهر ذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن أيا كان من حجر ومن إنسان
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ويحبه كمحبة الديان

قوله (والسحر) وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة

قوله (وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق) بأن تفعل ما يوجب قتلها . قال فى الشرح : كقتل المشرك المحارب . قلت : وهذه سبقة قلم من الشارح رحمه الله فان قتل المشرك ليس من قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق لأنه مباح الدم والمال وليست محاربته أيضا شرطا فى قتله وإنما المراد قتل المسلم المعصوم الدم لقوله ﷺ لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة

قوله (وأكل الربا) أى تناوله بأى وجه كما قال تعالى ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ﴾ الآيات . قال ابن دقيق العيد : وهوموجب لسوء الخاتمة

قوله (وأكل مال اليتيم) عبر بالأكل لأنه أعم وجوه الانتفاع ، قال تعالى ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ﴾

قوله (والتولى يوم الزحف) أى الإدبار عن الكفار وقت التحام القتال ، وإنما يكون كبيرة إذا فر إلى غير فئة أو غير متحرف لقتال ، كما قيد به فى قوله =

وَقَذْفُ المحصناتِ الغافلاتِ المؤمنات »

وعن جُنْدَبٍ مرفوعاً « حَدُّ الساحِرِ ضَرْبَةٌ بالسيف » ، رواه الترمذي وقال : الصحيح أنه موقوف[1]

=﴿ ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ﴾ الآية

قوله (وقذف المحصنات) بفتح الصاد المحفوظات من الزنا وبكسرها الحافظات فروجهن منه والمراد العفيفات بأن يرمين بزنا أو لواط ، والغافلات عما رمين به ، فهو كناية عن البريئات ، لأن الغافل برىء عما بهت به والمؤمنات أى بالله تعالى احترازا عن قذف الكافرات . قال الله تعالى ﴿ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ﴾ . وهذا الحديث ذكره المصنف غير معزو ، وقد رواه البخارى ومسلم . وفيـــه معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهى ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (وعن جندب مرفوعا « حد الساحر ضربه بالسيف » رواه الترمذى . وقال الصحيح أنه موقوف) هذا الحديث رواه الطبرانى فى ترجمة جندب ابن عبد الله البجلى ، قال الحافظ ابن حجر : والصواب أنه غيره وقد رواه ابن قانع والحسن بن سفيان من وجهين عن الحسن عن جندب الخير أنه جاء إلى ساحر فضربه بالسيف حتى مات ، وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره ، وجندب الخير هو جندب بن كعب

وقوله (ضربه) روى بالهاء وبالتاء وكلاهما صحيح ، وبهذا الحديث أخذ مالك وأحمد وأبو حنيفة فقالوا : يقتل الساحر ، وروى ذلك عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وجندب بن عبد الله وجندب بن كعب وقيس بن سعد وعمر ابن عبد العزيز ولم ير الشافعى القتل عليه بمجرد السحر إلا إن عمل فى سحره ما يبلغ الكفر ، وبه قال ابن المنذر وهو رواية عن أحمد والأول أولى للحديث ولأثر عمر ، وعمل به الناس فى خلافته من غير نكير

وفى صحيح البخارىّ عن بَجَالةَ بن عَبَدَةَ[١] قال : كتب عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه أنِ اقتُلوا كل ساحرٍ وساحرة . قال : فقَتَلْنَا ثلاثَ سَواحِر . وصحَّ عن حَفْصَةَ[٢] رضى الله عنها أنهـا أمرتْ بقتلِ جاريةٍ لهـا سَحَرتها ، فَقُتِلت وكذلك صحّ عن جندَب[٣] .
قال أحمد : عن ثلاثة من أصحاب النبى ﷺ[٤]

---

(١) قوله (وفى صحيح البخارى عن بجالة) بفتح الموحدة بعدها جيم (ابن عبدة) بفتحتين التميمى العنبرى بصرى ثقة (قال : كتب عمر بن الخطاب : أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ، قال فقتلنا ثلاث سواحر) وهذا الأثر رواه البخارى كما قال المصنف لكن لم يذكر قتل السواحر فلعل المصنف أراد أصله لا لفظه قاله فى الشرح . وفيه أن الساحر يكفر ووجود هذا فى المسلمين على عهد عمر فكيف بعده ، قاله المصنف رحمه الله تعالى . وظاهر هذا أنه يقتل من غير استتابة ، قال المصنف : يقتل ولا يستتاب ، وهو المشهور عن أحمد وبه قال مالك لأن علم السحر لا يزول بالتوبة ، وعن أحمد يستتاب فإن تاب قبلت توبته ، وبه قال الشافعى لأن ذنبه لا يزيد عن الشرك والمشرك يستتاب وتقبل توبته ، ولذا صح إيمان سحرة فرعون وتوبتهم

(٢) قوله (وصح عن حفصة أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت) هذا الأثر رواه مالك فى الموطأ . وحفصة هى أم المؤمنين بنت عمر بن الخطاب تزوجها النبي ﷺ بعد خنيس بن حذافة وماتت سنة خمس وأربعين رضى الله عنها

(٣) قوله (وكذا صح عن جندب) وأثر جندب هذا رواه البخارى فى تاريخه عن أبى عثمان النهدى قال كان عند الوليد رجل يلعب فذبح إنسانا وأبان رأسه فعجبنا فأعاد رأسه فجاء جندب الأزدى فقتله ، ورواه البيهقى فى الدلائل مطولا ، وفيه فأمر به الوليد فسجن فذكر القصة بتمامها ، ولها طرق كثيرة

(٤) قوله (قال أحمد عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ) أى صح قتل الساحر عن ثلاثة يعنى عمر وحفصة وجندب رضى الله عنهم

٢٥ – باب

بيان شيء من أنواع السحر(١)

قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر(٢) ، حدثنا عَوف ، عن حَيّان ابن العَلاء ، حدثنا قَطَنُ بن قَبِيصة ، عن أبيه ، أنه سمع رسولَ الله ﷺ قال « إنَّ العِيافةَ والطَّرْقَ والطِّيَرَةَ من الجِبْت(٣) » . قال عوف

---

(١) قوله (باب بيان شيء من أنواع السحر) لما ذكر المصنف السحر وما جاء فيه وأنه كفر وأنه يجب قتل الساحر ، ناسب أن يذكر شيئا من أنواعه لكثرة وقوعها وخفائها ، حتى اعتقد كثير من الناس أن من صدرت منه هذه الأمور من الأولياء وعدوها من كرامات الأولياء ، وليس كل من جرى على يده شيء من خوارق العادة يكون ولياً لله ، لأن العادة تنخرق بفعل الساحر والمشعوذ وخبر المنجم والكاهن بشيء من الغيب مما يخبره به الشياطين المسترقون للسمع ، فأولياء الله هم المتبعون للرسول ﷺ باطناً وظاهراً ومن كان بخلاف ذلك فليس بمؤمن فضلا عن أن يكون ولياً لله تعالى فلو أن الرجل طار فى الهواء أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه .

(٢) قوله (قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر) هو المشهور بغندر الهذلى البصرى ثقة مشهور مات سنة ست ومائتين أو سبع وأربعين ومائتين وله ست وثمانون سنة عن عوف ، هو ابن أبي جميلة بفتح الجيم ، العبدى البصرى المعروف بعوف الأعرابى ثقة مات سنة ست ومائتين (عن حيان) بالمثناة التحتية (ابن العلاء) ويقال حيان بن مخارق أبو العلاء البصرى مقبول حدثنا قطن بفتحتين أبو سهل البصرى صدوق ابن قبيصة عن أبيه قبيصة بفتح أوله وكسر الموحدة ابن المخارق بضم الميم وتخفيف المعجمة أبو عبد الله الهلالى صحابى نزل البصرة

(٣) قوله (إنه سمع النبى ﷺ قال : « إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت ») قال عوف : العيافة : زجر الطير ، وفى النهاية : زجر الطير والتفاؤل =

العِيافةُ : زجرُ الطير ، والطَّرْق : الخطُّ يُخَطُّ بالأرض ، والجِبْتُ[١] قال الحسن : رَنَّةُ الشيطان . إسناده جيد . ولأبى داود والنسائى وابن حِبّان فى صحيحه المسنَدُ منه[٢]

وعن ابن عباس رضى الله عنهما[٣] قال : قال رسول الله ﷺ

= بأسمائها وأصواتها وممرها . وهو من عادات العرب وهو كثير فى أشعارهم . يقال عاف يعيف عيفاً إذا زجر وحدس وظن . وبنو أسد يذكرون بالعيافة ويوصفون بها (والطرق) قال عوف (الخط يخط بالأرض) وفى النهاية الطرق الضرب بالحصى الذى يفعله النساء وقيل هو الخط فى الرمل .

(١) قوله (والجبت قال الحسن رنة الشيطان . إسناده جيد)

(٢) قوله(ولأبى داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه المسند منه) أى من الحديث دون تفسير عوف ، وقد رواه أبو داود فى التفسير دون كلام الحسن وذكر إبراهيم بن مفلح أن فى تفسير بقى بن مخلد أن إبليس رنَّ أربع رنات رنة حين لعن ، ورنة حين أهبط ، ورنة حين ولد رسول الله ﷺ ، ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب . وقال سعيد بن جبير : لما لعن إبليس تغيرت صورته عن صور الملائكة ، ورن رنة فكل رنة فى الدنيا منها إلى يوم القيامة ، رواه ابن أبى حاتم ، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما فتح رسول الله ﷺ مكة رن إبليس رنة اجتمعت اليه جنوده رواه الحافظ الضياء فى المختارة . والرنين الصوت وقد رن يرن رنينا ، وبهذا يظهر معنى قول الحسن رحمه الله تعالى . وفيه أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت ، ومعرفة تفسير العيافة والطرق والطيرة قاله المصنف

(٣) قوله (وعن ابن عباس رضى الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ « من اقتبس شعبة من النجوم) أى طائفة من علم النجوم ، قال فى النهاية : قبست العلم واقتبسته إذا علمته

« مَن اقْتَبَس شُعْبَةً من النُّجُوم فقد اقتبسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحر[١] ، زاد ما زاد[٢] » رواه أبو داود وإسناده صحيح .

وللنسائى[٣] من حديث أبى هريرة « مَن عَقَدَ عُقْدَةً ثم نَفَثَ فيها فقد سَحَر ، ومَن سَحَر فقـــــد أشرك[٤] » ،

---

(١) قوله (فقد اقتبس شعبة من السحر) المحرم تعلمه ، قال شيخ الإسلام فقد صرح رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر ، وقال تعالى ﴿ ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾

(٢) قوله (زاد ما زاد) رواه أبو داود وإسناده صحيح أى كلما زاد من تعلم علم النجوم زاد فى الإثم الحاصل بزيادة الاقتباس من شعبه ، فان ما يعتقده فى النجوم من التأثير باطل كما أن تأثير السحر باطل ، قاله فى فتح المجيد . وفيه أن علم النجوم من أنواع السحر ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٣) قوله (وللنسائى) وهو الإمام الحافظ أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن صاحب السنن وغيرها كان اليه المنتهى فى العلم بعلل الحديث مات سنة ثلاث وثلاثمائة وله ثمان وثمانون سنة رحمه الله تعالى (من حديث أبى هريرة رضى الله عنه « من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ») . اعلم أن السحرة إذا أرادوا عمل السحر عقدوا الخيوط ونفثوا فى كل عقدة حتى ينعقد ما يريدون من السحر ، قال الله تعالى ﴿ ومن شر النفاثات فى العقد ﴾ يعنى السواحر اللاتى يفعلن ذلك ، والنفث هو النفخ مع الريق وهو دون التفل ، والنفث فعل الساحر فاذا تكيفت نفسه بالخبث والشر الذى يريده بالمسحور ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة نفخ فى تلك العقدة نفخاً مع ريق ممازج فيخرج من نفسه الخبيث نفس ممازج للشر والأذى مقارن للريق الممازج لذلك وقد يتساعد هو والروح الشيطانية على أذى المسحور فيصيبه بإذن الله الكونى القدرى لا الشرعى ، قاله ابن القيم رحمه الله تعالى ، وفيه أن العقد مع النفث من أنواع السحر ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٤) قوله (ومن سحر فقد أشرك) نص فى أن الساحر مشرك ولا يتأتى السحر بدون الشرك كما حكاه الحافظ ابن حجر عن بعضهم

ومن تعلّق شيئاً وُكِلَ إليه[(١)] »

وعن ابن مسعود أنّ رسولَ الله ﷺ قال « أَلا هَل أُنبِّئُكُم ما العَضْهُ ؟ هى النميمة ، القالَةُ بين الناس » . رواه مسلم[(٢)]

---

(١) قوله (ومن تعلق شيئاً وكل إليه) أى من تعلق قلبه شيئاً بحيث يعتمد عليه وكله الله إلى ذلك الشىء ، فمن تعلق على ربه وإلاهه وسيده ومولاه كفاه ووقاه وحفظه وتولاه ، فنعم المولى ونعم النصير ، ومن تعلق على السحرة وشياطين وغيرهم من المخلوقين وكله الله إلى من تعلقه فهلك

(٢) قوله (وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ألا أنبئكم ما العضة : هى النميمة القالة بين الناس » . رواه مسلم) والعضة بفتح المهملة وسكون المعجمة ، قال أبو السعادات : هكذا يروى فى كتب الحديث والذى فى كتب الغريب « ألا أنبئكم ما العضة » بكسر العين وفتح الضاد ، ومنه الحديث « لعن الله العاضهة والمستعضهة » قيل هى الساحرة والمستسحرة ، وسمى السحر عضها لأنه كذب وتخييل لا حقيقة له ، قال الزمخشرى أصلها العضهة ، فعلة من العضة وهو البهت فحذفت لامه كما حذفت من السنة والشفه ويجمع على عضين ثم فسره بقوله هى النميمة القالة بين الناس فأطلق عليها العضة لأنها لا تنفك عن الكذب والبهتان غالباً ، ذكره القرطبى ، وذكر ابن عبد البر عن يحيى بن أبى كثير قال : يفسد النمام والكذاب فى ساعة ما لا يفسد الساحر فى سنة . وقال أبو الخطاب فى عيون المسائل : ومن السحر السعى بالنميمة والإفساد بين الناس. قال فى الفروع ووجهه أن يقصد الأذى بكلامه وعمله على وجه المكر والحيلة أشبه السحر ، وهذا يعرف بالعرف والعادة أنه يؤثر وينتج ما يعمله الساحر أو أكثر فيعطى حكمه تسوية بين المتماثلين أو المتقاربين . لكن يقال : إن الساحر إنما يكفر لوصف السحر وهو أمر خاص ودليله خاص وهذا ليس بساحر وإنما يؤثر عمله ما يؤثره السحر فيعطى حكمه إلا فيما اختص به من الكفر وعدم قبول التوبة ، انتهى ملخصاً . وبه يظهر مطابقة الحديث للترجمة قاله فى =

ولهما عن ابن عمرَ رضىَ الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: « إنَّ مِنَ البيَانِ لَسِحْراً »(١)

= الشرح . وقال أبو محمد بن حزم : اتفقوا على تحريم الغيبة والنميمة فى غير النصيحة الواجبة ، وفيه دليل على أنها من الكبائر ، وفيه دليل على أنها من السحر . قاله المصنف رحمه الله تعالى

وقوله (القالة بين الناس) قال ابن الأثير : أى كثرة القول ، وإيقاع الخصومات بين الناس بما يحكى لبعضهم عن بعض ، ومنه الحديث « فشت القالة بين الناس »

(١) قوله (ولهما) - أى البخارى ومسلم - عن ابن عمر رضى الله عنهما (أن رسول الله ﷺ قال « إن من البيان لسحراً ») البيان : البلاغة والفصاحة . قال صعصعة بن صوحان : صدق نبى الله ، فإن الرجل يكون عليه الحق ، وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق ، فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق . وسبب قول النبى ﷺ هذا ما رواه أبو بكر الرازى عن محمد بن الزبير قال : قدم على النبى ﷺ الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم فقال لعمرو « أخبرنى عن الزبرقان ؟ » قال فقال : مطاع فى ناديه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره ، فقال الزبرقان هو والله يعلم أنى أفضل منه « فقال عمرو : إنه ذمر المروءة ضيق العطن حمق الأب لئيم الخال ، يارسول الله صدقت فيهما ، أرضانى ، فقلت أحسن ما علمت ، وأسخطنى فقلت أسوأ ما علمت ، فقال عليه السلام « إن من البيان لسحراً » انتهى . قال ابن عبد البر تأوله طائفة على الذم لأن السحر مذموم ، وذكر أهل العلم وجماعة أهل الأدب أنه على المدح لأن الله تعالى مدح البيان والأول أصح والمراد بالبيان الذى فيه تمويه على السامع وتلبيس وهذا من التشبيه البليغ لكون ذلك يعمل عمل السحر فيجعل الحق فى قالب الباطل ، والباطل فى قالب الحق وفى الحديث « إن الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه كما تخلل البقرة بلسانها » ، رواه أحمد وأبو داود . قال فى النهاية : هو الذى يتشدق فى الكلام ويفخم به لسانه ويلفه كما تلف البقرة الكلأ بلسانها =

٣٦ - باب

ما جاء فى الكهان ونحوهم [١]

روى مسلم فى صحيحه عن بعض أزواج النبى ﷺ [٢] عن النبى ﷺ قال « مَنْ أتى عرّافاً [٣] فسأله عن شى فصدّقه ، لم تُقبَل له صلاةٌ أربعين يوماً [٤] »

= لفاً ، انتهى . وأما البيان الذى يوضح الحق ويقرره ويبطل الباطل ويبينه فهذا هو الممدوح . وفيه أن بعض الفصاحة من السحر .

(١) قوله (باب ما جاء فى الكهان ونحوهم) قال فى النهاية : الكاهن الذى يتعاطى الخبر عن الكائنات فى مستقبل الزمان ويدعى معرفة الأسرار فمنهم من كان يزعم أن له تابعا من الجن ورئيا يلقى إليه الأخبار ، ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله وهذا يخصونه بالعراف كالذى يدعى معرفة الشىء المسروق ومكان الضالة ونحوهما ، والكهان الذين يأخذون عن مسترق السمع موجودون اليوم لكنهم قليل بالنسبة لما كانوا عليه فى الجاهلية لأن الله حرس السماء بالشهب ، قاله فى الشرح . وأكثر ما يقع فى هذه الامة ما يخبر به الجن أولياءهم من الإنس عن الأشياء الغائبة مما يقع فى الأرض من الأخبار فيظنه الجاهل كشفا وكرامة وقد أفتى بذلك كثير من الناس يظنون المخبر لهم بذلك عن الجن ولياً لله وهو من أولياء الشيطان قاله فى فتح المجيد

(٢) قوله (روى مسلم فى صحيحه عن بعض أزواج النبى ﷺ) وهى حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ذكره أبو مسعود الثقفى لأنه ذكر هذا الحديث فى الأطراف فى مسندها

(٣) قوله (عن النبى ﷺ أنه قال « من أتى عرافا ») وسيأتى بيان العراف

(٤) قوله (فسأله عن شىء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما) قال فى =

وعن أبي هريرةَ عن النبي ﷺ قال « مَنْ أَتى كاهناً فصدَّقه بما يقولُ فقد كفرَ بما أُنزِلَ على محمد » ﷺ رواه أبو داود (١)

= الشرح ليس فى رواية مسلم « فصدقه » وظاهر الحديث أن الوعيد مرتب على بجيئه وسؤاله سواء صدقه أو شك فى خبره فإن فى بعض روايات الصحيح « من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » . قال النووى وغيره معناه : لا ثواب له فيها وإن كانت مجزئة بسقوط الفرض عنه ، ولا بد من هذا التأويل فى هذا الحديث ، فإن العلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى العراف إعادة صلاة أربعين ليلة . انتهى ملخصا ، قلت وفى هذا التأويل الذى ذكره نظر ، لحديث عائشة عن النبي ﷺ أنه قال « لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار » رواه أبو داود . والأصل فى نفى القبول نفى الصحة إلا بدليل ، وإذا لم تكن صحيحة لم تكن مجزئة . وفى الحديث النهى عن إتيان الكهان ونحوهم . قال القرطبى : يجب على من قدر على ذلك من محتسب وغيره أن يقيم من يتعاطى شيئا من ذلك من الأسواق وينكر عليهم أشد النكير ، وعلى من يجيء إليهم ولا يغتر بصدقهم فى بعض الأمور ولا بكثرة من يجيء إليهم ممن ينتسب إلى العلم فإنهم غير راسخين فى العلم بل من الجهال بما فى إتيانهم من المحذور

(١) قوله (وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » رواه أبو داود) . وهذا الحديث اختصره المصنف واقتصر منه على ما يناسب الترجمة . قال فى الشرح رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه بنحوه ، وقال الترمذى لا نعرفه إلا من حديث حكيم الأثرم ، وضعف محمد هذا الحديث من جهة إسناده ، وقال البغوى سنده ضعيف ، وقال الذهبى ليس إسناده بالقائم . وأطال أبو الفتح اليعمرى فى بيان ضعفه وادعى أن متنه منكر وأخطأ فى ذلك فإن إتيان الكاهن له شواهد صحيحة ، وكذا إتيان المرأة فى الدبر له شواهد ، وغاية ما ينكر من متنه إتيان الحائض ، والله أعلم

وللأربعة والحاكم وقال : صحيح على شرطهما عن [أبى هريرة] « مَنْ أتىٰ عرّافاً أو كاهناً فصدَّقهُ بما يقولُ فقد كفرَ بمــا أُنزِلَ على محمد » ﷺ (١)

ولأبى يَعلىٰ (٢) بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً (٣)

---

(١) قوله (وللأربعة والحاكم ، وقال صحيح على شرطهما عن من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بمـــا يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) ﷺ هكذا بيض المصنف لاسم الراوى ، وقد رواه الإمام أحمد والبيهقى والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا ، فعزو المصنف إلى الأربعة ليس كذلك فإن لم يروه أحد منهم وأظنه تبع فى ذلك الحافظ ابن حجر فإنه عزاه فى الفتح إلى أصحاب السنن والحاكم فوهم ، ولعله أراد الذى قبله قاله فى الشرح

وقوله (من أتى كاهنا) لا تعارض بين هـذا وبين حديث « من أتى عرافا فسأله عن شىء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » هـذا على قول من يقول هو كفر دون كفر ، أما على قول من يقول بظاهر الحديث فيسأل عن وجه الجمع بين الحديثين . وظاهر الحديث أنه يكفر متى اعتقد صدقه بأى وجه كان ، قاله فى فتح المجيد . قال فى الشرح الذى فيه الوعيد بعدم قبول الصلاة أربعين ليلة ليس فيه ذكر تصديقه والأحاديث التى فيها إطلاق الكفر مقيدة بتصديقه

وقوله (فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ . قال القرطبى . المراد بالمنزَّل على محمد الكتاب والسنة . انتهى ، وفيه أنه لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن والتصريح بأنه كفر قاله المصنف رحمه الله ، وهل الكفر فى هذا الموضع كفر دون كفر ؟ أو يجب التوقف ولا يقال ينقل عن الملة أو لا ينقل عن الملة ، وهذا أشهر الروايتين عن أحمد رحمه الله تعالى

(٢) قوله (ولأبى يعلىٰ) وهو أحمد بن على بن المثنى الموصلى الإمام صاحب التصانيف كالمسند وغيره ، روى عن يحى بن معين وأبى خيثمة وأبى بكر بن أبى شيبة وخلق ، وكان من الأئمة الحفاظ مات سنة سبع وثلاثمائة

(٣) قوله (بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا) ورواه أيضا البزار =

وعن عِمران بن حُصَين مرفوعاً[١] « ليسَ منّا مَن تَطيَّرَ أو تُطيِّر له ، أو تَـكهَّنَ أو تُـكُهِّنَ له ، أو سَحَرَ أو سُحِرَ له ، ومَن أتى كاهناً فصدَّقه بما يقول كفرَ بما أُنزِل على محمد » ﷺ[٢] رواه البزّار بإسناد جيد[٣] ، ورواه الطَّبَرَانىُّ فى الأوسط بإسناد حسن من

= وإسناده على شرط مسلم ولفظه « من أتى كاهنا أو ساحرا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ . وفيه دليل على كفر الكاهن والساحر والمصدق لهما فى ذلك ، لأنهما يدعيان لهما علم الغيب وذلك كفر ، والمصدق لهما يعتقد ذلك ويرضى به وذلك كفر أيضا ، قاله فى الشرح

(١) قوله (وعن عمران بن حصين مرفوعا) إلى النبى ﷺ « ليس منا من تطير أو تطير له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو سحر أو سحر له » فيه دليل على نفى الإيمان الواجب ، وهـذا لا ينافى ما تقدم من أن الطيرة شرك والكهانة كفر قاله فى قرة العيون . وفيه وعيد شديد على أن هـذه الأمور من الكبائر ، وتقدم أن الكهانة والسحر كفر .

قوله (من تطير) أى فعل الطيرة ـ (أو تطير له) ـ أى عملت له الطيرة ـ (أو تكهن) ـ أى عمل الكهانة ـ (أو تكهن له) ـ أى عملت له الكهانة ـ أو سحر) ـ أى عمل السحر ـ (أو سحر له) ـ أى عمل له السحر ـ فكل من فعل هذه الأمور أو عملت له ، فقد برئ منه رسول الله ﷺ لكونهما إما شركا كالطيرة أو كفراً كالكهانة والسحر ، فمن فعل ذلك أو فعل له ورضى به فهو كالفاعل لقبوله الباطل واتباعه ، قاله فى فتح المجيد

(٢) قوله (ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ) والذى أنزل على محمد هو الكتاب والسنة

(٣) قوله (رواه البزار بإسناد جيد) والبزار هو أحمد بن عمر بن عبدالخالق أبو بكر البزار البصرى صاحب المسند الكبير . روى عن ابن بشار وابن المثنى وخلق ، مات سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، ورواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله « ومن أتى » الخ قاله فى الشرح

حديث ابن عباس دون قوله « ومَنْ أتى » إلى آخره

قال البَغَوى[(١)] : العَرَّافُ : الذى يَدَّعى معرفة الأمور بمقدماتٍ يُستدلُّ بها على المسروقِ ومكان الضَّالَّةِ[(٢)] ونحو ذلك . وقيل : هو الكاهن . والكاهن : هو الذى يخبر عن المغيّبات فى المستقبل . وقيل : الذى يخبرُ عمّا فى الضمير . وقال أبو العباس بن تيمية

---

(١) قوله (قال البغوى) بفتحتين وهو الحسين بن مسعود الفراء الشافعى صاحب التصانيف وعالم أهل خراسان ، كان ثقة فقيهاً زاهداً ، مات فى شوال سنة ست عشرة وخمسمائة رحمه الله تعالى

(٢) قوله (العراف الذى يدعى معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك . وقيل : هو الكاهن ، والكاهن الذى يخبر عن المغيبات فى المستقبل . وقيل : الذى يخبر عما فى الضمير . وقال أبو العباس أحمد) ابن عبد الحليم بن عبد السلام (ابن تيمية) الإمام المشهور رحمه الله ورضى عنه . (العراف : اسم الكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم فى معرفة الأمور بهذه الطرق) كالحازى الذى يدعى الكشف . وقال أيضاً : والمنجم يدخل فى اسم العراف ، وعند بعضهم هو معناه ، ويدخل فى اسم الكاهن عند الخطابى وغيره من العلماء وحكى ذلك عن العرب ، وعند آخرين هو من جنس الكاهن وأسوأ حالا منه فيلحق به من جهة المعنى ، وقال الإمام أحمد : العرافة طرف من السحر والساحر أخبث وكل هذه الأمور يسمى صاحبها كاهناً وعرافاً أو فى معناهما ، فمن أتاهم فصدقهم بما يقولون لحقه الوعيد ، وفيه معرفة الفرق بين الكاهن والعراف . قاله المصنف رحمه الله ، وقد ورث هذه العلوم عنهم أقوام فادعوا بها علم الغيب الذى استأثر الله بعلمه وادعوا أنهم أولياء وأن ذلك كرامة ، ولا ريب أن من ادعى الولاية واستدل بإخباره ببعض المغيبات فهو من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن . إذ الكرامة أمر يجريه الله على يد عبده المؤمن التقى إما بدعاء أو أعمال صالحة لا صنع للولى فيها ولا قدرة له عليها =

العرّافُ اسمٌ للكاهن والمنجّم والرّمّال ونحوهم ، ممن يتكلمُ في معرفة الأمور بهذه الطرق . وقال ابن عباس في قوم يكتبون « أبا جاد »(١) وينظرون في النجوم ما أَرَى مَن فعَل ذلك له عندَ الله من خَلاق

= بخلاف من يدعى أنه ولى ويقول للناس اعلموا أنى أعلم الغيب ، وحسبك بحال الصحابة والتابعين رضى الله عنهم وهم سادات الأولياء ، أفكان عندهم فى هذه الدعاوى شىء ؟ حاشا وكلا ، ويكفيك فى صفات الأولياء ما ذكره الله عنهم فى قوله تعالى ﴿ إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون ﴾ وغيرها من الآيات ، فالمتصفون بتلك الصفات هم الأولياء الأصفياء لا أهل الدعوى والكذب ومنازعة رب العالمين فيما اختص به من الكبرياء والعظمة وعلم الغيب بل مجرد دعوى علم الغيب كفر فكيف يكون المدعى لذلك ولياً لله

(١) قوله (وقال ابن عباس فى قوم يكتبون أبا جاد وينظرون فى النجوم ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق) هذا الأثر رواه الطبرانىّ عن ابن عباس مرفوعاً وإسناده ضعيف ولفظه : « رب متعلم حروف أبى جاد دارس فى النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيامة » ورواه حميد بن زنجويه عنه بلفظ « رب ناظر فى النجوم ومتعلم حروف أبى جاد وليس له عند الله خلاق » .

وقوله (ما أرى) يجوز بفتح الهمزة بمعنى لا أعلم ويجوز ضمها بمعنى لا أظن وكتابة أبى جاد وتعلمها لمن يدعى بها علم الغيب هو الذى يسمى علم الحرف وهو الذى جاء فيه الوعيد ، فأما تعلمها للتهجى وحساب الجمل فلا بأس به

وقوله (وينظرون فى النجوم ويعتقدون أن لها تأثيراً كما سيأتى فى باب التنجيم . وفيه ذكر من تكهن له ، وذكر من تطير له ، وذكر من سحر له ، وذكر من تعلم أبا جاد ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

٢٧ - باب
ما جاء فى النُّشْرَة[١]

عن جابر[٢] أنَّ رسولَ الله ﷺ سُئِلَ عن النُّشْرَة ، فقال : « هِيَ مِن عمل الشيطان » رواه أحمد بسند جيد ، وأبو داود وقال : سُئِلَ أحمدُ عنها فقال : ابنُ مسعود يكره هذا كله

وفى البخاريّ عن قتادةَ[٣] : قلتُ لابن المُسيَّب[٤] :

---

(١) قوله (باب ما جاء فى النشرة) النشرة بضم النون كما فى القاموس ، قال فى النهاية : النشرة ضرب من العلاج والرقية يعالج به من يظن أن به مساً من الجن ، سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء ، أى يكشف ويزال . قال الحسن : النشرة من السحر وقد نشرت عنه تنشيراً ، ومنه الحديث « لعل طباً أصابه ، ثم نشره بقل أعوذ برب الناس أى رقاه انتهى ، وقال ابن الجوزى : النشرة حل السحر عن المسحور ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر

(٢) قوله (عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة فقال « هى من عمل الشيطان » رواه أحمد بسند جيد وأبو داود) .

قوله (سئل عن النشرة) والألف واللام فى النشرة للعهد أى النشرة المعهودة التى كان أهل الجاهلية يصنعونها هى من عمل الشيطان ، (وقال أبو داود : سئل أحمد عنها فقال ابن مسعود يكره هذا كله) أراد أحمد أن ابن مسعود يكره النشرة التى هى من عمل الشيطان كما يكره تعليق التمائم مطلقاً قاله فى فتح المجيد . قلت : والكراهة فى عرف السلف كراهة التحريم . أما النشرة بالتعويذ والرقى بأسماء الله وكلامه من غير تعليق فلا أعلم أحداً كرهه ، قاله فى الشرح

(٣) قوله (وللبخارى عن قتادة) وهو ابن دعامة بكسر الدال السدوسى ثقة فقيه من أحفظ التابعين ، قالوا إنه ولد أكمه ، مات سنة بضع عشرة ومائة

(٤) قوله (قلت لابن المسيب) وهو سعيد بن المسيب

رجلٌ به طِبٌّ[١] أو يُؤَخَّذُ[٢] عن امرأته ، أَيُحَلُّ عنه[٣] أو يُنَشَّرُ[٤] ؟ قال : لا بأسَ به إنما يريدون به الإصلاحَ ، فأما ما يَنفعُ فلم يُنْهَ عنه انتهى .

ورُوى عن الحسن[٥] أنه قال : لا يَحُلُّ السِّحْرَ إلا ساحر .

قال ابنُ القيم[٦] : النُّشْرَة حَلُّ السحرِ عن المسحور ، وهى نوعان :

---

(١) قوله (رجل به طب) بكسر الطاء أى سحر ، يقال : طب الرجل بالضم إذا سحر ، ويقال كنوا عن السحر بالطب تفاؤلا كما يقال للديغ سليم ، وقال ابن الأنبارى : الطب من الأضداد ، يقال لعلاج الداء طب والسحر من الداء يقال له طب

(٢) قوله (أَوْ يُؤَخَّذُ) بفتح الواو مهموزة وتشديد الخاء المعجمة وبعدها ذال معجمة أى يحبس عن امرأته فلا يصل إلى جماعها ، والأخذة بضم الهمزة الكلام الذى يقوله الساحر

(٣) قوله (أيحل عنه) بضم الياء وفتح الحاء مبنى للمفعول

(٤) قوله (أو ينشر) بتشديد المعجمة (قال لا بأس به) يعنى أن النشرة لا بأس بها (لأنهم يريدون بها الإصلاح) أى إزالة السحر ولم ينه عما يراد به الإصلاح ، وهذا من ابن المسيب يحمل على نوع من النشرة لا يعلم أنه سحر

(٥) قوله (وروى عن الحسن) وهو ابن أبى الحسن واسمه يسار بالتحتية والمهملة البصرى الأنصارى مولاهم ثقة فقيه إمام من خيار التابعين ، مات سنة عشر ومائة رحمه الله وقد قارب التسعين (أنه لا يحل السحر إلا ساحر) هذا الأثر رواه ابن الجوزى فى جامع المسانيد

(٦) قوله (قال ابن القيم) رحمه الله تعالى (النشرة حل السحر عن المسحور ، وهى نوعان : حل بسحر مثله وهو الذى من عمل الشيطان وعليه يحمل قول الحسن فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور . =

حَلٌّ بسحر مثلهِ ، وهو الذى من عملِ الشيطان ، وعليه يُحْمَلُ قولُ الحسن ؛ فيتقرّبُ الناشرُ والمنتشِرُ إلى الشيطان بما يحبّ ، فَيبطُلُ عملهُ عن المسحور . والثانى : النُّشْرةُ بالرُّقْيَةِ والتعوُّذات والأدوية والدَّعَواتِ المباحةِ ، فهذا جائز

٢٨ - باب

ما جاء فى التطيُّر (١)

= والثانى : النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز) . ومما جاء فى صفة النشرة الجائزة ما رواه ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ليث بن أبى سليم قال : بلغنى أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تقرأ فى إناء ثم يصب على رأس المسحور الآية التى فى سورة يونس ﴿ فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ﴾ وقوله فى سورة الأعراف ﴿ وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ﴾ ، وقوله فى سورة طه ﴿ وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا ، إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾ . وفى كتاب وهب بن منبه أنه يؤخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدق بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسى والقواقل ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به يذهب عنه كل ما به وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله . وفيه النهى عن النشرة ، والفرق بين المنهى عنه والمرخص فيه مما يزيل الإشكال . قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (باب ما جاء فى التطير) أى من النهى عنه والوعيد فيه . التطير مصدر تطير يتطير تطيراً ، والطيرة بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن اسم مصدر من تطير طيرة كما يقال تخير خيرة ولم يجىء فى المصادر على هذه الزنة =

وقول الله تعالى ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ[1] وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وقوله ﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ الآية[2]

= غيرها ، وأصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما ، وهو الشيء المكروه من قول أو فعل أو مرئى قاله النووى ، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشارع وأبطله وأخبر أنه لا تأثير له فى جلب نفع ولا دفع ضر قال المدائنى سألت رؤبة بن العجاج . قلت : ما السانح ؟ قال : ما ولاك ميامنه ، قلت : فما البارح ؟ قال : ما ولاك مياسره ، والذى يجىء من أمامك فهو الناطح والنطيح والذى يجىء من خلفك فهو القاعد والقعيد . ولما كانت الطيرة من الشرك المنافى لكمال التوحيد الواجب لكونها من إلقاء الشيطان ووسوسته وتخويفه ذكرها المصنف رحمه الله تعالى فى كتاب التوحيد تحذيراً منها

(١) قوله (وقول الله تعالى : ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾) ذكر تعالى هذه الآية فى سياق قوله عن آل فرعون ﴿ فإذا جاءتهم الحسنة ﴾ أى الخصب والسعة والعافية كما فسره مجاهد وغيره . ﴿ قالوا لنا هذه ﴾ أى نحن الجديرون والحقيقون بها ونحن أهلها ﴿ وإن تصبهم سيئة ﴾ أى بلاء وقحط ﴿ يطيروا بموسى ومن معه ﴾ فيقولون هذا بسبب موسى وأصحابه أصابنا شؤمهم فقال تعالى ﴿ ألا إنما طائرهم عند الله ﴾ قال ابن عباس طائرهم ما قضى عليهم وقدر لهم ، وفى رواية : شؤمهم عند الله ومن قبله ، أى إنما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله ولكن أكثرهم لا يعلمون أى إن أكثرهم جهال لا يدرون ، ولو فهموا وعقلوا لعلموا أنه ليس فيما جاء به موسى عليه السلام إلا الخير والبركة والسعادة والفلاح لمن آمن به واتبعه

(٢) وقوله تعالى (قالوا طائركم معكم) هذا خبر من الله تعالى عن المرسلين وما أجابوا به أصحاب القرية فى قولهم ﴿ إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم ﴾ والمعنى والله أعلم : حظكم وما نابكم من شر معكم بسبب كفركم ومخالفتكم الناصحين ليس هو من أجلنا ولا بسببنا بل ببغيكم وعدوانكم وذلك بقضاء الله وقدره وحكمته وعدله . ويحتمل أن يكون المعنى طائركم معكم أى راجع عليكم ، فالتطير الذى حصل لكم إنما يعود عليكم ، =

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال « لا عَـــدْوَى ، ولا طِـــيَرَةَ ، ولا هَامَةَ ، ولا صَفَرَ » أخرجاه(١)

=﴿ أإن ذكرتم ﴾ أى من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله قابلتمونا بهذا الكلام ﴿ بل أنتم قوم مسرفون ﴾ قال قتادة : إن ذكرناكم تطيرتم بنا . ومناسبة الآيتين للترجمة أن التطير من عمل أهل الجاهلية والمشركين وقد ذمهم الله تعالى به ومقتهم ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن التطير وأخبر أنه شرك كما سيأتى فى أحاديث الباب ، قاله فى فتح المجيد . وفيه : التنبيه على قوله ألا إنما طائرهم عند الله مع قوله طائركم معكم ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » أخرجاه) ، زاد مسلم « ولا نوء ولا غول » قال أبو السعادات : العدوى اسم من الأعداء كالدعوى يقال : أعداه الداء يعديه إعداء إذا أصابه مثل ما بصاحب الداء ، وقال غيره : من عدوى هو اسم من الإعداء وهو مجاوزة العلة من صاحبها إلى غيره والمنفى نفس سراية العلة أو إضافتها أى السراية إلى العلة والأول هو الظاهر قاله فى فتح المجيد ، وفيما قاله نظر فإن المنفى إضافة السراية إلى العلة على ما يعتقده أهل الجاهلية لا نفس سراية العلة وفى رواية لمسلم أن أبا هريرة كان يحدث بحديث « لا عدوى » ويحدث عن النبى ﷺ أنه قال « لا يورد ممرض على مصح » وأمسك عن حديث « لا عدوى » فراجعوه ، وقالوا سمعناك تحدث به فأبى أن يعترف به ، وقد روى حديث « لا عدوى » جماعة من الصحابة أنس بن مالك وجابر بن عبد الله والسائب بن يزيد وابن عمر وغيرهم وفى بعض روايات هذا الحديث « وفر من المجذوم كما تفر من الأسد » وقد اختلف العلماء فى ذلك وأحسن ما قيل فيه أن قوله : لا عدوى ، على الوجه الذى يعتقده أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى وأن هذه الأمور تعدى بطبعها وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شىء من الأمراض سبباً لحدوث ذلك المرض ، ولهذا قال « فر من المجذوم كما تفر من الأسد » وقال لا يورد ممرض على مصح ، وقال فى الطاعون « إذا سمعتم به فى أرض فلا تقدموا عليه » وكل ذلك بتقدير الله تعالى . ولأحمد والترمذى عن=

= ابن مسعود مرفوعاً « لا يعدى شىء » قالها ثلاثاً ، فقال أعرابى : يا رسول الله إن النقبة من الجرب تكون بمشفر البعير أو بذنبه فى الإبل العظيمة فتجرب كلها فقال رسول الله ﷺ « فمن أجرب الأول لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر خلق الله كل نفس وكتب حياتها ومصائبها ورزقها ، فأخبر ﷺ أن ذلك كله بقضاء الله وقدره . والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر الظاهرة إذا كان فى عافية منها كما أنه يؤمر أن لا يلقى نفسه فى الماء وفى النار مما جرت العادة أنه يهلك أو يضر فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم والقدوم على بلد الطاعون فإن هذه كلها أسباب للمرض والتلف والله سبحانه وتعالى خالق الأسباب ومسبباتها لا خالق غيره ولا مقدر سواه . وأما ما خفى منها فلا يشرع اتقاؤه واجتنابه بل ذلك من الطيرة المحرمة فإنها سوء ظن بالله بغير سبب محقق ، وأما إذا قوى التوكل على الله والإيمان بقضائه وقدره فقويت النفس على مباشرة بعض هذه الأسباب اعتماداً على الله ورجاء منه أن لا يحصل به ضرر ففى هذه الحال تجوز مباشرة ذلك وعلى هذا يحمل الحديث الذى رواه أبو داود والترمذى أن النبى ﷺ أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه فى القصعة ثم قال « كل باسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه » وقد أخذ به الإمام أحمد وروى ذلك عن عمر وابنه وسلمان رضى الله عنهم

قوله (ولا طيرة) قال ابن القيم يحتمل أن يكون نفيا أو نهيا أى لا تطيروا) والنفى فى هذا أبلغ من النهى لأن النفى يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره والنهى إنما يدل على المنع منه وقد جاءت أحاديث ظن بعض الناس أنها تدل على جواز الطيرة كقوله ﷺ « الشؤم فى ثلاث : فى المرأة والدابة والدار » ونحو هذا قال ابن القيم رحمه الله إخباره ﷺ بالشؤم فى هذه الثلاث ليس فيه إثبات الطيرة التى نفاها الله سبحانه وإنما غايته أن الله سبحانه يخلق منها أعيانا مشؤومة على من قاربها وساكنها ، وأعيانا مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر ، وهذا كما يعطى سبحانه الوالدين ولدا مباركا يريان الخير على وجهه ، ويعطى غيرهما ولدا مشؤوما يريان الشر على وجهه فكذلك الدار والمرأة والفرس ، والله سبحانه خالق الخير والشر والسعود والنحوس لا خالق غيره ولا مقدر سواه .

قوله (ولا هامة) بتخفيف الميم على الصحيح قال الفراء الهامة طير من طير =

زاد مسلم « ولا نَوْء ، ولا غُول

=الليل كأنه يعنى البومة قال ابن الأعرابى كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم يقول نعت إلىّ نفسى أو أحدا من أهل دارى فجاء الحديث بنفى ذلك وإبطاله

قوله (ولا صفر) بفتح الفاء ، روى أبو عبيد فى غريب الحديث عن رؤبة أنه قال هى حية تكون فى البطن تصيب الماشية والناس وهى أعدى من الجرب عند العرب . وممن قال بهذا سفيان بن عيينة والإمام أحمد والبخارى وابن جرير وقال آخرون : المراد به شهر صفر ، والنفى لما كان أهل الجاهلية يفعلونه فى النسىء وكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه وهو قول مالك . وروى أبو داود عن محمد بن راشد عن من سمعه يقول : إن أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر ويقولون إنه شهر مشؤوم فأبطل النبى ﷺ ذلك . قال ابن رجب : ولعل هذا أشبه الأقوال ، وفيه نفى العدوى والطيرة ونفى الهامة والصفر قاله المصنف رحمه الله تعالى ، ومازالت هذه العادات السيئة سارية فى الناس مثل التشاؤم بصفر وربما نهوا عن السفر فيه ، وحتى إن منهم من لا يكاد يذكر صفر إلا ويضيف اليه لفظة الخير نظراً لما قام بقلوبهم من هذه الأمور ، ومثل تشاؤمهم بشوال فى النكاح خاصة لما قيل من أن طاعوناً وقع فيه مات منه كثير من العرائس فتشاءموا به ، وقد صح عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت تزوجنى رسول الله ﷺ فى شوال وبنى بى فى شوال ، فأى نسائه كان أحظى عنده منى وكانت تستحب أن يدخل على نسائها فى شوال وتزوج النبى ﷺ أم سلمة فى شوال أيضا ، وهذا منه ﷺ مخالفة لما عليه أهل الجاهلية

قوله (زاد مسلم : ولا نوء) والنوء واحد الأنواء وهى منازل القمر وسيأتى الكلام عليه فى باب الاستسقاء بالأنواء

قوله (ولا غول) هو بالضم اسم وجمعه أغوال وغيلان ، قال أبو السعادات الغول واحد الغيلان وهو جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أن فى الفلاة تتراءى للناس تتلون تلونا فى صور شتى وتغولهم أى تضلهم عن الطريق وتهلكهم فنفاه النبى ﷺ وأبطله . فان قيل ما معنى النفى وقد قال النبى ﷺ إذا=

ولهما عن أنس(١) قال: قال رسولُ الله ﷺ: « لا عَدْوَى ولا طِيَرَةَ ، ويعجبنى الفألُ » قالوا: وما الفألُ؟ قال « الكلمةُ الطيبة »

= تغولت الغيلان فبادروا بالاذان ، أجيب عنه بأن ذلك كان فى الابتداء ثم دفعها الله عن عباده ، أو يقال المنفى ليس وجود الغول بل ما يزعمه العرب من تصرفه فى نفسه ، أو يكون المعنى بقوله : لا غول ، أنها لا تستطيع أن تضل أحدا مع ذكر الله والتوكل عليه ويشهد له الحديث : لا غول ولكن السعالى سحرة الجن ، أى ولكن فى الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل ومنه الحديث « إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان » أى ادفعوا شرها بذكر الله وهذا يدل على أنه لم يرد بنفيها عدمها ، ومنه حديث أبى أيوب « كان لى تمر فى سهوة فكانت الغول تجىء فتأخذ »

(١) قوله (ولهما) أى البخارى ومسلم (عن أنس بن مالك رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ « لاعدوى ولا طيرة » وتقدم الكلام على العدوى والطيرة أول الباب

قوله (ويعجبنى الفأل) قالوا وما الفأل قال الكلمة الطيبة قال أبو السعادات الفأل مهموز فيما يسر ويسوء ، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء وربما استعملت فيما يسر يقال تفاءلت بكذا وتفاولت على التحقيق والقلب وقد أولع الناس بترك الهمزة تخفيفا قال الحليمى : وإنما كان يعجبه الفأل لأن التشاؤم سوء ظن بالله بغير سبب محقق ، والتفاؤل حسن ظن بالله ، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله على كل حال، وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : ليس فى الإعجاب بالفأل ومحبته شىء من الشرك بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة والفطرة الإنسانية التى تميل إلى ما يوافقها ويلائمها والله سبحانه قد جعل فى غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبته وميل نفوسهم اليه ، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك فإذا قرعت هذه الأسماء الاسماع استبشرت بها النفوس وانشرح لها الصدر وقوى بها القلب وإذا سمعت أضدادها أوجب لها ضد هذه الحالة فأحزنها ذلك وأثار لها خوفا وطيرة وانكماشاً وانقباضاً عما قصدت له وعزمت عليه فأورث لها ضرراً فى الدنيا ونقصا فى الإيمان ومقارفة للشرك

ولأبى داود بسند صحيح عن عُقبة بن عامر[١] ، قال : ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عند رسول الله ﷺ فقال « أحْسَنُها الفألُ ، ولا تَرُدُّ مُسْلِمًا[٢] ، فإذا رَأى أحدُكم ما يَكْرَهُ فليقلْ اللهمَّ لا يأتى بالحسناتِ إلا أنتَ ، ولا يَدفعُ السيِّئاتِ إلا أنت[٣] ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بك[٤] »

---

(١) قوله (ولأبى داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر) هكذا وقع فى نسخ التوحيد وصوابه عروة بن عامر كذا أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما وهو مكى اختلف فى نسبه فقال أحمد عروة بن عامر القرشى وقال غيره الجهنى واختلف فى صحبته أيضا فقال الماوردى له صحبة وذكره ابن حبان فى ثقات التابعين وقال المزى لا صحبة له تصح

(٢) قوله (ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال « أحسنها الفأل ولا ترد مسلما ») قال ابن القيم رحمه الله تعالى أخبر ﷺ أن الفأل من الطيرة وهو خيرها فأبطل الطيرة وأخبر أن الفأل منها ففصل بين الطيرة والفأل لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما ومضرة الآخر انتهى

وقوله ﷺ : « أحسنها الفأل » وفى رواية « خيرها الفأل » مع أن الطيرة كلها لا خير فيها لأن أفعل التفضيل فى ذلك إنما هو فى القدر المشترك بين الشيئين ، والقدر المشترك بين الطيرة والفأل تأثير كل منهما فيما هو فيه ، والفأل فى ذلك أبلغ ، قاله الحافظ ابن حجر . وفيه أن الفأل ليس من الطيرة بل مستحب ، وتفسير الفأل قاله المصنف رحمه الله تعالى

قوله (ولا ترد مسلما) وهذا تعريض بأن الكافر بخلافه

(٣) قوله (فاذا رأى أحدكم مايكره فليقل: اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيآت إلا أنت) أى لا تأتى الطيرة بالحسنات ولا تدفع السيآت بل أنت وحدك لا شريك لك الذى تأتى بالحسنات وتدفع السيآت ، والحسنات هنا : النعم ، والسيآت : المصائب . ففيه نفى تعلق القلب بغير الله فى جلب نفع أو دفع ضر وهو دعاء مناسب لمن وقع فى قلبه شىء من الطيرة

(٤) قوله (ولا حول ولا قوة إلا بك) والحول التحول والانتقال من حال ــ

وله من حديث ابن مسعود مرفوعاً[(١)] «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ، الطِّيَرَة شرك، ومامنّا إلا[(٢)] ... ولـكنّ اللهَ يُذهبه بالتوكل» رواه أبو داود

= إلى حال أى لا تحول من حال إلى حال ولا قوة على ذلك إلا بالله وحده ، ففيه التبرى من الحول والقوة إلا بالله سبحانه وهذا هو توحيد الربوبية وهو دليل على توحيد الإلهية الذى هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة . وفيه ذكر ما يقوله من وجد شيئا من ذلك قاله المصنف رحمه الله

(١) قوله (وله) أى أبى داود عن (ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا «الطيرة شرك الطيرة شرك وما منا إلا ولـكن الله يذهبه بالتوكل» . ورواه الترمذى وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود) ورواه ابن ماجه وابن حبان ولفظ أبى داود «الطيرة شرك الطيرة شرك الطيرة شرك» ثلاثاً وهذا صريح فى تحريمها وأنها من الشرك لما فيها من تعلق القلب على غير الله تعالى ، قال ابن حمدان : تـكره الطيرة وكـذا قال غير واحد من أصحاب أحمد وقال ابن مفلح الأولى القطع بتحريمها لأنها من الشرك وكيف يكون الشرك مكروها الـكراهة الاصطلاحية ، قال ولعل مرادهم يعنى الأصحاب بالـكراهة التحريم قلت وما قاله هو موجب النصوص والقواعد تقتضيه لأن الأحكام الخمسة لا تؤخذ إلا عن الله ورسوله وقد قام الدليل الموجب للتحريم فتعين القول به وحمل كلام من أطلق الـكراهة عليه بلا تردد

(٢) قوله (وما منا إلا) قال أبو القاسم الأصبهانى والمنذرى : فى الحديث إضمار والتقدير وما منا إلا وقد وقع فى قلبه شىء من ذلك ، قال بعضهم حذف المستثنى لما يتضمنه من الحالة المـكروهة وهذا من أدب الـكلام ، ومنه الحديث «ثلاث لا يسلم أحد منهن : الطيرة والحسد والظن» قيل فما نصنع ؟ قال «إذا تطيرت فامض وإذا حسدت فلا تبغ وإذا ظننت فلا تحقق»

قوله (ولـكن الله يذهبه بالتوكل) يعنى إذا خطر عارض التطير فتوكلنا على الله وسلمنا الأمر اليه ولم نعمل بذلك الخاطر غفره الله ولم يؤاخذنا به . وفيه أن الواقع فى القلب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهبه الله بالتوكل قاله =

والترمذي وصحّحه ، وجعل آخِرَه من قول ابن مسعود

ولأحمد من حديث عبد الله بن عَمرو[١] « مَنْ رَدَّتْهُ الطيرةُ عن حاجته[٢] فقد أشرك » قالوا : فما كفارة ذلك؟ قال « أن يقول : اللَّهُمَّ لا خيرَ إلا خيرُكَ ، ولا طَيرَ إلا طَيرُكَ[٣] ، ولا إلٰه غيرُكَ »[٤]

المصنف رحمه الله . وفيه أن الطيرة من الشرك الأصغر لأنها لو كانت من الأكبر لما أذهبه إلا التوبة منه

قوله (وجعل آخره من قول ابن مسعود) قال ابن القيم وهو الصواب فإن الطيرة نوع من الشرك

(١) قوله (ولأحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي أبو محمد وقيل أبو عبد الرحمن أحد السابقين المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة الفقهاء . مات في ذي الحجة ليالي الحرة على الأصح بالطائف

(٢) قوله (من ردته الطيرة عن حاجته) فنعه ما رأى وما سمع عما أراده (فقد أشرك) لأنه لم يخلص توكله على الله بالتفاته إلى غيره مما يخامر قلبه من الخوف فيكون شركا بهذا الاعتبار

(٣) قوله (قالوا فما كفارة ذلك قال أن تقول اللهم لاخير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك) . وفيه تفويض الأمور إلى الله تعالى تقديرا وتدبيرا وخلقا والبراءة عما فيه تعلق بغير الله تعالى

(٤) قوله (ولا إله غيرك) أي لامعبود بحق سواك ، فاذا قال ذلك وأعرض عما وقع في قلبه ولم يلتفت اليه واستمر على فعل ما عزم عليه توكلا على الله وتفويضا اليه كفّر الله عنه ما وقع في قلبه من ذلك ، وأما من لم يخلص توكله على الله واسترسل مع الشيطان في ذلك فقد يعاقب بالوقوع فيما يكره وفيه التصريح بأن الطيرة شرك وتفسير الطيرة المذمومة وذكر ما يقوله من وجد ذلك قاله المصنف رحمه الله تعالى

وله[(١)] من حديث الفضل بن العباس « إنَّما الطِّيَرَةُ ما أمضاكَ أو ردَّكَ[(٢)] »

٣٩ – باب

ما جاء فى التنجيم[(٣)]

---

(١) قوله (وله) أى الإمام أحمد من حديث الفضل بن عباس بن عبد المطلب ابن عم النبى ﷺ قال ابن معين قتل يوم اليرموك وقال غيره وقتل يوم مرج الصفر سنة ثلاث عشرة وهو ابن اثنتين وعشرين سنة رضى الله عنه . وقال أبو داود قتل بدمشق كان عليه درع النبى ﷺ

(٢) قوله (إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك) هذا الحديث رواه الإمام أحمد من حديث الفضل بن عباس قال خرجت مع النبى ﷺ يوما فبرح ظبى فمال فى شقة فاحتضنته فقلت : يا رسول الله تطيرت فقال « إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك » وفى إسناده انقطاع بين مسلمة راويه والفضل وهذا حد الطيرة المنهى عنها ، فهى ما يحمل الإنسان على المضى فيما أراده أو يمنعه منه . وأما الفأل الذى كان يحبه ﷺ ففيه نوع بشارة فيسر به العبد ولا يعتمد عليه فافهم الفرق ، ومن شرط الفأل أن لا يقصده

(٣) قوله (باب ما جاء فى التنجيم) التنجيم هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية قاله شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى . واعلم أن التنجيم مما ينافى التوحيد ويوقع فى الشرك لأنه ينسب الحوادث إلى غير من أحدثها وهو الله سبحانه قاله فى قرة العيون . وقال الخطابى : علم التنجيم المنهى عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكائنات والحوادث التى لم تقع وستقع فى مستقبل الزمان كأوقات هبوب الرياح ومجئ المطر وتغير الأسعار وما فى معنى ذلك من الأمور التى يزعمون أنهم يدركون معرفتها بمسير الكواكب فى مجاريها واجتماعها وافتراقها ويدعون أن لها تأثيراً فى السفليات وأنها تجرى على قضايا موجباتها وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاط لعلم قد استأثر الله به لا يعلمه =

قال البخارى فى صحيحه : قال قَتَادةُ : خَلَق اللهُ هــذه النجومَ لثلاث : زِينةً للسماء ورُجوماً للشياطين ، وعلاماتٍ يُهتَدى بها . فمن تأوَّلَ فيها غيرَ ذلك أخطأ وأضاعَ نَصيبَه وتكلَّفَ ما لا علمَ له به(١) .

= سواه انتهى . ولا ريب فى تحريم ذلك ، واختلف المتأخرون فى تكفير القائل بذلك وينبغى القطع بكفره لأنها دعوى لعلم الغيب الذى استأثر الله بعلمه بما لا يدل عليه

(١) قوله (قال البخارى فى صحيحه قال قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها . فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به) هذا الأثر علقه البخارى فى صحيحه بصيغة الجزم وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنــذر وغيرهم وأخرجه الخطيب فى كتاب النجوم ، ولفظه : قال إنما جعل الله هـذه النجوم لثلاث خصال : جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوما للشياطين فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به ، وإن ناساً جهلة بأمر الله قد أحدثوا فى هذه النجوم كهانة ، من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ولعمرى ما من نجم إلا يولد فيه الأحمر والأسود والطويل والقصير والحسن والدميم وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر بشىء من الغيب ولو أن أحداً علم الغيب لعلمه آدم الذى خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شىء انتهى ، قال فى قرة العيون : وقول قتادة هذا يدل على أن علم التنجيم هذا قد حدث فى عصر فأوجب له إنكاره على من اعتقده . قلت بل علم التنجيم كان معروفا فى زمن الجاهلية يدل على هذا حديث أبى مالك الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال « أربع فى أمتى من أمر الجاهلية » وذكر منها الاستسقاء بالنجوم أى نسبة المطر إلى النوء ، حديث زيد بن خالد الجهنى الذى فيه « أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر » وحديث ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد » =

= رواه أبو داود وإسناده صحيح . وقول ابن عباس فى الذين يكتبون أبا جاد وينظرون فى النجوم ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق

وقوله (خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ورجوماً للشياطين) كما قال تعالى ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ﴾ قال فى فتح المجيد وفيه إشارة إلى أن النجوم فى السماء الدنيا ، كما روى ابن مردويه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أما السماء الدنيا فإن الله خلقها من دخان وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وزينها بمصابيح وجعلها رجوماً للشياطين وحفظا من كل شيطان رجيم » .

وقوله (وعلامات يهتدى بها) أى دلالات على الجهات لا على الحوادث كما قال تعالى ﴿ وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴾ وقال تعالى ﴿ هو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ﴾ أى لتعرفوا بها جهة قصدكم ، وليس المراد أنه تهتدى بها فى علم الغيب كما يزعمه أهل النجامة ، وقال تعالى ﴿ وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهاراً وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴾ روى ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله ﴿ وعلامات ﴾ معطوف على ما تقدم مما ذكره فى الأرض ثم استأنف فقال ﴿ وبالنجم هم يهتدون ﴾ انتهى بمعناه

وقوله (فمن تأول فيها غير ذلك) أى زعم فيها غير ما ذكر الله فى كتابه من هذه الثلاث فقد أخطأ حيث زعم شيئا ما أنزل الله به من سلطان وأضاع نصيبه من كل خير لأنه شغل نفسه بما يضره ولا ينفعه ، وفيه الحكمة فى خلق النجوم والرد على من زعم غير ذلك قاله المصنف رحمه الله تعالى . وقد جاءت الأحاديث عن النبى ﷺ بالنهى عن التنجيم كحديث ابن عباس الذى رواه أبو داود أن النبى ﷺ قال « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد » ، وعن رجاء بن حيوة أن النبى ﷺ قال « إنما أخاف على أمتى التصديق بالنجوم والتكذيب بالقدر وحيف الأئمة » رواه عبد بن حميد ، وعن أبى محجن مرفوعا « أخاف على أمتى ثلاثاً : حيف الأئمة وإيمانا بالنجوم =

انتهى وكره قتادة[1] تعلمَ منازل القمر . ولم يُرَخِّص ابنُ عُيَيْنَةَ فيه . ذكره حربٌ عنهما . ورخّص فى تعلُّم المنازل أحمد وإسحاق

وعن أبى موسى[2] قال :

= وتكذيبا بالقدر » رواه ابن عساكر وحسنه السيوطى، وعن أنس رضى الله عنه مرفوعا « أخاف على أمتى بعدى خصلتين : تكذيبا بالقدر وإيمانا بالنجوم » رواه أبو يعلى وابن عدى والخطابى فى كتاب النجوم وحسنه السيوطى أيضا

(١) قوله (وكره قتادة) وهو ابن دعامة السدوسى (تعلم منازل القمر ولم يرخص ابن عيينة فيذكره حرب عنهما) . وحرب : هو ابن اسمعيل الكرمانى الفقيه من جلة أصحاب الإمام أحمد روى عن أحمد وإسحاق وابن المدينى وابن معين وأبى خيثمة وابن أبى شيبة وغيرهم ، وله مصنفات جليلة منها كتاب المسائل التى سأل عنها أحمد وغيره ، مات سنة ثمان ومائتين . ومنازل القمر هى الثمانية والعشرون منزلة ينزلى القمر كل ليلة منزلة منها كما قال تعالى ﴿ والقمر قدرناه منازل ﴾ يسقط فى المغرب كل ثلاث عشرة ليلة منها منزلة مع طلوع الفجر وتطلع أخرى مقابلتها ذلك الوقت من المشرق (ورخص فى تعلمها) لمعرفة الأوقات الإمام (أحمد وإسحق) بن إبراهيم بن مخلد أبو يعقوب الحنظلى النيسابورى المعروف بابن راهويه ، روى عن ابن المبارك وأبى أسامة وابن عيينة وطبقتهم ، قال الإمام أحمد : إسحق عندنا إمام من أئمة المسلمين روى عنه البخارى ومسلم وأبو داود وغيرهم ، وروى هو عن أحمد أيضاً ، مات سنة تسع وثلاثين ومائتين وفيه ذكر الخلاف فى تعلم المنازل قاله المصنف رحمه الله قال الخطابى أما علم النجوم الذى يدرك بطريق المشاهدة والخبر الذى يعرف به الزوال وتعلم به جهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهى عنه ، وهذا علم يصح إدراكه بالمشاهدة إلا أن أهل هذه الصناعة قد دبروها بما اتخذوه من الآلات التى يستغنى بها الناظر فيها عن مراعاة مدته ومراصدته

(٢) قوله (وعن أبى موسى) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بفتح المهملة وتشديد الضاد الأشعرى صحابى جليل مات سنة خمسين رضى الله عنه

قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا يدخُلون الجنة[1] : مُدمِنُ الخمر[2] ، وقاطعُ الرَّحِمِ[3] ، ومُصدِّقٌ بالسحر[4] » رواه أحمد وابن حبَّان فى صحيحه .

٣٠ – باب

ما جاء فى الاستِسقاء بالأنواء[5]

---

(١) قوله (قال رسول الله ﷺ ثلاثة لا يدخلون الجنة) ، هذا من نصوص الوعيد التى كره السلف تأويلها ، وقالوا أمروها كما جاءت ومن تأولها فهو على خطر من القول على الله بلا علم ، وأحسن ما يقال : إن كل عمل دون الشرك والكفر المخرج عن الملة فإنه يرجع إلى مشيئة الله فان عذبه فقد استوجب العذاب وإن غفر له فبفضله وعفوه ورحمته ، قاله فى فتح المجيد . وكان المصنف رحمه الله يميل إلى هذا قاله فى الشرح

(٢) قوله (مدمن الخمر) أى المداوم على شربها

(٣) قوله (وقاطع الرحم) يعنى القرابة ، قال الله تعالى ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾ الآية

(٤) قوله (ومصدق بالسحر) أى مطلقا ومنه التنجيم لحديث « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد » وهذا وجه مطابقة الحديث للترجمة قال الذهبى فى الكبائر : ويدخل فيه تعلم السيمياء وعملها انتهى . وفيه الوعيد فيمن صدق بشىء من السحر ولو عرف أنه باطل قاله المصنف رحمه الله تعالى وهذا الحديث رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه ، ورواه أيضا الطبرانى والحاكم وقال صحيح ، وأقره الذهبى ، وتمامه « ومن مات وهو مدمن الخمر سقاه الله من نهر الغوطة » نهر يجرى من فروج المومسات يؤذى أهل النار ريح فروجهن

(٥) قوله (باب ما جاء فى الاستسقاء بالأنواء) أى من الوعيد ، والاستسقاء نسبة مجىء المطر إلى الأنواء جمع نوء وهى منازل القمر الثمانية والعشرون منزلة

وقول الله تعالى ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ (١)

= ينزل القمر كل ليلة منها منزلة كما قال تعالى ﴿ والقمر قدرناه منازل ﴾ يسقط في المغرب كل ثلاث عشرة ليلة منها منزلة مع طلوع الفجر وتطلع أخرى مقابلتها في ذلك الوقت من المشرق ، ماخلا الجبهة فإن لها أربعة عشر يوما فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة ، قال شمر : وهي بالعربية فيما أخبرني به ابن الأعرابي : الشرطان والبطين والنجم والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والخرثان والعواء والسماك والغفر والزبانا والإكليل والقلب والشولة والنعايم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر والحوت ، ولا تستنفى العرب بها كلها إنما تذكر بالأنواء بعضها وهي معروفة في أشعارهم وكلامهم انتهى ، وإنما سمي نواء لأنه إذا سقط القارب ناء الطالع أي نهض وطلع وذلك النهوض هو النوء وبعضهم يجعل النوء السقوط كأنه من الأضداد ، وقال أبو عبيد ولم يسمع في النوء أنه سقوط إلا في هذا الموضع ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها ، وقال الأصمعي إلى الطالع منها

(١) قوله (وقول الله تعالى ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾) روى الإمام أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم والضياء في المختارة عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ وتجعلون رزقكم ﴾ يقول شكركم ﴿ أنكم تكذبون ﴾ تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا وهذا أولى ما فسرت به الآية ، روى ذلك عن علي وابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني وغيرهم ، وهو قول جمهور المفسرين وبه يظهر وجه استدلال المصنف رحمه الله تعالى بالآية قاله في الشرح . وقال ابن القيم رحمه الله أي تجعلون حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم التكذيب به يعني القرآن . قال الحسن تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون . قال وخسر عبد لايكون حظه من القرآن إلا التكذيب . والآية تشمل المعنيين ، قاله في الشرح ، وقال ابن القيم : وأظهر القولين أنه قسم بمواقع هذه النجوم التي في السماء لأن اسم النجم عند الإطلاق ينصرف اليها ، وأنه لم تجر عادته سبحانه باستعمال النجوم في آيات القرآن ولا في موضع واحد من كتابه حتى تحمل عليه هذه الآية ، وفيه معرفة تفسير آية الواقعة قاله المصنف رحمه الله

عن أبي مالك الأشعرى[١] رضى الله عنه ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال « أربعٌ فى أُمَّتى مِنْ أمرِ الجاهلية لا يتركونَهُنَّ : الفخْرُ بالأحساب[٢] ، والطعنُ فى الأنساب[٣] ،

---

(١) قوله (وعن أبي مالك) الحارث بن الحارث (الأشعرى) الشامى صحابى تفرد بالرواية عنه أبو سلام وفى الصحابة أبو مالك الأشعرى اثنان غير هذا (أن رسول الله ﷺ قال « أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لايتركونهن ») أى ستفعلها هذه الأمة مع العلم بتحريمها أو مع الجهل بذلك مع كونها من أعمال الجاهلية المذمومة المحرمة فيجب على كل مسلم أن يجتنبها ، والمراد بالجاهلية هنا ما قبل المبعث ، سموا بذلك لفرط جهلهم ، وكلما خالف ما جاءت به الأنبياء والمرسلون فهو جاهلية ، قاله فى الشرح . وقال شيخ الإسلام أخبر ﷺ أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم ذما لمن لم يتركه وهذا يقتضى أن ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم فى دين الإسلام وإلا لم يكن فى إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها ، ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم وهذا كقوله ﴿ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ وذلك يقتضى المنع من مشابهتهم فى الجملة انتهى . ولشيخنا رحمه الله مصنف لطيف فيما خالف فيه رسول الله ﷺ أهل الجاهلية بلغ مائة وعشرين مسئلة قاله فى فتح المجيد

(٢) قوله (الفخر بالأحساب) أى التعاظم على الناس بالآباء ومآثرهم وذلك جهل عظيم إذ لا كرم إلا بالتقوى ، قال تعالى ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ولأبى داود عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا « إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقى أو فاجر شقى الناس بنو آدم وآدم وخلق من تراب ، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التى تدفع النتن بأنفها »

(٣) قوله (والطعن فى الأنساب) أى ذمها وعيبها ، ولما عير أبو ذر رجلا بأمه قال له النبى ﷺ « أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية » متفق عليه فدل على أن الطعن فى الأنساب من عمل الجاهلية ، وأن الرجل مع فضله وعلمه ودينه قد

والاسْتِسقاءُ بالنُّجُوم،[1] ، والنياحة[2] » . وقال « النائحةُ إذا لم تَتُبْ قبـــــــــــــــــلَ موتها[3]

= يكون فيه بعض هذه الخصال المسماة بجاهلية ويهودية ونصرانية ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه قاله شيخ الإسلام رحمه الله تعالى

(١) قوله (والاستسقاء بالنجوم) أى نسبة المطر إلى النوء وهو سقوط النجم وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة فان اعتقد أن للنجم تأثيراً فى نزول المطر فهذا شرك وكفر لنسبه المطر إلى غير من أنزله وهو الله وحده ، وأما إذا قال مطرنا بنوء كذا مع اعتقاد أن الله هو الفاعل لذلك لكن أجرى العادة بنزول المطر عند ظهور ذلك النجم فقد صرح ابن مفلح فى الفروع بتحريمه وكذلك صاحب الإنصاف ولم يذكرا خلافا ، وذلك أن القائل لذلك نسب ماهو من فعل الله الذى لايقدر عليه غيره إلى خلق مسخر لا ينفع ولا يضر ولا قدرة له على شىء فيكون ذلك شركا أصغر والله أعلم

(٢) قوله (والنياحة) أى رفع الصوت بالندب على الميت وضرب الخدود وشق الجيوب لأنها تسخط لقضاء الله وذلك ينافى الصبر الواجب ، وهى من الكبائر لشدة الوعيد الوارد فيها . وعن الأوزاعى أن عمر بن الخطاب سمع صوت بكاء فدخل ومعه غرة فمال عليهن ضرباً حتى بلغ النائحة فضربها حتى سقط خمارها ، وقال أضرب فإنها نائحة ولا حرمة لها إنها لاتبكى بشجوكم إنها تهريق دموعها لأخذ دراهمكم ، وإنها تؤذى موتاكم فى قبورهم وأحياءكم فى دورهم ، لأنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به ، وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه وكان أهل الجاهلية يوصون بذلك كما قال الشاعر :

إذا مت فانعينى بما أنا أهله ... وشقى على الجيب يا ابنة معبد

فأما البكاء من غير نياحة وندب وشق جيب فحسن ولا ينافى الرضاء بقضاء الله ، قاله شيخ الإسلام

(٣) قوله (وقال : النائحة إذا لم تتب قبل موتها) فيه أن التوبة تكفر الذنب وإن عظم ، وهذا مجمع عليه فى الجملة ويكفر أيضا بالحسنات الماحية والمصائب =

تُقامُ يومَ القيامةِ وعليها سِرْبالٌ من قَطِران ، ودِرعٌ من جَرَب [١] »
رواه مسلم

ولهما [٢] عن زيد بن خالد رضى الله عنه قال : صلّى لنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصُّبح بالْحُدَيبِيَة [٣] على إثْرِ [٤] سماءٍ كانتْ من الليل [٥] ، فلما انصرفَ [٦] أقبل على الناس [٧] فقال : « هل تدْرُونَ [٨] ما ذا قال

= ودعاء المسلمين بعضهم لبعض وبالشفاعة بإذن الله وعفو الله عن من شاء ممن لا يشرك به شيئاً

(١) قوله (تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب) قال القرطبي : السربال واحد السرابيل وهى الثياب من سرابيل أهل النار ، يعنى يلطخن بالقطران حتى يكون اشتعال النار فى أجسادهن أعظم ورائحتهن أنتن وروى عن ابن عباس أن القطران : النحاس المذاب ، والدرع : قميص المرأة وليكون ألمهن بسبب الجرب أشد . وفيه معرفة الأربع التى من أمر الجاهلية وذكر الكفر فى بعضها ، وأن من الكفر مالا يخرج من الملة ووعيد النائحة قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٢) قوله (ولهما) أى البخارى ومسلم (عن زيد بن خالد الجهنى) صحابى مشهور ، مات سنة ثمان وستين وقيل غير ذلك وله خمس وثمانون سنة قال (صلى لنا رسول الله ﷺ) أى صلى بنا فاللام بمعنى الباء . وفيه إطلاق ذلك مجازاً وإنما الصلاة لله ، قاله الحافظ ابن حجر

(٣) قوله (صلاة الصبح بالحديبية) بتخفيف يائها وقد تثقل

(٤) قوله (على إثر) بكسر الهمزة وسكون الثاء على المشهور وهو مايعقب الشىء

(٥) قوله (سماء كانت من الليل) أى مطر ، والسماء يطلق على كل ما ارتفع

(٦) قوله (فلما انصرف) من صلاته إلى المأمومين كما يدل عليه

(٧) قوله (أقبل على الناس) ويحتمل أنه أراد السلام

(٨) قوله (فقال هل تدرون) لفظ استفهام ومعناه التنبيه ، وفى النسائى « ألم =

ربُّكمْ » ؟ قالوا : اللهُ ورسوله أعلم[١] . قال : « قال : أصبحَ من عِبادى[٢] مؤمنٌ بى وكافر ، فأمّا مَن قال مُطِرنا بفضل اللهِ ورحمته[٣] فذلِكَ مؤمنٌ بى[٤] كافرٌ بالكَوْكب ، وأمّا مَن قال مُطِرْنا بِنَوْءِ كذا وكذا فذلِكَ كافرٌ بى مؤمنٌ بالكَوْكب[٥]

= تسمعوا ما قال ربكم الليلة ؟ ، وهذا من الأحاديث القدسية . وفيه إخراج العالم للتعلم المسئلة بالاستفهام عنها لقوله : أتدرون (ماذا قال ربكم) قاله المصنف

(١) قوله (قالوا : الله ورسوله أعلم) وفيه حسن الأدب للمسئول إذا سئل عما لا يعلم وجب عليه أن يكل العلم إلى عالمه وذلك يجب

(٢) قوله (قال أصبح من عبادى) الإضافة هنا للعموم بدليل التقسيم إلى (مؤمن وكافر)

(٣) قوله (فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته) والفضل والرحمة صفتان لله تعالى ، ومذهب أهل السنة والجماعة أن ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله من صفات الذات كالحياة والعلم وصفات الأفعال كالرحمة التى يرحم بها عبادة ، كلها صفات لله قائمة بذاته ليست قائمة بغيره ، فتفطن لهذا فقد غلط فيه طوائف قاله فى فتح المجيد

(٤) قوله (فذلك مؤمن بى) لأنه نسب الفعل إلى فاعله والنعمة إلى المنعم بها (كافر بالكوكب)

(٥) قوله (وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب) حيث جعل للنوء تأثيرا فى إنزال المطر لأنه شرك فى الربوبية ، والمشرك كافر . وفيه معرفة قوله أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بسبب نزول النعمة والتفطن للإيمان فى هذا الموضع والتفطن للكفر فى هذا الموضع قاله المصنف رحمه الله تعالى

ولهما[1] من حديث ابن عباس معناه . وفيه : قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا ، فأنزل الله هـذه الآية ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ إلى قوله ﴿ تُكَذِّبُونَ ﴾

---

(١) قوله (ولهما) أى البخارى ومسلم (من حديث ابن عباس معناه ، وفيه قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا) وفيه التفطن لقوله لقد صدق نوء كذا وكذا . (فأنزل الله هذه الآية ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾ إلى قوله . ﴿ وتجعلوا رزقكم أنكم تكذبون ﴾) هذا قسم من الله عز وجل يقسم بما شاء من خلقه على ما شاء ، وجواب القسم ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾ ، فتكون لا صلة لتأكيد النفى فتقدير الكلام : ليس الأمر كما زعمتم فى القرآن أنه سحر أو كهانة بل هو قرآن كريم ومواقع النجوم ، قال ابن عباس يعنى نجوم القرآن فإنه نزل جملة من السماء العليا إلى السماء الدنيا ثم نزل مفرقا فى السنين بعد ، ثم قرأ ابن عباس هذه الآية ، ومواقعها نزولها شيئا بعد شىء ، وقال مجاهد : مواقع النجوم مطالعها ومشارقها واختاره ابن جرير

وقوله ﴿ وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ قال ابن كثير وإن هذا القسم الذى أقسمت به لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به عليه

قوله ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾ هذا هو المقسم عليه وهو القرآن أى إنه وحى الله وتنزيله وكلامه لا كما يقول الكفار إنه سحر أو كهانة أو شعر ، والكريم البهى الكثير الخير العظيم وهو من كل شىء أحسنه وأفضله . قال الأزهرى : الكريم اسم جامع لما يحمد والله تعالى كريم جميل الفعال وإنه لقرآن كريم يحمد لما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة

قوله ﴿ فى كتاب مكنون ﴾ أى معظم محفوظ موقر ، قاله ابن كثير . قال ابن القيم اختلف المفسرون فى هذا فقيل : هو اللوح المحفوظ ، والصحيح أنه الكتاب الذى بأيدى الملائكة وهو المذكور فى قوله ﴿ فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة كرام بررة ﴾ ويدل على هذا قوله ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ فهذا يدل على أنه بأيديهم يمسونه . وقوله ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ =

٣١ – باب

قول الله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ ﴾ الآية[1]

= قال ابن عباس الكتاب الذى فى السماء ، وفى رواية : ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ يعنى الملائكة ، وقال قتادة : لا يمسه عند الله إلا المطهرون فأما فى الدنيا فإنه يمسه المجوسى النجس والمنافق الرجس ، واختار هذا القول كثيرون منهم ابن القيم ورجحه وقال ابن زيد : زعمت قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون ، كما قال تعالى ﴿ وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون ﴾ قال ابن كثير : هذا قول جيد وهو لا يخرج عن القول قبله ، وقال البخارى فى صحيحه : فى الآية لا يجد طعمه إلا من آمن به . قال ابن القيم : هذا من إشارة الآية وتنبيهها وهو أنه لا يلتذ به وبقراءته وفهمه وتدبره إلا من يشهد أنه كلام الله تكلم به حقا وأنزله على رسوله وحياً . وقال آخرون لا يمسه إلا المطهرون من الجنابة والحدث ولفظ الآية خبر ، ومعناه الطلب ، والمراد بالقرآن هنا المصحف ، واحتجوا على ذلك بما رواه مالك فى الموطأ أن الكتاب الذى كتبه رسول الله ﷺ لعمرو ابن حزم : أن لا يمس القرآن إلا طاهر

وقوله (تنزيل من رب العالمين) قال ابن كثير هذا القرآن منزل من الله رب العالمين وليس كما يقولون إنه سحر أو كهانة أو شعر

(١) قوله (باب قول الله تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾ الآية) لما كانت محبة الله سبحانه هى أصل دين الإسلام فبكمالها يكمل وبنقصها ينقص توحيد العبد ، نبه المصنف رحمه الله على ذلك بهذه الترجمة بالآية ، قاله فى فتح المجيد . قال ابن كثير فى الآية : يذكر تعالى حال المشركين فى الدنيا وما لهم فى الآخرة من العذاب والنكال حيث جعلوا لله أنداداً أى أمثالا ونظراء يحبونهم كحب الله ، أى يساوونهم بالله فى المحبة والتعظيم انتهى . وهذا اختيار شيخ الإسلام فى الآية ، ثم بين تعالى أن محبة =

= المؤمنين لله أشد من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم وإنما ذموا بأن شركوا بين الله وبين أندادهم فى المحبة ولم يخلصوها كمحبة المؤمنين له كما أخبر الله عنهم وهم فى النار ، وأنهم يقولون لآلهتهم وأندادهم وهى محضرة معهم فى العذاب ﴿ تالله إن كنا لفى ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين ﴾ ، ومعلوم أنهم ما سووهم به فى الخلق والربوبية ، وإنما سووهم به فى المحبة والتعظيم . وقال تعالى ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ ، وهذه تسمى آية المحنة ، قال بعض السلف : ادعى قوم محبة الله فأنزل الله تعالى آية المحنة ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها ، فدليلها وعلامتها اتباع الرسول ﷺ وفائدتها وثمرتها محبة المرسل إليكم فما لم تحصل منكم المتابعة فمحبتكم له غير حاصلة ومحبته لكم منتفية . ومن لازم محبة الله محبة أنبيائه ورسله وملائكته وكتبه والصالحين من عباده وكراهة ما يكرهه الله سبحانه ومعاداة أعدائه وموالاة أوليائه فلا تحصل كمال محبة الله الواجبة إلا بكمال ذلك وإيثاره على ما تهواه النفوس ، فمن ادعى محبة الرسول بدون متابعته وتقديم قوله فقد كذب . وذكر أبو بكر الكتانى أن الأسباب الجالبة لمحبة الله عشرة : أحدها قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به . الثانى التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض . الثالث دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال فنصيبه من المحبة على قدر هذا . الرابع إيثار محابه على محابك عند غلبة الهوى . الخامس مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها وتقلبه فى رياض هذه المعرفة ومياديها . السادس مشاهدة بره وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة . السابع وهو أعجبها انكسار القلب بين يديه . الثامن الخلوة وقت النزول الإلهى وتلاوة كتابه ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة . التاسع مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطيب ثمرات كلامهم ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك . العاشر مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل ، فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب . وفيه معرفة تفسير آية البقرة وأن من اتخذ نداً تساوى محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر ، وإن من المشركين من يحب الله حباً شديداً ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

وقوله ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ - إلى قوله - أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ[1] ﴾ الآية .

عن أنس[2] ، أن رسولَ الله ﷺ قال « لا يُؤمِنُ أَحَدُكم حتى أكونَ أَحبَّ إليه مِنْ وَلَدِهِ ووالِدِهِ والناسِ أجمعين » أخرجاه

---

(١) قوله : وقول الله تعالى ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾ . قال ابن كثير : أى إن كانت هذه الأشياء أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا أى انتظروا ما ذا يحل بكم من عقابه ، روى الإمام أحمد وأبو داود واللفظ له من حديث عبد الرحمن السلمى عن عطاء الخراسانى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى تراجعوا دينكم . وفيه معرفة تفسير آية براءة والوعيد على من كانت الثمانية أحب إليه من دينه ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٢) قوله (وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » أخرجاه)أى البخارى ومسلم

وقوله (لا يؤمن) أى لا يكون آتياً بالإيمان الواجب عليه ، فدل على أن من لم يكن الرسول أحب إليه من ولده ووالده بل ومن نفسه فهو من أصحاب الكبائر إن لم يكن كافراً . قال شيخ الإسلام فإنه لا يعهد نفى اسم مسمى أمر الله به ورسوله إلا إذا ترك بعض واجباته ، فإذا كان الفعل مستحباً فى العبادة لم ينفها لانتفاء المستحب ولو صلح هذا النفى عن جمهور المؤمنين اسم الإيمان والصلاة ونحو ذلك وهذا لا يقوله عاقل ، فمن قال إنه نفى الكمال فإن أراد المستحب فهذا لم يقع قط فى كلام الله ورسوله ، انتهى ملخصا . وفيه أن الأعمال من الإيمان لأن المحبة عمل القلب وأن محبة الرسول ﷺ واجبة تابعة لمحبة الله لازما لها =

ولهما⁽¹⁾ عنه قال: قال رسول الله ﷺ « ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وَجَدَ بهن حَلاوةَ الإيمان: أنْ يكونَ اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه مما سِواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلّا لله، وأنْ يكرهَ أن يعودَ في الكفرِ بعدَ إذْ

= فانها محبة لله ولأجله تزيد بزيادة محبة الله فى قلب المؤمن وتنقص بنقصها. وفيه وجوب تقديم محبته ﷺ على النفس والأهل والمال وأن نفى الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام، قاله المصنف رحمه الله. قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وعامة الناس إذا أسلموا بعد كفر وولدوا على الإسلام والتزموا شرائعه وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله فهم مسلمون ومعهم إيمان مجمل لكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم يحصل شيئا فشيئا إن أعطاهم الله ذلك وإلا فكثير من الناس لا يصلون إلى اليقين ولا إلى الجهاد ولو شككوا لشكوا ولو أمروا بالجهاد لما جاهدوا إذ ليس عندهم من علم اليقين ما يدرأ الريب ولا عندهم من قوة الحب لله ورسوله ما يقدمونه على الأهل والمال فهؤلاء إن عوفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنة، وإن ابتلوا بمن يدخل عليهم شبهات توجب ريبهم فإن لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب وإلا صاروا مرتابين وانتقلوا إلى نوع من النفاق انتهى

(1) قوله (ولهما) أى البخارى ومسلم (عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) ثنى الضمير لتلازم المحبتين (وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار ») قال شيخ الإسلام: أخبر ﷺ أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان لحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح تتبع كمال محبة العبد لله وذلك بثلاثة أمور تكميل هذه المحبة وتفريغها ودفع ضدها فتكميلها أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب، بل لابد أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما، وتفريغها: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، ودفع ضدها: أن يكره ضد الإيمان كما يكره أن يقذف فى النار انتهى. ويجب معرفة الفرق بين المحبة لله والمحبة مع الله فمن أحب =

أنقذَهُ اللهُ منه كما يَكرَهُ أنْ يُقذفَ فى النار » ، وفى رواية « لا يجدُ أحدٌ حلاوةَ الإيمان حتى » إلى آخره[1]

وعن ابن عباس[2] قال : مَن أَحَبَّ فى الله ، وأَبغضَ فى الله ، ووالَى فى الله وعادَى فى الله ، فإنما تَنالُ وَلَايةُ اللهِ بذلك ، ولَنْ يَجِد

مخلوقا كما يحب الله فقد جعله نداً لله وهذه المحبة تضره ولا تنفعه ، وأما من كان الله أحب اليه مما سواه وأحب أنبيائه وعباده الصالحين له فحبه لله هو أنفع الأشياء والفرق بين هذين من أعظم الامور . قال يحي بن معاذ : حقيقة الحب فى الله أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء

(١) قوله (وفى رواية « لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى » إلى آخره) هذه الرواية ذكرها البخارى فى الأدب المفرد من صحيحه ولفظه لا يجد أحد حلاوة الإيمان قال النووى معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق وإيثار ذلك على أغراض الدنيا . وفيه أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها ، قاله المصنف رحمه الله

(٢) قوله (وعن ابن عباس) رضى الله عنهما قال من أحب فى الله وأبغض فى الله ووالى فى الله وعادى فى الله فإنما تنال ولاية الله بذلك ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك ، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدى على أهله شيئا رواه ابن جرير) وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم الجملة الأولى منه فقط

قوله (من أحب فى الله) أى أحب أهل الإيمان بالله وطاعته من أجل ذلك

قوله (وأبغض فى الله) أى أبغض من كفر بالله وأشرك به وفسق عن طاعته وإن كان أقرب قريب اليه

قوله (ووالى فى الله) أى والى أولياءه .

قوله (وعادى فى الله) أى عادى أهل معصيته وإن كان أقرب قريب ، =

عبدٌ طعمَ الإيمان ـ وإنْ كثرتْ صلاتُه وصومُه ـ حتى يكونَ كذلك ، وقد صارت عامّةُ مُؤاخاةِ الناسِ على أمرِ الدنيا ، وذلك لا يُجدِي على أهله شيئاً

= وجاهد أعداءه ونصر أنصاره ، وكلما قويت محبة العبد لله فى قلبه قويت هذه الأعمال المترتبة عليها وبكمالها يكمل توحيد العبد ، ويكون ضعفها على قدر ضعف محبة العبد لربه ، فمستقل ومستكثر ومحروم

قوله (فإنما تنال ولاية الله بذلك) أى توليه لعبده . ولاية بفتح الواو لا غير الأخوة والنصرة والمحبة ، وبالكسر الإمارة والمراد هنا الأول قاله فى فتح المجيد ، ولمحبة الله شروط ذكرها العلامة ابن القيم فى قوله :

شرط المحبة أن توافق من تحب	على محبته بلا نكران
فاذا ادعيت المحبة مع خلا	فك ما يحب فأنت ذو بهتان
أتحب أعداء الحبيب وتدعى	حبا له ما ذاك فى إمكان
وكذا تعادى جاهدا أحبابه	أين المحبة يا أخا الشيطان

قوله (ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك) أى حتى يحب فى الله ويبغض فى الله ويوالى فى الله ويعادى فى الله . ولأحمد والطبرانى عن النبى ﷺ قال « لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب فى الله ويبغض فى الله فإذا أحب فى الله وأبغض فى الله فقد استحق الولاية » ، وفى حديث أبى أمامة مرفوعا « من أحب لله وأبغض لله وعادى لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان » رواه أبو داود . وفيه معرفة أعمال القلب الأربع التى لا تنال ولاية الله إلا بها ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

قوله (وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا) هذا فى زمن ابن عباس رضى الله عنهما ، فكيف لو رأى مؤاخاة أهل زماننا على الكفر والفسوق والعصيان

قوله (وذلك لا يجدى على أهله شيئا) يعنى أنه إذا ضعف داعى الإيمان =

رواه ابن جرير . وقال ابنُ عبـاس فى قوله ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأسباب ﴾ قال : المودَّة

=أحب دنياه وإيثار ما يهواه على ما يحبه الله ورسوله وذلك غير نافع لهم بل يضر فى العاجل والآجل ، فالله المستعان . وفيه فهم الصحابى للواقع أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

قوله (وقال ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ قال المودة) هذا الأثر رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم وصححه

وقوله (المودة) أى التى كانت بينهم فى الدنيا خانتهم أحوج ما كانوا إليها كما قال تعالى ﴿ إنما تعبدون من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين ﴾ وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : فى قوله ﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ﴾ الآيتين فهؤلاء المتبوعين كانوا على الهدى وأتباعهم ادعوا أنهم على طريقتهم ومنهاجهم ، وهم مخالفون لهم سالكون غير طريقهم ويزعمون أن محبتهم لهم تنفعهم مع مخالفتهم فيتبرؤون منهم يوم القيامة فإنهم اتخذوهم أولياء من دون الله وهذا حال كل من اتخذ من دون الله وليجة وأولياء يوالى لهم ويعادى لهم ويرضى لهم ويغضب لهم ، فإن أعماله كلها باطلة يراها يوم القيامة حسرات عليه إذ لم يجرد موالاته ومعاداته وحبه وبغضه وانتصاره وإيثاره لله ورسوله ، فأبطل الله عز وجل ذلك العمل كله وقطع تلك الأسباب ولا يبقى إلا السبب الواصل بين العبد وربه ، وتجريده عبادته لله وحده ولوازمها من الحب والبغض والعطاء والمنع والموالاة والمعاداة وتجريد متابعة رسوله تجريدا بريئا من شوائب الالتفات إلى غيره فضلا عن تقديم قول غيره عليه ، فهذا السبب الذى لا ينقطع بصاحبه ، انتهى ملخصا . وفيه معرفة تفسير ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ قاله المصنف رحمه الله تعالى .

٣٢ - باب

قولِ الله تعالى ﴿ إنّما ذلكمُ الشيطانُ يُخوِّفُ أولياءه ، فلا تخافوهمْ وخافونِ إنْ كنتمْ مؤمنين[١] ﴾

---

(١) قوله (باب قول الله تعالى ﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾) وهذا نهى من الله تعالى للمؤمنين أن يخافوا غيره وأمر لهم أن يقصروا خوفهم عليه فلا يخافون إلا إياه وهذا هو الإخلاص الذى أمر الله به عباده ورضيه منهم فالخوف من أفضل مقامات الدين وأجلها . وأجمع أنواع العبادة التى يجب إخلاصها لله تعالى . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن كيد عدو الله أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه لئلا يجاهدوهم ولا يأمروهم بمعروف ولا ينهوهم عن منكر ونهانا أن نخافهم ، قال : والمعنى عند جميع المفسرين : يخوفهم بأوليائه ، قال قتادة يعظمهم فى صدوركم فكلما قوى إيمان العبد زال خوف أولياء الشيطان من قلبه وكلما ضعف إيمانه قوى خوفه منهم ، فدلت الآية على أن إخلاص الخوف من كمال شروط الإيمان . وقال أيضا : الخوف عبودية القلب فلا يصلح إلا لله كالذل والإنابة والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب . والخوف من حيث هو ثلاثة أقسام : أحدها خوف السر ، وهو أن يخاف من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره ، كما قال تعالى عن قوم هود ﴿ إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ﴾ الآية ، وقال تعالى ﴿ ويخوفونك بالذين من دونه ﴾ فعباد القبور ونحوها من الأوثان يخافونها ويخوفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها وهذا ينافى التوحيد . الثانى أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خوفا من بعض الناس ، وهذا محرم وهو نوع شرك بالله ينافى كمال التوحيد ، وفى الحديث يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة « مامنعك إذ رأيت المنكر أن لا تغيره ؟ فيقول : يارب خشية الناس . فيقول : إياى كنتُ أحقَّ أن تخشى » الثالث الخوف الطبيعى كالخوف من عدو أو سبع فهذا لا يذم ، قال تعالى عن موسى ﴿ إنى أخاف أن يقتلون ﴾ وفيه معرفة تفسير آية آل =

وقولهِ : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ باللهِ واليومِ الآخِرِ وأَقامَ الصلاةَ وآتى الزكاةَ ولم يَخْشَ إلا الله [1] ﴾ الآية .

وقوله ﴿ ومِنَ الناسِ مَنْ يقولُ آمَنَّا باللهِ فإذا أُوذِيَ في اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ الناسِ كعذابِ الله [2] ﴾ الآية

= عمران ، وأن إخلاص الخوف لله من الفرائض ، وذكر ثواب من فعله وذكر عقاب من تركه قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (وقول الله تعالى ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ﴾ الآية) أخبر تعالى أن مساجد الله لا يعمرها بالطاعة والعمل الصالح إلا أهل الإيمان بالله واليوم الآخر ، الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا بجوارحهم وأخلصوا له الخشية دون ما سواه فأثبت لهم عمارة المساجد بعد أن نفاها عن المشركين

قوله (ولم يخش إلا الله) وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة . قال ابن عطية يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة ولا محالة أن الإنسان يخشى المحاذير الدنيوية وينبغي أن يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه . قال في قرة العيون لأن النفع والضر إنما يكون بمشيئته فما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن

وقوله (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس يقول إن أولئك هم المهتدون وكل «عسى» في القرآن فهي واجبه ، وقال محمد ابن إسحق : وعسى من الله حق . وفيه معرفة تفسير آية براءة ، قاله المصنف رحمه الله

(٢) قوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله . الآية) قال ابن القيم رحمه الله تعالى : أخبر تعالى عن حال الداخل في الإيمان بلا بصيرة أنه إذا أوذي في الله جعل فتنة الناس وهي أذاهم أو نيلهم له بالمكروه وهو الألم الذي لا بد أن ينال الرسل وأتباعهم ممن خالفهم ، جعل ذلك في الفرار منه وتركه السبب الذي يناله به كعذاب الله الذي =

عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً[1] « إنَّ من ضُعْف اليقين أنْ تُرْضيَ النـــــــاسَ بسَخَطِ الله ،

= فر منه المؤمنون بالإيمان ، فالمؤمنون لكمال بصيرتهم فروا من ألم عذاب الله إلى الإيمان وتحملوا ما فيه من الألم الزائل المفارق عن قريب ، وهذا لضعف بصيرته فر من ألم أعداء الرسل إلى موافقتهم ومتابعتهم ففر من ألم عذابهم إلى ألم عذاب الله وغبن كل الغبن إذ استجار من الرمضاء بالنار وفر من ألم ساعة إلى ألم الأبد ، وإذا نصر الله جنده وأولياءه قال : إنى كنت معكم والله أعلم بما انطوى عليه صدره من النفاق انتهى وإنما حمل ضعيف البصيرة على أن جعل فتنة الناس كعذاب الله الخوف منهم أن ينالوه بما يكره وذلك من جملة الخوف من غير الله . وهذا وجه مطابقة الآية للترجمة قاله فى الشرح . وفيه معرفة تفسير آية العنكبوت . قاله المصنف رحمه الله تعالى . وفيه الخوف من مداهنة الخلق فى الحق والمعصوم من عصمه الله . قاله فى فتح المجيد

(١) قوله (وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً : « إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره ») هذا الحديث رواه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى وأعله بمحمد بن مروان السدى . وقال ضعيف . وفيه أيضاً عطية العوفى ذكره الذهبي فى الضعفاء والمتروكين ، ومعنى الحديث صحيح وتمامه « وأن الله بحكمته جعل الروح والفرح فى الرضى واليقين ، وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط »

قوله (إن من ضُعف اليقين) الضعف بالضم ويحرك ضد القوة والضعف بالفتح فى الردى وبالضم فى البدن واليقين كمال الإيمان . قال ابن مسعود اليقين الإيمان كله والصبر نصف الإيمان ، رواه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الزهد من حديثه مرفوعاً

قوله (أن ترضى الناس بسخط الله) أن تؤثر رضاهم على رضى الله وذلك إذا لم يقم بقلبه من إعظام الله وإجلاله وهيبته ما يمنعه من استجلاب رضى =

وأَنْ تحمَدَهُمْ على رِزْقِ الله ، وأَنْ تَذُمَّهم على ما لم يُؤْتِكَ الله . إنَّ رزقَ اللهِ لا يَجُرُّهُ حِرصُ حَرِيص ، ولا يَرُدُّه كراهِيَةُ كارِه

= المخلوق بما يجلب له سخط خالقه وربه ومليكه الذى يتصرف فى القلوب ويفرج الكروب ويغفر الذنوب ، وبهذا الاعتبار يدخل فى نوع من الشرك ، لأنه آثر رضى المخلوق على رضى الله وتقرب إليه بما يسخط الله ولا يسلم من ذلك إلا من سلمه الله ووفقه لمعرفته ومعرفة إثبات صفاته على ما يليق بجلاله ، وتنزيهه تعالى عن كل ما ينافى كماله ، ومعرفة توحيده فى ربوبيته وإلاهيته ، قاله فى فتح المجيد . وقال ابن رجب رحمه الله تعالى : فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب فكيف يقدم طاعة من هو تراب على طاعة رب الأرباب ؟ أو كيف يرضى التراب بسخط الملك الوهاب ؟ إن هذا لشىء عجاب

قوله (وأن تحمدهم على رزق الله) أى على ما وصل إليك من أيديهم بأن تضيفه إليهم وتحمدهم عليه ، والله تعالى هو الذى كتبه لك ويسره لك فإذا أراد أمراً قيض له أسباباً ، ولا ينافى هذا حديث « من لا يشكر الناس لا يشكر الله » لكون الله ساقه على أيديهم فتدعو لهم أو تكافئهم لحديث « من صنع إليكم معروفاً فكافئوه » الحديث

قوله (وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله) لأنه لم يقدر لك ما طلبته على أيديهم ، فلو قدر ساقه إليك ، فمن علم أن الله سبحانه هو المنفرد بالعطاء والمنع بمشيئته وإرادته وأنه الذى يرزق العبد بسبب وبلا سبب ومن حيث لا يحتسب لم يسأل حاجته إلا منه وحـــده ولم يمدح مخلوقاً على رزق ولم يذمه على منع ويفوض أمره إلى الله ويعتمد عليه فى أمر دينه ودنياه ، ولعل ما منع من ذلك يكون خيراً له ويحسن الظن بالله سبحانه ولا يرغب إلا إليه ولا يخاف إلا من ذنبه ، وقد قرر النبى ﷺ هـــذا المعنى بقوله « إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره » كما قال تعالى ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده ﴾ . قال شيخ الإسلام : اليقين يتضمن اليقين فى القيام بأمر الله وما وعد أهل طاعته ، ويتضمن القيام بقدر الله وخلقه وتدبيره فإذا أرضيتهم بسخط الله لم تكن موقناً لا بوعده ولا برزقه =

وعن عائشة رضى الله عنهـا أن رسولَ الله ﷺ قال : « مَنِ التمسَ رِضىٰ الله بِسَخَطِ الناسِ رَضِيَ اللهُ عنه وأرضىٰ عنه الناسَ ، ومَنِ التمسَ رِضَىٰ الناسِ بِسَخَطِ الله سَخِطَ اللهُ عليه وأسْخَطَ عليه الناس » رواه ابن حبّان فى صحيحه(١)

═ فإنه إنما يحمل الإنسان على ذلك إما ميل إلى ما فى أيديهم فيترك القيام فيهم بأمر الله لما يرجوه منهم ، وإما ضعف تصديقه بما وعد الله أهل طاعته من النصر والتأييد والثواب فى الدنيا والآخرة فإنك إذا أرضيت الله نصرك ورزقك وكفاك مؤنتهم وإرضاؤهم بما يسخط الله إنما يكون خوفا منهم ورجاء لهم وذلك من ضعف اليقين ، انتهى . وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة . وفيه أن اليقين يضعف ويقوى ، وعلامة ضعفه ومن ذلك هذه الثلاث . قاله المصنف رحمه الله تعالى . وفيه أن الإيمان يزيد وينقص ، وأن الأعمال داخلة فى مسمى الإيمان ، وإلا لم تكن هذه الثلاث من ضعفه وأضدادها من قوته ، قاله فى الشرح

(١) قوله (وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال « من التمس رضا الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس » رواه ابن حبان فى صحيحه) . ورواه الترمذى عن رجل من أهل المدينة قال : كتب معاوية رضى الله عنه إلى عائشة رضى الله عنها أن اكتبي لى كتابا توصينى فيه ولا تكثرى علىّ فكتبت عائشة رضى الله عنها إلى معاوية « سلام عليك ، أما بعد فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ، والسلام عليك » ورواه أبو نعيم فى الحلية

قوله (من التمس) أى طلب ، قال شيخ الإسلام : وكتبت عائشة رضى الله عنها إلى معاوية ، وروى أنها رفعته « من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئا » هذا لفظ المرفوع ، ولفظ الموقوف « من أرضى الله بسخط الناس رضى الله عنه ═

٣٣ - باب

قول الله تعالى ﴿ وعلى اللهِ فتوكَّلوا إنْ كنتم مُؤمِنِين[(١)] ﴾

= وأرضى عنه الناس ، ومن أرضى الناس بسخط الله عاد حامده من الناس له ذاما » . وهذا من أعظم الفقه فى الدين . فإن من أرضى الله بسخطهم كان قد اتقاه وكان عبده الصالح والله يتولى الصالحين والله كاف عبده ، ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ، والله يكفيه مؤنة الناس بلا ريب . وأما كون الناس كلهم يرضون عنه فقد لا يحصل ذلك لكن يرضون عنه إذا سلموا من الأغراض ، وإذا تبين لهم العاقبة ، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئا ، كالظالم الذى يعض على يديه . وأما كون حامده ينقلب ذاما فهذا يقع كثيراً ويحصل فى العاقبة فإن العاقبة للمتقين لا تحصل ابتداء . انتهى

(١) قوله (باب قول الله تعالى ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾) . أراد المصنف رحمه الله بالترجمة بهذه الآية بيان أن التوكل فريضة يجب إخلاصها لله تعالى فإن تقديم المعمول يفيد الحصر ، أى : وعلى الله فتوكلوا لا على غيره ، فهو من أجمع أنواع العبادة وأعظمها . قال الإمام أحمد : التوكل عمل القلب . وقال ابن القيم فى الآية المترجم بها : جعل التوكل على الله شرطا فى الإيمان فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه . وفى الآية الأخرى ﴿ وقال موسى ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾ فجعل دليل صحة الإسلام التوكل ، وكلما قوى إيمان العبد كان توكله أقوى ، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل وإذا كان التوكل ضعيفا كان دليلا على ضعف الإيمان ولا بد ، والله تعالى يجمع بين التوكل والعبادة ، وبين التوكل والإيمان ، وبين التوكل والتقوى ، وبين التوكل والإسلام ، وبين التوكل والهداية ، فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان ولجميع أعمال الإسلام ، وأن منزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس . فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن ، فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل . قال شيخ الإسلام رحمه الله : وما رجا أحد مخلوقا ولا توكل عليه إلا خاب ظنه فإنه مشرك ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ، انتهى . والتوكل على غير الله =

وقوله ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ[1] ﴾

= قسمان : أحدهما التوكل فى الأمور التى لا يقدر عليها إلا الله تعالى ، كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت فى رجاء مطالبهم من نصر أو حفظ أو رزق أو شفاعة ، فهذا شرك أكبر . الثانى التوكل فى الأسباب الظاهرة ، كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله عليه من رزق أو دفع أذى ونحو ذلك ، فهو نوع شرك أصغر . والوكالة الجائزة هى توكيل الإنسان فى فعل ما يقدر عليه نيابة عنه لكن ليس له أن يعتمد فى حصول ما وكل فيه بل يتوكل على الله فى تيسير أمره الذى يطلبه بنفسه أو بنائبه ، وذلك من جملة الأسباب التى يجوز فعلها ولا يعتمد عليها بل يعتمد على المسبب الذى أوجد السبب والمسبب ، قاله فى الشرح . وفى الآية أن التوكل من الفرائض وأنه من شروط الإيمان ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (وقول الله تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾) قال البغوى : أى خافت وفرقت قلوبهم ، وقيل : إذا خوفوا بالله انقادوا خوفا من عقابه ، قال ابن عباس رضى الله عنهما فى الآية أن المنافقين لا يدخل قلوبهم شىء من ذكر الله عند أداء فرائضه ولا يؤمنون بشىء من آياته ولا يتوكلون على الله ولا يصلون إذا غابوا ولا يؤدون زكاة أموالهم ، فأخبر الله أنهم ليسوا بمؤمنين ، ثم وصف المؤمنين فقال : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ فأدوا فرائضه . رواه ابن جرير وابن أبى حاتم .

وقوله (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً) أى تصديقاً ويقيناً . وقد استدل الصحابة والتابعون ومن تبعهم من أئمة السلف بهذه الآية ونظائرها على أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، قال عمير بن حبيب الصحابى : إن الإيمان يزيد وينقص ، فقيل له : وما زيادته وما نقصانه ؟ قال : إذا ذكرنا الله وخشيناه فذلك زيادته ، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه . وحكى الإجماع على ذلك الشافعى وأحمد وأبو عبيدة وغيرهم

وقوله (وعلى ربهم يتوكلون) أى يعتمدون عليه بقلوبهم مفوضين إليه أمورهم وحده لا شريك له ، فلا يرجون سواه ولا يقصدون إلا إياه ولا =

الآية . وقوله ﴿ يا أيُّهـا النبيُّ حَسْبُكَ الله ﴾ الآية [1].

= يرغبون إلا إليه ، يعلمون أن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة . وفي الآية وصف المؤمنين حقاً بثلاث مقامات من مقامات الإحسان وهي : الخوف ، وزيادة الإيمان ، والتوكل على الله وحده

وقوله (الذين يقيمون الصلاة) قال قتادة : إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبي ﷺ فيها هذا هو إقامتها

وقوله (ومما رزقناهم ينفقون) الإنفاق مما رزقهم الله يشمل إخراج الزكاة وسائر الحقوق للعباد من واجب ومستحب . قال قتادة في قوله ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ ، فانفقوا مما أعطاكم الله فإنما هذه الأموال عوار وودائع عندك يا ابن آدم أوشكت أن تفارقها . وهذه الأعمال الخمسة مستلزمة لباقي الواجبات فلذا اقتصر عليها . وفيه معرفة تفسير آية الأنفال ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) وقوله (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) أي كافيك وكافي أتباعك ، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى . قال ابن القيم رحمه الله : أي الله وحده كافيك وكافي أتباعك فلا تحتاجون معه إلى أحد فإن الحسب والكفاية لله وحده كالتوكل والتقوى والعبادة ، قال تعالى ﴿ وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴾ ففرق بين الحسب والتأييد فجعل الحسب له وحده وجعل التأييد له بنصره وبعباده ، وأثنى على أهل التوحيد من عباده حيث أفردوه بالحسب فقال تعالى ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ ولم يقولوا حسبنا الله ورسوله ، فإذا كان هذا قولهم ومدح الرب تعالى لهم فكيف يقول لرسول الله وأتباعك حسبك ، وأتباعه قد أفردوا الرب تعالى بالحسب ولم يشركوا بينه وبين رسوله ، فكيف يشرك بينه وبينهم في حسب =

﴿ ومَنْ يَتَوَكَّلْ على اللهِ فهو حَسْبُهُ ﴾

عن ابن عباس قال : ﴿ حَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوكيل[1] ﴾ قالهـا

= رسوله ﷺ هذا من أمحل المحال وأبطل الباطل انتهى ، وبهذا يتبين مطابقة الآية للترجمة ، فإذا كان هو الكافى لعبده وجب أن لا يتوكل إلا عليه ومتى التفت إلى سواه وكله الله إلى من التفت إليه . وفيه معرفة تفسير آية آخر الأنفال ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

وقوله (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ﴿ فهو حسبه ﴾ أى كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدو ، ولا يضره إلا أذى لا بد منه كالحر والبرد والجوع والعطش ، وأما أن يضره بما يبلغ به مراده فهذا لا يكون أبداً ، قال بعض السلف : جعل الله لكل عمل جزاء من نفسه وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته ، فقال ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ أى كافيه ، فلم يقل فله كذا وكذا من الأجر كما قال فى الأعمال بل جعل الله سبحانه نفسه كافى عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه ، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل الله له مخرجا وكفاه ونصره . انتهى . وفى الآية دليل على فضل التوكل وأنه أعظم الأسباب فى جلب المنافع ودفع المضار لأن الله تعالى علق الجملة الأخيرة على الأولى تعليق الجزاء على الشرط فيمتنع أن يكون وجود الشرط كعدمه لأنه تعالى رتب الحكم على الوصف المناسب له فعلم أن توكله هو سبب كون الله حسبا له ذكره شيخ الإسلام رحمه الله وفيها تنبيه على القيام بالأسباب مع التوكل ، فالتوكل بدون القيام بالأسباب المأمور بها عجز . وفيه معرفة تفسير آية الطلاق ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له : ﴿ إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ رواه البخارى والنسائى) وفى رواية ابن عباس قال : كان آخر قول ابراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار حسبنا الله ونعم الوكيل ، رواه البخارى .

قوله (حسبنا الله) أى كافينا فلا نتوكل إلا عليه

إبراهيم عليه السلام حينَ أُلْقِيَ في النار ، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا له ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً ﴾ الآية . رواه البخارى والنسائى .

وقوله (ونعم الوكيل) أى نعم الموكول إليه ، ومخصوص « نعم » محذوف تقديره هو ، قال ابن القيم : هو حسب من توكل عليه وكافى من لجأ إليه وهو الذى يؤمن خوف الخائف ويجير المستجير فمن تولاه واستنصر به وتوكل عليه تولاه وحفظه ، ومن خافه واتقاه أمنه مما يخاف ويحذر ، انتهى . قال شيخ الإسلام وما يروى أن الخليل لما ألقى فى المنجنيق قال جبريل : سل ؟ قال : حسبى من سؤالى علمه بحالى ، ليس له إسناد معروف وهو باطل . وقد روى أن جبريل عليه السلام قال : هل من حاجة ؟ قال : أما إليك فلا . وقد ذكر هذا الأثر الإمام أحمد وغيره ، وأما سؤال الخليل لربه عز وجل فهذا مذكور فى القرآن فى غير موضع فكيف يقول : حسبى من سؤالى علمه بحالى والله بكل شىء عليم ، وقد أمر العباد أن يعبدوه ويتوكلوا عليه ويسألوه لأن الله سبحانه جعل هذه الأمور أسبابا لما يرتبه عليها من إثابة العابدين وإجابة السائلين ، وهو سبحانه يعلم الأشياء على ما هى عليه فعلمه بأن هذا محتاج وهذا مذنب لا ينافى أن يأمر هذا بالتوبة والاستغفار ويأمر هذا بالدعاء ، وغيره من الأسباب التى تقضى بها حاجته كما يأمر هذا بالعبادة والطاعة التى ينال بها كرامته . انتهى

قوله (وقالها محمد ﷺ حين قالوا له ﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾. الآية) وذلك بعد منصرف قريش من أحد ، لقى أبو سفيان ركباً من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا نريد المدينة . قال : فهل أنتم مبلغون محمداً عنى رسالة قالوا : نعم . قال : أخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصلهم ، فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذى قال أبو سفيان ، فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل ، أى نعم من توكل عليه المتوكلون . ومخصوص نعم محذوف تقديره نعم الوكيل الله ، قاله فى قرة العيون ، فألقى الله الرعب فى قلب أبى سفيان فرجع إلى مكة بمن معه ، ففى هاتين القصتين فضل هذه الكلمة

٣٤ - باب

قول الله تعالى ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فلا يَأْمَن مَكْرَ اللهِ إلّا القومُ الخاسِرُون ﴾ (١)

= العظيمة ، وأما قول الخليلين عليهما السلام فى الشدائد قاله المصنف رحمه الله تعالى وجاء فى الحديث « إذا وقعتم فى الأمر العظيم فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل » ، رواه ابن مردويه

(١) **قوله** (باب قول الله تعالى ﴿ أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾) أراد المصنف رحمه الله بالترجمة بهذه الآية أن يبين أن أهل القرى المكذبين للرسل إنما حملهم على ذلك الأمن من مكر الله بهم وعدم خوفهم منه ، فالأمن من مكر الله من أعظم الذنوب المنافية لكمال التوحيد ، ودليل على ضعف الإيمان ، فمن أمن مكر الله لم يبال بما ترك من الواجبات وما فعل من المحرمات لعدم خوفه من الله ، بل يجب على الإنسان فى هذه الحياة أن يجمع بين الخوف والرجاء ، ولهذا عقب الآية التى ترجم بها بقوله : ﴿ ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ﴾ فلا يغلب عليه الرجاء حتى يوجب له الأمن من مكر الله ولا يغلب عليه الخوف حتى يقنط من رحمة الله بل يتساوى خوفه ورجاؤه وهذا مقام الأنبياء والصديقين كما قال تعالى ﴿ ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾ ولهذا يقال الخوف والرجاء بمنزلة الجناحين للطائر ، وأما عند الموت والانتقال إلى الدار الآخرة فيغلب الرجاء لما فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : يقول الله تعالى « أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملإ ، ذكرته فى ملإ خير منهم » وفى الحديث « إذا رأيت الله يعطى العبد على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج » قال تعالى ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾ وقال تعالى : ﴿ أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون ﴾ قال الحسن البصرى : من وسع عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأى له ، ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر له فلا رأى له . وقال قتادة : بغت القوم أمر الله وما أخذ =

وقوله : ﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلا الضَّالُّونَ[1] ﴾

عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن الكبائر فقال : « الشِّركُ بالله ، واليأسُ من رَوْحِ الله ، والأمْنُ من مَكرِ الله[2] » .

= الله قوما إلا عند سلوتهم وغرتهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله إنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون . وقال اسماعيل بن رافع : من الأمن من مكر الله إقامة العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة . رواه ابن أبي حاتم . وهذا هو تفسير المكر في قول بعض السلف يستدرجهم الله بالنعم ويملي لهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وهذا هو معنى المكر والخديعة . ذكره ابن جرير بمعناه . وفيه معرفة تفسير آية الأعراف . قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله تعالى (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) القنوط استبعاد الفرج واليأس منه وهو يقابل الأمن من مكر الله ، وكلا الأمرين ذنب عظيم ينافي كمال التوحيد . ومعنى الآية أن الملائكة لما بشرت إبراهيم بإسحق ﴿ قال : أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون ؟ قالوا بشرناك بالحق الذي لا ريب فيه فلا تكن من القانطين ﴾ أي الآيسين فقال عليه السلام « ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون » ، قال بعضهم إلا المخطئون طريق الصواب أو إلا الكافرون ، كقوله ﴿ إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾

(٢) قوله (وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر فقال « الشرك بالله ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله ») هذا الحديث رواه البزار وابن أبي حاتم من طريق شبيب بن بشر ، قال ابن معين ثقة ، ولينه أبو حاتم ، وقال ابن كثير في إسناده نظر والأشبه أن يكون موقوفا

قوله (الشرك بالله) بدأ به من باب البداءة بالأهم فالأهم وهو أكبر الكبائر . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : الشرك بالله هضم للربوبية وتنقص للإلهية وسوء ظن برب العالمين سبحانه ، قال في الكافية الشافية .

والشرك فاحذره فشرك ظاهر ذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن أيا كان من حجر ومن إنسان =

وعن ابن مسعود قال : أكبرُ الكبائرِ الإشراكُ بالله ، والأمنُ من مكرِ الله ، والقُنوطُ من رَحمةِ الله ، واليأسُ من رَوح الله . رواه عبد الرزاق[1]

= يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ويحبه كمحبة الديان
والله ما ساووهم بالله فى خلق ولا رزق ولا إحسان
لكنهم ساووهم بالله فى حب وتعظيم وفى إيمان
جعلوا محبتهم مع الرحمن ما جعلوا المحبة قط للرحمن

قوله (واليأس من روح الله) أى قطع الرجاء والأمل من الله فيما يخافه ويرجوه وذلك إساءة ظن بالله وجهل به وبسعة رحمته وجوده ومغفرته ، قاله فى فتح المجيد

قوله (والأمن من مكر الله) أى الأمن من استدراجه للعبد وسلبه ما أعطاه من الإيمان ـ نعوذ بالله من ذلك ـ وذلك جهل بالله وبقدرته وثقة بالنفس وعجب بها قاله فى الشرح . وهذه الثلاث من أكبر الكبائر وهى كثيرة جدا ، وإنما ذكر هذه الثلاث لجمعها للشر كله وبعدها عن الخير ، وقد وقع فيها كثير من الناس قديما وحديثا نسأل الله العافية قاله فى قرة العيون . واعلم أن هذا الحديث لا يدل على حصر الكبائر وضابطها ما قاله المحققون من العلماء أنها كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب زاد شيخ الإسلام أو نفى الإيمان ، وزاد فى فتح المجيد : من برئ منه رسول الله ﷺ أو قال ليس منا من فعل كذا وكذا

(١) قوله (وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال أكبر الكبائر الإشراك بالله ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله ، رواه عبد الرزاق ، قال فى الشرح ورواه ابن جرير بأسانيد صحاح ، وقد تقدم الكلام على ما جاء فى حديث ابن مسعود فأغنى عن إعادته . وفيه شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله وشدة الوعيد فى القنوط ، قاله المصنف رحمه الله

٣٥ – باب

مِنَ الإيمانِ باللهِ الصبرُ على أقدَارِ الله [١]

وقولِ الله تعالى ﴿ ومَنْ يُؤمِنْ باللهِ يَهْدِ قلبَه ﴾ [٢]

---

(١) قوله (باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله) قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : ذكر الله الصبر فى تسعين موضعاً من القرآن ، واشتقاقه من صَبر : إذا حبس ومنع . قال ابن القيم : الصبر حبس النفس عن الجزع ، واللسان عن التشكى والتسخط ، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوهما . والصبر ثلاثة أنواع : صبر على طاعة الله ، وصبر عن معصية الله ، وصبر على أقدار الله . زاد شيخ الإسلام نوعاً رابعاً وهو : الصبر عن الأهواء المخالفة للشرع . وقال عليه الصلاة والسلام « ما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر » متفق عليه ، وفى حديث آخر « الصبر نصف الإيمان » رواه أبو نعيم والبيهقى فى الشعب ، وقال على رضى الله عنه : الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ثم رفع صوته فقال : ألا لا إيمان لمن لا صبر له

(٢) قوله (وقول الله تعالى ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شىء عليم ﴾) وقبلها ﴿ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ﴾ أى بمشيئة وإرادته وحكمته ، ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ . قال ابن عباس : يهد قلبه لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه هذا تفسير الإيمان فى الآية . وفى الآية بيان أن من ثواب الصبر هداية القلب . قال ابن كثير : أى من أصابته مصيبة فعلم أنها بقدر الله فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله تعالى هدى الله قلبه وعوضه عما فاته من الدنيا هدى فى قلبه ويقينا صادقا ، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة

وقوله (والله بكل شىء عليم) تنبيه على أن ذلك إنما يصدر عن علمه تعالى المتضمن لحكمته وذلك يوجب الصبر والرضى

قال عَلقمةُ : هو الرجلُ تصيبُه المصيبةُ فيعلمُ أنّها من عنـدِ الله فيرضىٰ ويُسَلِّم(١)

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال « اثنتان فى الناس هما بهم كفر : الطَّعنُ فى النَّسب والنياحَةُ على الميت(٢) » .

---

(١) قوله (قال علقمة هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم) هذا الأثر رواه ابن جرير وابن أبى حاتم وهذا سياق ابن جرير . وعلقمة هو ابن قيس بن عبد الله النخعى الكوفى ولد فى حياة النبى ﷺ وسمع من أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وسعد وابن مسعود وعائشة وغيرهم رضى الله عنهم وهو من كبار التابعين وأجلائهم وعلمائهم وثقاتهم ، مات بعد الستين . وفى هذا دليل على أن الأعمال من مسمى الإيمان ، وقال سعيد بن جبير . ومن يؤمن بالله يهد قلبه يعنى يسترجع يقول إنا لله وإنا اليه راجعون . وفيه معرفة تفسير آية التغابن وأن هذا من الإيمان بالله قاله المصنف رحمه الله . وفى الآية أن الصبر سبب لهداية القلب وأن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وفيها إثبات القدر قاله فى الشرح

(٢) قوله (وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « اثنتان فى الناس هما بهم كفر : الطعن فى النسب والنياحة على الميت ») قال شيخ الإسلام : أى هاتان الخصلتان هما كفر قائم بالناس فنفس الخصلتين كفر حيث كانتا من أعمال الكفار وهما قائمتان بالناس لكن ليس من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافراً الكفر المطلق حتى يقوم به حقيقة الكفر كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان ، يصير مؤمناً الإيمان المطلق حتى يقوم به أصل الإيمان وفرق بين الكفر المعرف باللام كما فى قوله ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة ، وبين كفر منكر فى الإثبات انتهى .

قوله (الطعن فى النسب) أى عيبه ويدخل فيه أن يقال هذا ليس ابن فلان مع ثبوت نسبه . وفيه أن الطعن فى النسب من أمر الجاهلية ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

قوله (والنياحة على الميت) أى رفع الصوت بالندب وتعداد فضائله لما فيه من التسخط على قدر الله المنافى للصبر ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة .

ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً « ليسَ منّا مَن ضربَ الْخدود ، وشقَّ الْجيوبَ ، ودعا بدعوىٰ الجاهلية[1] »

= وفيه دليل على أن الصبر واجب وأن من الكفر ما لا ينقل عن الملة ، قاله فى الشرح

(١) قوله (ولهما) أى البخارى ومسلم (عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا أن النبى ﷺ قال « ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية ») وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة ، لما فى هذه الأمور من التسخط المنافى للصبر . وقد تأول بعضهم قوله « ليس منا » أى ليس من أهل طريقتنا ، وليس المراد إخراجه من الإسلام ، وفائدة إيراده بهذا اللفظ المبالغة فى الردع عن مثل ذلك ، وروى عن سفيان الثورى والإمام أحمد وغيرهما من أهل العلم أنهم كرهوا الخوض فى تأويله ويرون أن يمسك عن ذلك ليكون أوقع فى النفوس وأبلغ فى الزجر ، وقال شيخ الإسلام على حديث « من غشنا فليس منا » ليس المراد أنه كافر كما تأولته الخوارج ، ولا أنه ليس من خيارنا كما تأولته المرجئة ، ولكن المضمر يطابق المظهر ، والمظهر هم المؤمنون المستحقون للثواب السالمون من العذاب ، والغاش ليس منا لأنه متعرض لعذاب الله وسخطه انتهى .

قوله (من ضرب الخدود) أى : أو بقية البدن ، وإنما خص الخد لأنه الغالب .

قوله (وشق الجيوب) والمراد كمال فتحه ، قاله الحافظ ابن حجر

قوله (ودعا بدعوى الجاهلية) قال شيخ الإسلام هو ندب الميت . وقال ابن القيم الدعاء بدعوى الجاهلية كالدعاء إلى القبائل والعصبية الأنساب ومثله التعصب للمذاهب والطوائف والمشايخ ، وتفضيل بعضهم على بعض يدعو إلى ذلك ويوالى عليه ويعادى عليه فكل هذا من دعوى الجاهلية ، وليس فى هذه الأحاديث ما يدل على النهى عن البكاء على الميت لما فى الصحيح أن رسول الله ﷺ لما مات ابنه إبراهيم قال « تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضى =

وعن أنس أنَّ رسولَ الله ﷺ قال « إذا أراد الله بعبدِه الخيرَ عَجَّلَ له العقوبةَ فى الدُّنيا ، وإذا أراد بعبدِهِ الشَّرَّ أمسك عنه بذَنبِه حتى يُوافىَ بهِ يومَ القيامة [(١)] »

= الرب وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون » وقال شيخ الإسلام : البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب ولا ينافى الرضاء بقضاء الله ، بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه انتهى . وفيه شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية قال المصنف رحمه الله

(١) قوله (وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة ») هذا الحديث رواه للترمذى وحسنه والحاكم وأخرجه الطبرانى والحاكم عن عبد الله بن مغفل ، وأخرجه ابن عدى عن أبى هريرة والطبرانى عن عمار بن ياسر قاله فى الشرح ، وقال شيخ الإسلام : رواه الرويانى فى مسنده من طريق الليث عن يزيد بن أبى حبيب عن سعيد بن سنان عن أنس انتهى

قوله (إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا » أى على ذنوبه إذا صبر فيخرج منها وليس عليه ذنب يوافى به يوم القيامة . وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة وقال شيخ الإسلام : المصائب نعمة لأنها مكفرة للذنوب ولأنها تدعو إلى الصبر فيثاب عليها ولأنها تقتضى الإنابة إلى الله والذل فنفس البلاء يكفر الله به الخطايا ومعلوم أن هذا من أعظم النعم ولو كان الرجل من أفجر الناس ، فلا بد أن يخفف الله عنه عذابه بمصائبه . وقال يقول الله فى بعض الكتب « أهل ذكرى أهل مشاهدتى وأهل شكرى أهل زيادتى وأهل طاعتى أهل كرامتى وأهل معصيتى لأؤايسهم من رحمتى ، إن تابوا فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعائب فالمصائب نعمة ورحمة فى حق عموم الخلق إلا أن يدخل صاحبها بسببها فى معاص أعظم مما كان قبل ذلك فتكون شرا عليه من جهة ما أصابه فى دينه ، فإن من الناس من إذا ابتلى بفقر أو مرض أو =

وقال النبي ﷺ « إنَّ عِظَمَ الجزاء مع عِظَم البلاء »(١) وإنَّ اللهَ تعالى إذا

= جوع حصل له من الجزع والسخط والنفاق ومرض القلب والكفر الظاهر أو ترك الواجبات أو فعل المحرمات ما يوجب له ضررا فى دينه بحسب ذلك ، فهذا كانت العافية خيراً له من جهة ما أورثته المصيبة لا من جهة نفس المصيبة كما أن من أوجبت له المصيبة صبرا وطاعة كانت فى حقه نعمة دينية فهى بعينها فعل الرب عز وجل رحمة للخلق والله تبارك وتعالى محمود عليها ، فمن ابتلى فرزق الصبر كان الصبر نعمة فى دينه وحصل له مع ما كفر من خطاياه رحمة وحصل له بثنائه على ربه صلاة ربه عليه ، قال تعالى ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ﴾ وحصل له غفران السيآت ورفع الدرجات انتهى ملخصا

قوله (وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه تدينه حتى يوافى به يوم القيامة وهو بضم الياء وكسر الفاء منصوب بحتى مبنى للفاعل أى لا يجازى بذنبه فى الدنيا حتى يجىء يوم القيامة موفر الذنوب فيستوفى ما يستحقه من العذاب . وفيه معرفة علامة إرادة الله بعبده الخير وإرادته بعبده الشر . قاله المصنف رحمه الله تعالى . قلت : وفيه إثبات الإرادة لله عز وجل وهى نوعان : إرادة شرعية دينية وإرادة كونية قدرية فالسعيد من أراد منه تشريعاً ما أراد به تقديراً ، والشقى من أراد به تقديرا مالم يرد منه تشريعاً ، قاله شيخ الإسلام رحمه الله . وفيه التنبيه على حسن الرجاء وحسن الظن بالله فيما يقضيه لك ، كما قال تعالى ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾

(١) قوله (وقال ﷺ « إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضى ومن سخط فله السخط ») وهذا الحديث رواه الترمذى بسند الحديث الذى قبله ، ثم قال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، ورواه ابن ماجة . وروى الإمام أحمد عن محمود بن لبيد رفعه « إذا أحب الله قوما ابتلاهم ، فمن صبر فله الصبر ، ومن جزع فله الجزع » قال المنذرى رواته ثقات

وقوله (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء) بكسر العين وفتح الظاء فيهما =

أحبَّ قوماً ابتلاهم ، فمن رَضيَ فله الرِّضا ، ومن سَخِطَ فله السَّخَط »
حسَّنه الترمذي .

= ويجوز ضمها مع سكون الظاء ، أى من كان ابتلاؤه أعظم كان جزاؤه أعظم .
وقد يحتج بهذا الحديث من يقول إن المصائب يثاب عليها مع تكفير الخطايا ،
ورجح العلامة ابن القيم أن ثوابها تكفير الخطايا فقط إلا إذا كانت سببا لعمل
صالح كالصبر والرضى والاستغفار فإنه حينئذ يثاب على ما تولد منها

قوله (وأن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضى ومن سخط فله
السخط) حسنه الترمذى ولهذا سئل النبي ﷺ فى حديث سعد : أى الناس أشد
بلاء قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان فى
دينه صلابة اشتد بلاؤه ، وإن كان فى دينه رقة ابتلى على قدر دينه ، فما يبرح
البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة ، رواه الدارمى وابن
ماجه والترمذى وصححه . وهذا الحديث ونحوه من أدلة التوحيد فاذا عرف العبد
أن الأنبياء والأولياء يصيبهم البلاء فى أنفسهم الذى هو فى الحقيقة رحمة ولا
يدفعه عنهم إلا الله ، عرف أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً فلأن لا يملكوه
لغيرهم أولى وأحرى فيحرم قصدهم والرغبة اليهم فى قضاء حاجة أو تفريج كربة .
وفى وقوع الابتلاء بالأنبياء والصالحين من الأسرار والحكم والمصالح وحسن
العاقبة مالا يحصى ، قاله فى فتح المجيد

قوله (فمن رضى فله الرضى) أى من الله (ومن سخط) بكسر الخاء (فله
السخط) أى من سخط على الله فيما قضاه وقدره ، فله السخط أى من الله وكفى
بذلك عقوبة . وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة ، والرضى والسخط صفتان
وصف الله بهما نفسه فى كتابه . ومذهب السلف وأتباعهم من أهل السنة إثبات
الصفات التى وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ على ما يليق بجلاله
وعظمته إثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل . وقد يستدل بهذا الحديث من يرى
وجوب الرضاء كابن عقيل ، واختار القاضى عدم الوجوب ، ورجحه شيخ
الإسلام وابن القيم . قال شيخ الإسلام : ولم يجىء الأمر به كما جاء الأمر بالصبر
وإنما جاء الثناء على أصحابه ، قال وأما ما يروى : من لم يصبر على بلائى ولم يرض =

٣٦ - باب

ما جاء فى الرِّياء (١)

وقول الله تعالى ﴿ قلْ إِنّما أنا بَشَرٌ مثلُكم يُوحَىٰ إلىّ أنّما إلٰهُكم إلهٌ واحد (٢) ﴾ الآية

=بقضائى فاليتخذ رباً سوائى ، فهذا إسرائيلى لم يصح عن النبى ﷺ انتهى . قال شيخ الإسلام : وأعلى من ذلك - أى من الرضا - أن يشكر الله على المصيبة لما يرى من إنعام الله عليه بها انتهى . وفيه علامة حب الله تعالى للعبد وتحريم التسخط وثواب الرضاء بالبلاء ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (باب ما جاء فى الرياء) أى من النهى والتحذير وأنه شرك ينافى كمال التوحيد ، والرياء مشتق من الرؤية والمراد إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمد صاحبها . والفرق بين الرياء والسمعة أن الرياء لما يرى من العمل كالصلاة ، والسمعة لما يسمع كالقراءة والوعظ والذكر ويدخل فى ذلك التحدث بما عمله ، قاله الحافظ ابن حجر

(٢) قوله (وقول الله تعالى ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فاليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾) يقول تعالى لنبيه ﷺ : قل يا محمد للناس إنما أنا بشر مثلكم - أى فى البشرية - وليس لى من الربوبية ولا من الإلهية شىء بل ذلك لله وحده

وقوله (يوحى إلىّ أنما إلهكم إله واحد) أى معبودكم واحد لا شريك له (فمن كان يرجو لقاء به) أى من كان يخشى البعث فى الآخرة ، رواه ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير . قال شيخ الإسلام : أما اللقاء فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يقتضى المعاينة ، وقالوا لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى يوم القيامة وذكر الأدلة على ذلك

وقوله (فاليعمل عملا صالحا) قال ابن القيم رحمه الله تعالى : العمل الصالح هو السالم من الرياء المقيد بالسنة . وفى الآية دليل على أن أصل الدين الذى بعث الله به=

عن أبي هريرة مرفوعاً قال الله تعالى « أنا أَغْنَى الشُّرَكاء عن الشِّرْك ، مَن عَمِل عملاً أَشركَ معي فيه غيري تَرَكْتُه وشِرْكه » . رواه مسلم(١)

= رسوله والمرسلين قبله هو إفراد الله تعالى بأنواع العبادة كما قال تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ والمخالف لهذا الأصل من هذه الأمة إما طاغوت ينازع الله فى ربوبيته وإلاهيته ، ويدعو الناس إلى عبادته ، أو طاغوت يدعو الناس إلى عبادة الأوثان، أو مشرك يدعو غير الله ويتقرب اليه بأنواع العبادة أو بعضها ، أو شاك فى التوحيد أو جاهل يعتقد أن الشرك دين يقرب إلى الله ، وهذا هو الغالب على أكثر العوام لجهلهم وتقليدهم من قبلهم لما اشتدت غربة الدين ونسى العلم بدين المرسلين

وقوله (ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وأحداً نكرة فى سياق النهى ، نعم كل أحد سواء كان ملكا أو نبياً أو ولياً أو غيرهم . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة . وفيه معرفة تفسير آية الكهف ، قاله المصنف . وفيها دليل على الشهادتين وتسمية الرياء شركا والتصريح بأن الشرك الواقع من المشركين إنما هو فى العبادة ، والرد على من قال : أولئك يستشفعون بالأصنام ونحن نستشفع بصالح ، قاله فى الشرح

(١) قوله (وعن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا قال الله تعالى « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه » رواه مسلم) ولابن ماجة « فأنا منه برىء وهو للذى أشرك » قال الطيبى : الضمير المنصوب فى قوله « تركته » يجوز أن يرجع إلى العمل . قلت وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة . قال ابن رجب : واعلم أن العمل لغير الله أقسام تارة يكون رياء محضا كحال المنافقين الذين يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن فى فرض الصلاة والصيام ، وقد يصدر فى فرض الصدقة الواجبة أو الحج أو غيرهما من الأعمال الظاهرة أو التى يتعدى نفعها فإن الإخلاص فيها عزيز وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه =

وعن أبي سعيد مرفوعاً « أَلا أُخبرُكم بما هو أَخْوَفُ عليكم عندي مِنَ المسيح الدَّجَّال » ؟ قالوا : بلىٰ يا رسول الله . قال : « الشِّرْكُ الْخَفِيّ ؛ يقومُ الرجلُ فيصلِّي ، فيُزَيِّنُ صَلاتَهُ لما يَرَى من نظرِ رجُلٍ » رواه أحمد[1]

= يستحق المقت من الله والعقوبة . وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه وأما إذا كان أصل العمل لله ثم طرأ عليه نية الرياء فان كان خاطراً ثم دفعه فلا يضره بغير خلاف وإن استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا ويجازى على أصل نيته ، فى ذلك اختلاف بين العلماء من السلف ، قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك وأنه يجازى بنيته الأولى وهو مروى عن الحسن وغيره انتهى ملخصا . وذكر ابن جرير أن هذا الاختلاف إنما هو فى عمل مرتبط آخره بأوله كالصلاة والصيام والحج فأما مالا ارتباط فيه كالقراءة والذكر وإنفاق المال ونشر العلم فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه ويحتاج إلى تجديد نية انتهى . وفيه الأمر العظيم فى رد العمل الصالح إذا خالطه شيء لغير الله وذكر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغنى ، وأن من الأسباب أنه تعالى خير الشركاء قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (وعن أبي سعيد رضى الله عنه مرفوعا أن النبي ﷺ قال « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندى من المسيح الدجال ؟ » قالوا : بلى . قال « الشرك الخفى يقوم الرجل فيصلى فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل » رواه أحمد) وروى ابن خزيمة فى صحيحه عن محمود بن لبيد قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال « أيها الناس إياكم وشرك السرائر » قالوا يا رسول الله وما شرك السرائر ؟ قال « يقوم الرجل فيصلى فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل اليه فذلك شرك السرائر »

قوله (الشرك الخفى) سماه خفيا لأنه عمل قلب لا يعلمه إلا الله ولأن صاحبه يظهر أنه لله وقد قصد غيره أو شركه فيه بتزيين صلاته لأجله ولا خلاف أن =

٣٧ - باب

مِنَ الشرك إرادةُ الإنسان بعمله الدنيا (١)

= الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله وكذا المتابعة وعن شداد بن أوس رضى الله عنه قال : كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ الشرك الأصغر. رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الإخلاص وغيره . قال ابن القيم : وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء ، والتصنع للخلق ، والحلف بغير الله ، وقول الرجل للرجل ما شاء الله وشئت ، وهذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك ، ومالى إلا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك ، ولو الله وأنت لم يكن كذا وكذا ، وقد يكون هذا شركا أكبر بحسب حال قائله وقصده انتهى .

وقوله (كيسير الرياء) فدل على أن كثيره أكبر قاله فى الشرح . قال الفضيل ابن عياض فى قوله ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ قال أخلصه وأصوبه ، قيل يا أبا على ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا . فالخالص ما كان لله ، والصواب ما كان على السنة . وفى الحديث شفقته ﷺ على أمته ونصحه لهم وأن الرياء أخوف على الصالحين من فتنة الدجال ، قاله فى فتح المجيد . وفيه خوفه ﷺ على أصحابه من الرياء وأنه فسر ذلك بأن يصلى المرء لله لكن يزينها لما يرى من نظر رجل اليه ، قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله (باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا) أى عمله الصالح الذى يتقرب به إلى الله تعالى . وأراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة بيان أن العمل لأجل الدنيا كالرياء فى بطلان العمل إن استرسل معه كمن يطلب بعمله الصالح أمراً دنيوياً وهو شرك ينافى كمال التوحيد الواجب ويحبط الأعمال ، وهو أعظم من الرياء لأن مريد الدنيا قد تغلب إرادته تلك على كثير من عمله ، وأما الرياء فقد يعرض له فى عمل دون عمل ولا يسترسل معه ، قاله فى فتح المجيد والفرق بين هذا الباب والذى قبله أنه فى هذا إنما أراد بالعمل الصالح الذى يتقرب به إلى الله عرضاً من الدنيا ، وفى الذى قبله إنما أراد مراءات الناس =

وقول الله تعالى ﴿ مَن كان يُرِيدُ الحيـاةَ الدُّنيا وزِينَتها نُوَفِّ إليهم أعمالَهُمْ فيها[1] ﴾ الآيتين

= ليثنوا عليه وكلاهما مشرك خاسر وعمله حابط لأنه لم يرد بعمله وجه الله والدار الآخرة

(١) قوله (وقول الله تعالى ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفِّ إليهم أعمالهم فيها وهم لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾) قال ابن عباس: من كان يريد الحياة الدنيا أى ثوابها وزينتها أى مالها، نوف أى نوفر لهم ثواب أعمالهم بالصحة والسرور فى المال والأهل والولد، وهم فيها لا يبخسون لاينقصون ثم نسختها ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ﴾ الآيتين رواه النحاس فى كتاب الناسخ والمنسوخ له. وقوله: ثم نسختها أى قيدتها أو خصصتها فلم تبق الآية على إطلاقها، فان السلف كانوا يسمون التقييد والتخصيص نسخاً وإلا فالآية محكمة، قال الضحاك: من عمل صالحا من أهل الإيمان من غير تقوى عجل له ثواب عمله فى الدنيا، واختاره الفراء. قال ابن القيم وهذا القول هو الراجح انتهى. وقد سئل المصنف عن هذه الآية فأجاب بما حاصله ذكر عن السلف فيها أنواع مما يفعله الناس اليوم، فمن ذلك العمل الصالح الذى يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صلاة وصدقة وإحسان ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصاً لله، لكنه لايريد به ثواب الآخرة وإنما يريد به أن يحفظ الله ماله وينميه، أو حفظ أهله وعياله، ولاهمة له فى طلب الجنة والهرب من النار، فهذا يعطى ثواب عمله فى الدنيا وليس له فى الآخرة من نصيب، وهذا النوع ذكره ابن عباس. النوع الثانى وهو أكبر من الأول وأخوف وهو الذى ذكر مجاهد أن الآية نزلت فيه وهو أن يعمل أعمالا صالحة ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة. النوع الثالث أن يعمل أعمالا صالحة يقصد بها مالا مثل أن يحج لمال يأخذه أو يهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها أو يجاهد لأجل المغنم، فقد ذكر هذا النوع أيضا فى تفسير هذه الآية. النوع الرابع أن يعمل بطاعة الله =

في الصحيح[١] عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « تَعِسَ عبـــــدُ الدِّينار ، تَعِس عبدُ الدِّرهم ،

= مخلصا فى ذلك لله وحده لاشريك له لكنه على عمل يكفره كفراً يخرجه عن الإسلام ، مثل اليهود والنصارى إذا تصدقوا أو عبدوا الله أو صاموا ابتغاء وجه الله ، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر أو شرك أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله فى الدار الآخرة لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام وتمنع قبول أعمالهم فهذا النوع قد ذكر فى هذه الآية عن أنس بن مالك وغيره ، وكان السلف يخافون منها انتهى ملخصا . وفيه إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة ومعرفة تفسير آية هود قاله المصنف رحمه الله . وفى الآية أن الشرك محبط للأعمال وأن إرادة الدنيا وزينتها بالعمل كذلك وأن الله يجازى الكافر بحسناته فى الدنيا ، وكذلك طالب الدنيا ، ثم يفضى إلى الآخرة وليس له حسنة ، وشدة الوعيد على ذلك والفرق بين الحبوط والبطلان قاله فى الشرح

(١) قوله (وفى الصحيح) ـ أى صحيح البخارى ـ (عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة . إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه ، إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة ، وإن كان فى الساقة كان فى الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع »)

قوله (تعس) بكسر العين ويجوز الفتح أى سقط والمراد هنا هلك ، قاله الحافظ ابن حجر ، قال وهو ضد سعد أى شقى ، وقال أبو السعادات يقال تعس إذا عثر وانكب لوجهه وهو دعاء عليه بالهلاك

وقوله (عبد الدينار) هو المعروف من الذهب كالمثقال فى الوزن ، قاله فى فتح المجيد

قوله (تعس عبد الدرهم) وهو من الفضة قدره الفقهاء بالشعير وهو زنة خمسين حبة شعير وخمسا حبة

تَعِسَ عبدُ الخَمِيصة ، تَعِس عبدُ الخَمِيلة : إن أُعْطِىَ رضِى ، وإن لم يُعْطَ سَخِط . تَعِس وانتَكَسَ ، إذا شِيكَ فلا انتَقَش .

قوله (تعس عبد الخميصة) قال أبو السعادات هى ثواب خز أو صوف معلم ، وقيل لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداً معلمة

وقوله (تعس عبد الخميلة) بفتح الخاء المعجمة قال أبو السعادات الخمل والخميلة القطيفة ، وهى ثوب له خمل من أى شىء كان

وقوله (تعس وانتكس) قال الحافظ أى عاوده المرض ، وقال أبو السعادات أى انقلب على رأسه وهو دعاء عليه بالخيبة لأن من انتكس فى أمره فقد خاب وخسر

وقوله (وإذا شيك فلا انتقش) قال أبو السعادات أى إذا شاكته شوكة فلا يقدر على انتقاشها وهو إخراجها بالمنقاش . قال شيخ الإسلام سماه النبى ﷺ عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة وذكر فيه ماهو دعاء وخبر وهو قوله : تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش وهذه حال من أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح لكونه تعس وانتكس فلا نال المطلوب ولا خلص من المكروه وهذه حال من عبد المال وقد وصف بأنه إن أعطى رضى وإن منع سخط ، كما قال تعالى ﴿ ومنهم من يلمزك فى الصدقات ، فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ﴾ فرضاهم لغير الله وسخطهم لغير الله وهكذا حال من كان متعلقا برياسة أو بصورة أو نحو ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضى وإن لم يحصل له سخط فهذا عبد ما يهواه من ذلك وهو رقيق له إذ الرق والعبودية فى الحقيقة رق القلب وعبوديته فما أشرق القلب واستعبده فهو عبده . وهذه الأمور نوعان فمنها ما يحتاج اليه العبد كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك فهذا يطلبه من الله ويرغب اليه فيه فيكون المال عنده يستعمله فى حاجته بمنزلة حماره الذى يركبه وبساطه الذى يجلس عليه من غير أن يستعبده فيكون هلوعا . ومنها ما لا يحتاج اليه العبد فهذا ينبغى له أن لا يعلق قلبه بها فإذا تعلق قلبه بها صار مستعبدا لها وربما صار مستعبداً لها معتمدا على غير الله فيها فلا

طوبىٰ لعبدٍ أَخَـــذ بِعِنَانِ فَرَسِه فى سبيلِ الله ، أَشْعَثَ رأسهُ

= يبق معه حقيقة العبودية ولا حقيقة التوكل على الله بل فيه شعبة من العبادة لغير الله وشعبة من التوكل على غير الله وهذا من أحق الناس بقوله ﷺ « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة » وهذا عبد لهذه الأمور ولو طلبها من الله فإن الله إذا أعطاه إياها رضى وإن منعه إياها سخط وإنما عبد الله ما يرضيه مايرضى الله ويسخطه ما يسخط الله ويحب ما أحب الله ورسوله ويبغض ما أبغض الله ورسوله ويوالى أولياء الله ويعادى أعداء الله فهذا الذى استكمل الإيمان انتهى ملخصا . وفيه تسمية المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة وتفسير ذلك بأنه إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط .
وقوله : (تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش) قاله المصنف رحمه الله والمراد أن من كانت هذه حاله فانه يستحق أن يدعى عليه بما يسوؤه فى العواقب ومن كانت هذه حاله فلابد أن يجد أثر هذه الدعوات فى الوقوع فيما يضره فى عاجل دنياه وآجل أخراه قاله فى فتح المجيد

قوله (طوبى لعبد) قال أبو السعادات طوبى اسم الجنة وقيل شجرة فيها ويؤيد هذا ماروى ابن وهب بسنده عن أبى سعيد قال : قال رجل يارسول الله : وما طوبى ؟ قال « شجرة فى الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها » ورواه الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى سمعت عبد الله بن لهيعة حدثنا دراج أبو السمح أن أبا الهيثم حدثه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أن رجلا قال : يارسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك ، قال « طوبى لمن رآنى وآمن بى وطوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى » قال رجل : وما طوبى ؟ قال شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها . وله شواهد فى الصحيحين وغيرهما قاله فى فتح المجيد

وقوله (أخذ بعنان فرسه فى سبيل الله) أى فى جهاد المشركين

قوله (أشعث رأسه) بنصب أشعث صفة لعبد غير مصروف للوصف ووزن الفعل ورأسه مرفوع فاعل أى شغله الجهاد فى سبيل الله عن التنعم بالادهان وتسريح الشعر

مغبرّةٍ قَدَماه ، إن كان فى الحِراسة كان فى الحراسة ، وإن كان فى الساقَةِ كان فى الساقةِ ، إن استأذَنَ لم يُؤْذَنْ له ، وإن شَفَع لم يُشَفَّع » .

وقوله (مغبرة قدماه) بالجر صفة ثانية لعبد . وفيه فضل إصابة الغبار فى سبيل الله قاله فى الشرح

وقوله (إن كان فى الحراسة) بكسر الحاء أى حماية الجيش عن أن يهجم عليهم العدو كان فى الحراسة أى قام بواجبها غير مقصر فيها

قوله (وإن كان فى الساقة) أى مؤخر الجيش ، كان فى الساقة أى صار فيها ولزمها . وقال ابن الجوزى : المعنى أنه خامل الذكر لايقصد السمو فأى موضع اتفق له كان فيه ، وقال غيره : المعنى ائتماره لما أمر وإقامته حيث أقيم لايفقد من مقامه . وفيه فضل الحراسة فى سبيل الله ، قاله فى الشرح وروى الإمام أحمد عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال : قال عثمان رضى الله عنه وهو يخطب على المنبر : إنى أحدثكم حديثا سمعته من رسول الله ﷺ لم يكن يمنعنى أن أحدثكم به إلا الظن بكم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « حرس ليلة فى سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها »

وقوله (إن استأذن لم يؤذن له) أى إن استأذن على الأمراء ونحوهم لم يؤذن له لأنه ليس له جاه ولا منزلة عندهم

قوله (وإن شفع) أى عندهم لم يشفع بفتح الفاء مشدداً أى لم تقبل شفاعته ، وفى الحديث الذى رواه الإمام أحمد ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا « رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه » وفيه ترك حب الرياسة والشهرة وفضل الخمول والتواضع ، قاله الحافظ ابن حجر . وفيه الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات ، قاله المصنف رحمه الله تعالى .

٣٨ - باب

مَنْ أطاعَ العلماء والأمراءَ فى تحريم ما أحلَّ الله أو تحليل ما حرَّمَه فقد اتَّخذهم أرباباً (١)

وقال ابنُ عباس (٢) . يُوشِكُ أن تنزلَ عليكم حِجَارةٌ من السماء

---

(١) قوله (باب من أطاع العلماء والأمراء فى تحريم ما أحل الله ، أو تحليل ما حرم فقد اتخذهم أرباباً من دون الله) لما كانت العبادة هى طاعة الله تعالى بامتثال ما أمر به على ألسنة رسله عليهم السلام نبه المصنف رحمه الله بهذه الترجمة على وجوب اختصاص الخالق تبارك وتعالى بالطاعة فلا يطاع أحد من الخلق إلا إذا كانت طاعته مندرجة تحت طاعة الله وإلا فلا تجب طاعة أحد استقلالا ، وأما قوله ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾ قيل هم العلماء وقيل هم الأمراء وهما روايتان عن أحمد . قال ابن القيم : والتحقيق أن الآية تعم الطائفتين ، فإنما تجب طاعتهم إذا أمروا بطاعة الله وطاعة رسوله ، فكان العلماء مبلغين لأمر الله ورسوله ، والأمراء منفذين له فتجب طاعتهم تبعاً لطاعة الله ورسوله ، وفى الحديث « إنما الطاعة فى المعروف » وقال ﷺ « على المرء السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »

(٢) قوله (وقال ابن عباس رضى الله عنهما : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول قال رسول الله ﷺ وتقولون قال أبو بكر وعمر)

قوله (يوشك) بضم أوله وكسر الشين المعجمة أى يقرب ويدنو ويسرع قاله أبو السعادات

وقوله (أن تنزل عليكم حجارة من السماء فتثلغ رؤوسكم ، أقول . قال رسول الله ﷺ وتقولون قال أبو بكر وعمر) . وسبب قول ابن عباس هذا ما رواه الأثرم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : تمتع رسول الله ﷺ فقال عروة بن الزبير : نهى أبو بكر وعمر عن المتعة فقال ابن عباس أراهم سيهلكون . أقول قال رسول الله ﷺ ويقولون قال أبو بكر وعمر ، وهذا هو =

أقول : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر . وقال

= الشاهد من قول ابن عباس المترجمة وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما لا يريان التمتع بالعمرة إلى الحج ويريان أن إفراد الحج أفضل ، وأن يفرد الحج بسفر والعمرة بسفر ليكثر تردد الناس إلى البيت ، وابن عباس يرى أن التمتع بالعمرة إلى الحج واجب ، ويقول إذا طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط فقد حل من عمرته شاء أم أبى الحديث سراقة بن مالك حين أمرهم النبي ﷺ أن يجعلوها عمرة ويحلوا إذا طافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة ، فقال سراقة ألعامنا هذا أم للأبد ؟ فقال : بل للأبد ، والحديث في الصحيحين ، وكان شيخ الإسلام يقول : فرض على الصحابة فسخ الحج إلى العمرة لأمر الرسول ﷺ لهم به ، وأما الجواز والاستحباب فللأمة إلى يوم القيامة لكن أبى ذلك ابن عباس وجعل الوجوب الأمة إلى يوم القيامة وأن فرضا على كل مفرد وقارن لم يسق الهدى أن يحل ولا بد بل قد حل وإن لم يشأ . قال ابن القيم : وأنا إلى قوله أميل منى إلى قول شيخنا انتهى . وإذا كان هذا قول ابن عباس لمن عارض قول الرسول ﷺ بقول أبي بكر وعمر فما ذا يقول فيمن يعارض سنن الرسول ﷺ بقول شيخه أو إمام مذهبه فما وافق مذهبه أو قول شيخه قبله وما خالفه رده أو تأوله . وقد قال الشافعي : أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد وحينئذ فلا عذر لمن استفتى أن ينظر في مذاهب العلماء وما استدل به كل إمام ويأخذ من أقوالهم ما دل عليه الدليل إذا كان له ملكة يقتدر بها على ذلك ، وأن من بلغه الدليل فلم يأخذ به فإنه يجب الإنكار عليه بالتغليظ فيجب الإنكار على من ترك الدليل لقول أحد من العلماء كائناً من كان ونصوص الأئمة على هذا وأنه لا يسوغ التقليد إلا في مسائل الاجتهاد التي لا دليل فيها من كتاب ولا سنة . فهذا هو الذي عناه العلماء بقولهم لا إنكار في مسائل الاجتهاد . وأما من خالف الكتاب والسنة فيجب الرد عليه كما قال ابن عباس والإمام أحمد وذلك مجمع عليه قاله في فتح المجيد

أحمدُ بن حنبَل : عجِبْتُ لقوم عَرَفُوا الإسنادَ وصِحَّتَه ، يَذْهَبونَ إلى رأى سُفيان[1] ، واللهُ تعالى يقول ﴿ فَلْيَحْذَرِ الّذِين يُخالفونَ عن

(١) قوله (وقال الإمام أحمد : عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأى سفيان والله يقول ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ أتدرى ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع فى قلبه شىء من الزيغ فيهلك) وكلام الإمام أحمد هذا رواه عنه الفضل ابن زياد وأبو طالب ، قال الفضل قال أحمد : نظرت فى المصحف فوجدت طاعة الرسول فى ثلاثة وثلاثين موضعاً ، ثم جعل يتلو ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ وجعل يكررها ويقول : وما الفتنة إلا الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع فى قلبه شىء من الزيغ فيهلك وجعل يتلو هذه الآية : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ وقال أبو طالب قيل لأحمد إن قوماً يدعون الحديث ويذهبون إلى رأى سفيان فقال عجبت لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الإسناد وصحته يدعونه ويذهبون إلى رأى سفيان وغيره قال الله ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ وتدرى ما الفتنة الكفر ، قال الله تعالى ﴿ والفتنة أكبر من القتل ﴾ فيدعون الحديث عن رسول الله ﷺ وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأى

وقوله (عرفوا الإسناد) أى إسناد الحديث وصحته أى صحة الإسناد ، وصحته دليل على صحة الحديث

وقوله (يذهبون إلى رأى سفيان) أى الثورى الإمام الزاهد العابد الفقيه كان له أصحاب ومذهب انقرض . وفيه معرفة تفسير آية النور ، وتمثيل ابن عباس بأبى بكر وعمر وتمثيل أحمد بسفيان . قاله المصنف رحمه الله تعالى . وهذا هو الشاهد من كلام أحمد للترجمة . وقد عمت البلوى بهذا المنكر الذى أنكره الإمام أحمد خصوصاً فيمن ينتسب إلى العلم والإفتاء والتدريس وزعموا أنه لا يأخذ بأدلة الكتاب والسنة إلا المجتهد والاجتهاد قد انقطع وقد أخطأوا فى ذلك وقد استدل الإمام أحمد رحمه الله تعالى بقوله ﷺ « لا تزال طائفة من أمتى على =

أمرِهِ أَنْ تُصيبهم فِتْنَةٌ أو يُصيبهم عَذابٌ أليم ﴾ أتدرى ما الفِتْنَةُ ؟ الفتنةُ الشرك ، لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقعَ فى قلبه شىء من الزَّيغ فيهلك .

عن عَدِىّ بن حاتم[١] أنه سمعَ النبىَّ ﷺ يقرأ هــذه الآية ﴿ اتَّخذوا أَحْبارَهم ورُهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ الآية . فقلتُ له

= الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك ، على أن الاجتهاد لا ينقطع ، قاله فى قرة العيون

وقوله (لعله إذا رد بعض قوله) أى النبى ﷺ أن يقع فى قلبه شىء من الزيغ فيهلك ، وهذا تنبيه على أن رد قول الرسول ﷺ سبب لزيغ القلب الذى هو سبب الهلاك ، لأن مخالفة أمر الرسول ﷺ مخالفة لأمر المرسل واستخفاف بحق الآمر كما فعل إبليس لعنه الله

(١) قوله (عن عدى بن حاتم) بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بفتح الحاء الطائى المشهور بالسخاء والكرم . قدم عدى على النبى ﷺ فى شعبان سنة تسع من الهجرة فأسلم وعاش مائة وعشرين سنة وكان من متنصرة العرب (أنه سمع النبى ﷺ يقرأ هذه الآية ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ فقلت له إنا لسنا نعبدهم ؟ قال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟ فقلت بلى ، قال : فتلك عبادتهم . رواه أحمد والترمذى وحسنه) . وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة ، وفى الحديث دليل على أن طاعة الأحبار والرهبان فى معصية الله عبادة لهم من دون الله ، ومن الشرك الأكبر الذى لا يغفره الله ، لقوله فى آخر الآية ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ قاله فى فتح المجيد . قال شيخ الإسلام فما أحلوه مما حرمه الله استحلال لحم الخنزير وإسقاط الختان =

إنا لسنا نعبُدهم ، قال « أليس يُحَرّمون ما أحلّ الله ، فتحرّمُونه . ويُحِلّون ما حرّمَ الله ، فتحلّونه ؟ فقلت : بلى . قال فتلك عبادتهم » . رواه أحمد والترمذى وحسّنه

= والصلاة إلى المشرق وزيادة الصوم ونقله من زمان إلى زمان واتخاذ الصور فى الكنائس وتعظيم الصليب واتباع الرهبانية، قال هذه كلها خالفوا فيها شرع الله الذى بعث به الأنبياء . وقال أيضاً وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله على وجهين : أحدهما أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر ، وقد جعله الله ورسوله شركا وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون . الثانى أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتاً لكنهم أطاعوهم فى معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصى التى يعتقد أنها معاصى فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب كما ثبت فى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال « إنما الطاعة فى المعروف » وفى الحديث دليل على أن طاعة الأحبار والرهبان فى معصية الله عبادة لهم من دون الله ، وأما طاعة الأمراء ومتابعتهم فيما يخالف ما شرعه الله ورسوله فقد عمت بها البلوى قديماً وحديثاً فى أكثر الولاة بعد الخلفاء الراشدين وهلم جرا . وقد قال تعالى ﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ قاله فى فتح المجيد . وفيه معرفة تفسير آية براءة والتنبيه على معنى العبادة التى أنكرها عدى وتغير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هى أفضل الأعمال وتسمى الولاية ، وعبادة الأحبار هى العلم والفقه ثم تغيرت الحال إلى أن من عبد دون الله من ليس من الصالحين وعبد بالمعنى الثانى من هو من الجاهلين ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

وقوله (حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هى أفضل الأعمال) يشير إلى ما يعتقده كثير من الناس فيمن ينتسب إلى الولاية من الضر والنفع ويسمون ذلك الولاية والسر وهو الشرك

٣٩ - باب

قول الله تعالى ﴿ أَلَم تَرَ إلى الذين يَزْعمون أنهم آمَنوا بمـا أُنزِلَ إليكَ وما أُنزِلَ من قبلكَ يُريدونَ أَن يَتَحَاكموا إلى الطَّاغُوتِ[1] .

وقـــــــــــــــد أُمِرُوا أن يكفرُوا به ،

وقوله (وعبادة الأحبار) هى العـــلم والفقه المؤلف على مذاهب الأئمة فيطيعونهم فى كل ما يقولون سواء وافق حكم الله أم لا بل يصرحون فإنه لا يحل العمل بالـكتاب والسنة ولا تلقى العلم والهدى منها

وقوله (ثم تغيرت الأحوال) إلى أن عبد من ليس من الصالحين كاعتقادهم فيمن ينتسب إلى الولاية من الفساق والمجاذيب

وقوله (وعبد) بالمعنى الثانى من هو من الجاهلين كاعتقادهم العلم فى أناس من جهلة المقلدين قاله فى الرياح

(١) قوله (باب قول الله تعـالى ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بمـا أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً ﴾) قال ابن كثير : هذه الآية ذامة لمن عدل عن الـكتاب والسنة وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت هاهنا . وفيه معرفة تفسير الآية وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت قاله المصنف رحمه الله تعالى

قوله (وقد أمروا أن يكفروا به) أى بالطاغوت فالـكفر بالطاغوت ركن التوحيد فلا يصح الإيمان بالله إلا بالـكفر بالطاغوت فمن لم يكفر بالطاغوت لم يؤمن بالله . قال الإمام مالك رحمه الله : الطاغوت ما عبد من دون الله . قال ابن القيم رحمه الله : الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله ، فهذه طواغيت العالم إذا تأملت أحوال الناس معها رأيت أن أكثرهم ممن أعرض عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت ومتابعته . انتهى

ويريدُ الشيطانُ أن يُضِلَّهم ضَلالًا بعيداً ﴾ الآيات . وقوله ﴿ وإذا

وقوله (ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً) تضمنت هذه الآية أربعة أمور : الأول أنه من إرادة الشيطان يعني التحا كم إلى الطاغوت . الثـانى أنه ضلال . الثـالث تأكيده بالمصدر . الرابع وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدى .

وقوله (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) قال ابن القيم : هذا دليـل على أن من دعى إلى التحا كم إلى الـكتاب والسنة فأبى أنه من المنافقين

قوله (ويصدون) لازم وهو بمعنى يعرضون لأن مصدره صدوداً فما أ كثر من اتصف بهذا الوصف خصوصاً من يدعي العلم فإنهم صدوا عما توجبه الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله إلى أقوال من يخطىء كثيراً ممن ينتسب إلى الأئمة الأربعة فى تقليدهم من لا يجوز تقليده واعتمادهم على قول من لا يجوز الاعتماد على قوله ، ويجعلون قوله المخالف لنص الـكتاب والسنة وقواعد الشريعة هو المعتمد عندهم الذى لا تصح الفتوى إلا به فصار المتبع لسنة الرسول ﷺ بين أولئك غريباً . انتهى

وقوله (فـكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم) قال ابن القيم المصيبة فضيحتهم إذا نزل القرآن بحـالهم ولا ريب أن المصائب التى تصيبهم بمـا قدمت أيديهم فى أبدانهم وقلوبهم وأديانهم بسبب مخالفة الرسول أعظمها مصائب القلب والدين . فيرى المعروف منكراً والهدى ضلالا ، والرشاد غياً والجود باطلا ، والصلاح فساداً ، وهذا من المصيبة التى أصيب بها فى قلبه

وقوله (ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ﴿٦٢﴾)
أى المداراة والمصالحة وتوفيقاً بين الخصمين

وقوله (أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم) قال ابن كثير أى هذا الضرب من الناس هم المنافقون ، والله أعلم بما فى قلوبهم وسيجزيهم على ذلك

وقوله (فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا) . قال ابن القيم =

قيلَ لهم لا تُفسِدُوا فى الأرضِ قالوا إنّما نحنُ مُصلِحون[1] ﴾. وقوله ﴿ ولا تُفسِدوا فى الأرض بعد إصلاحها[2] ﴾ . وقوله ﴿ أَفَحُكمَ

= أمر الله رسوله ﷺ فيهم بثلاثة أشياء : أحدها الإعراض عنهم إهانة لهم وتحقيراً لشأنهم وتصغيراً لأمرهم لا إعراض متاركة وإهمال ، وبهذا يعلم أنها غير منسوخة . والثانى قوله : وعظهم وهو تخويفهم عقوبة الله وبأسه ونقمته إن أصروا على التحاكم إلى غير رسوله وما أنزل عليه . والثالث وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغاً أى يبلغ تأثيره إلى قلوبهم ، ليس قولا ليناً لا يتأثر به المقول له ، وهذه المادة تدل على بلوغ المراد بالقول ، فهو قول يبلغ به مراد قائله من الزجر والتخويف وهذا القول البليغ يتضمن ثلاثة أمور : أحدها عظم معناه وتأثر النفوس به . الثانى فخامة لفظه وجزالته . الثالث كيفية القائل فى إلقائه إلى المخاطب فإن القول كالسهم والقلب كالقوس الذى يدفعه وكالسيف والقلب كالساعد الذى يضرب به . انتهى

(١) قوله (وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون) قال أبو العالية فى الآية ﴿ لا تفسدوا فى الأرض ﴾ يعنى لا تعصوا فى الأرض ، لأن من عصى الله فى الأرض أو أمر بمعصية الله فقد أفسد فى الأرض لأن صلاح الأرض والسماء إنما هو بطاعة الله ورسوله ، ومناسبة الآية للترجمة أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعمال المنافقين وهو من الفساد فى الأرض ، قاله فى فتح المجيد . وفيه معرفة تفسير آية البقرة ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض ﴾ قاله المصنف رحمه الله

(٢) وقوله (ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها) قال أبو بكر بن عياش فى الآية : إن الله بعث محمداً إلى أهل الأرض وهم فى فساد فأصلحهم الله بمحمد ﷺ فمن دعى إلى خلاف ما جاء به محمد ﷺ فهو من المفسدين فى الأرض وقال ابن القيم : قال أكثر المفسرين : لا تفسدوا فيها بالمعاصى والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله لها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله ، فإن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم فساد فى الأرض ، بل فساد الأرض فى الحقيقة إنما هو بالشرك به ومخالفة أمره ، ولا صلاح لها =

الجـــــــــــــاهلِيَّــةِ يَبْغُون (١) ﴾ الآية .

= ولا لأهلها إلا أن يكون الله وحده هو المعبود المطاع والدعوة له لا لغيره والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا ، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ ، فإذا أمر بمعصيته فلا سمع ولا طاعة ، ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح فى الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله ، وكل شر فى العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة الى غير الله ورسوله ، انتهى ملخصاً . ووجه مناسبة الآية للترجمة أن التحاكم الى غير الله ورسوله من أعظم ما يفسد الأرض من المعاصى ، فلا صلاح لها إلا بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله قاله فى فتح المجيد . وفيه معرفة تفسير آية الأعراف ﴿ ولا تفسدوا الأرض بعد إصلاحها ﴾ قاله المصنف رحمه الله

(١) وقوله تعالى (أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) قال ابن كثير : ينكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى المشتمل على كل خير والناهى عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التى وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات كما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكيز خان الذى وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب أحكام اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وفيها كثير من الأحكام أخــذها من مجرد نظره وهواه فصارت فى بنيه شرعاً يقدمونها على الحكم بالكتاب والسنة فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم بسواه فى قليل ولا كثير . وفيه معرفة تفسير ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾ قاله المصنف

وقوله (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) استفهام إنكار أى لا حكم أحسن من حكمه تعالى وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس له فى الطرف الآخر مشارك ، أى ومن أعدل من الله حكماً لمن عقل عن الله شرعه وآمن وأيقن أنه تعالى أحكم الحاكين ، الحكيم فى أقواله وأفعاله وشرعه وقدره ، وفى الآية التحذير من حكم الجاهلية واختياره على حكم الله ورسوله فمن فعل ذلك فقد أعرض عن الأحسن وهو الحق إلى ضده من الباطل قاله فى فتح المجيد

عن عبد الله بن عمرو [١] أنَ رسولَ الله ﷺ قال « لا يُؤمنُ أحدُكمْ حتى يكونَ هَوَاهُ تبعاً لمـا جئتُ به » قال النَّوَوِيّ : حـديث صحيح ، رويناه فى كتاب الحجة بإسناد صحيح

---

(١) قوله (عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » قال النووى حديث صحيح رويناه فى كتاب الحجة بإسناد صحيح) هذا الحديث رواه الشيخ أبو الفتح نصر ابن ابراهيم المقدسى الشافعى فى كتاب الحجة على تارك المحجة بإسناد صحيح كما قاله النووى ورواه الطبرانى وأبو بكر بن عاصم والحافظ أبو نعيم فى الأربعين التى شرط لها أن تكون من صحيح الأخبار . قال ابن رجب : تصحيح هـذا الحديث بعيد جـداً من وجوه ذكرها وتعقبه بعضهم ، قلت ومعناه صحيح قطعاً وإن لم يصح إسناده وأصله فى القرآن كثير كقوله ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ الآية قاله فى الشرح

قوله (لا يؤمن أحدكم) أى لا يكون من أهل كمال الإيمان الواجب الذى وعد أهله عليه بدخول الجنة والنجاة من النار

قوله (حتى يكون هواه تبعا لمـا جئت به) الهوى بالقصر ما يهواه وتحبه نفسه فإن كان الذى يحبه وتميل إليه نفسه تابعا لما جاء به الرسول ﷺ فهذه صفة أهل الإيمان المطلق وإن كان بخلاف ذلك أو فى بعض أحواله أو أكثرها انتفى عنه من الإيمان كماله الواجب ونزل عنه فى درجة الإسلام كما فى حديث أبى هريرة « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » الحديث فلا يطلق عليه الإيمان إلا بقيد المعصية أو الفسوق فيقال مؤمن عاص أو مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته فيكون معه مطلق الإيمان الذى لا يصح إسلامه إلا به ، والذى عليه سلف الأمة وأئمتها أن الإيمـــان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى خلافا لمن قال إن الإيمـان هو القول وهم المرجئة ، ومن قال هو التصديق كالأشاعرة ، ومن المعلوم عقلا وشرعا أن نية الحق تصديق ، والعمل به تصديق ، وقول الحق تصديق ، وليس مع أهل البدع =

وقال الشّعبيُّ [1] : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خُصومة ، فقال اليهوديّ : نتحاكم إلى محمــد - عَرَف أنه لا يأخذ الرّشوة - وقال المنافق : نتحاكم إلى اليهود . لعلمــه أنهم يأخذون الرشوة . فاتفقا على أن يأتيا كاهناً فى جُهَينة فيتحاكما إليه ، فنزلتْ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ الآية . وقيل : نزلت فى رجُلين اختصما

= ما ينافى قول أهل السنة والجماعة ولله الحمد والمنة . انتهى ملخصا من فتح المجيد . وأما الخوارج الذين يكفرون بالذنوب فيخرجون الزانى والسارق من الإسلام ويحكمون بكفره وتخليده فى النار . والمعتزلة يقولون ليس بمؤمن ولا كافر له منزلة بين المنزلتين ومع ذلك فهو مخلد فى النار ، ومناسبة الحديث للترجمة بيان الفرق بين أهل الإيمان وأهل النفاق والمعاصى فى أقوالهم وأفعالهم وإراداتهم ، قاله فى فتح المجيد

(١) قوله (وقال الشعبى) - بفتح الشين - وهو عامر بن شراحيل الكوفى أبو عمرو ثقة مشهور فقيه فاضل . قال مكحول ما رأيت أفقه منه عالم أهل زمانه أدرك خلقاً كثيراً من الصحابة كان حافظا علامة ذا فنون كان يقول : ما كتبت سوداء فى بيضاء ، عاش بضعاً وثمانين سنة قاله الذهبى . قال (كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة ، فقال اليهودى : نتحاكم إلى محمد لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة ، وقال المنافق نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ، فاتفقا أن يأتيا كاهناً فى جهينة فيتحاكمان إليه فنزلت ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون ﴾ الآية . وقيل نزلت فى رجلين اختصما فقال أحدهما نترافع إلى النبى ﷺ وقال الآخر إلى كعب بن الأشرف ثم ترافعا إلى عمر فذكر له أحدهما القصة فقال للذى لم يرض برسول الله ﷺ أكذلك قال نعم فضربه بالسيف فقتله) هذا الأثر رواه ابن جرير وابن المنذر بنحوه ، وذكر شيخ الإسلام أن عمر رضى الله عنه لما قتل المنافق قال : هكذا أقضى بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله ، فنزلت ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون﴾ الآية ، فقال جبريل : إن =

فقال أحدهما : نترافعُ إلى النبي ﷺ ، وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف . ثم ترافعا إلى عمر ، فذكر له أحدهما القصة ، فقال للذى لم يرضَ برسول الله ﷺ : أكذلك ؟ قال : نعم ، فضربه بالسيف فقتله

٤٠ - باب
مَن جَحَد شيئاً من الأسمـاء والصِّفات

= عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق ، انتهى . وقد رويت هذه القصة من طرق متعددة قاله فى الشرح . وفيه معرفة تفسير ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾ وما قاله الشعبي فى سبب نزولها وتفسير الإيمان الصادق والكاذب وقصة عمر مع المنافق قاله المصنف رحمه الله تعالى ، وفيه أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من صفات المنافقين ، ولو كان الدعاء إلى تحكيم إمام فاضل ومعرفة أعداء الله ورسوله ﷺ بما كان عليه من العلم والعدل فى الأحكام والغضب لله والشدة فى أمر الله كما فعل عمر رضى الله عنه وأن من طعن فى أحكام النبي ﷺ أو فى شىء من دينه قتل كهذا المنافق بل أولى ، وفيها جواز تغيير المنكر وإن لم يأذن فيه الإمام قاله فى الشرح ، وفيها ما يبين أن المنافق يكون أشد كراهة لحكم الله ورسوله من اليهود والنصارى وأشد عداوة منهم لأهل الإيمان كما هو الواقع فى هذه الأزمنة وقبلها من إعانة العدو على المسلمين وحرصهم على إطفاء نور الإسلام والإيمان وقتل من أظهر الكفر والنفاق قاله فى فتح المجيد .

(١) قوله (باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات) أى ما حكمه ؟ ومن اسم شرط والجواب محذوف تقديره : فقد كفر ، لما كان التوحيد الذى بعث الله به رسله وأنزل به كتبه نوعين ؛ أحدهما توحيد فى المعرفة والإثبات وهو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه ، والثانى توحيد فى الطلب والقصد وهو توحيد الإلهية وهما متلازمان لا يصح أحدهما بدون الآخر نبه المصنف رحمه الله بهذه الترجمة على أن من جحد شيئا من الأسماء والصفات التى وردت فى الكتاب والسنة لم يصح توحيـــده ، وإن جحدها كفر يخرج من الإسلام .

وقول الله تعالى ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ [1] ﴾ الآية . وفى

(١) قوله (وقول الله تعالى : وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب) ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا ذلك فأنزل الله ﴿ وهم يكفرون بالرحمن ﴾ . ذكر المفسرون أن سبب نزول هذه الآية فى صلح الحديبية لما أمر النبى ﷺ عليا بكتابة وثيقة الصلح فكتب بسم الله الرحمن الرحيم قالوا لا نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة وكان مسيلمة قبحه الله قد تسمى برحمان اليمامة فأنزل الله ﴿ وهم يكفرون بالرحمن ﴾ أى لا يقرون به ، ووجه مطابقة الآية للترجمة أن الله عز وجل سمى جحود اسمه الرحمن الذى هو اسم وصفة كفرا فدل على أن جحود شىء من الأسماء والصفات كفر

وقوله (قل هو ربى) أى قل يا محمد رداً عليهم فى كفرهم بالرحمن تبارك وتعالى ، هو أى الرحمن ربى لا إله إلا هو ، أى لا معبود بحق سواه ، عليه توكلت وإليه متاب ، أى إليه مرجعى وأوبتى فالرحمن اسمه وصفته فالرحمة وصفه القائم به ، فإذا كان المشركون جحدوا اسما من أسمائه الذى دل على كماله تعالى فجحود معناه كجحود لفظه فإن الجهمية يزعمون أنه لا يدل على صفة قائمة به تعالى وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة فلهذا كفرهم كثير من أئمة السنة ولذا قال العلامة ابن القيم فى الكافية الشافية :

ولقد تقلد كفرهم خمسون فى عشر من العلماء فى البلدان
واللالكائى الإمام حكاه عنهـم بل حكاه قبله الطبرانى

فإن الجهمية ومن تبعهم على التعطيل وجحد ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله بنوا تعطيلهم على أصل باطل أصلوه من عند أنفسهم قالوا هذه صفات الأجسام فيلزم من إثباتها أن يكون الله جسما هذا منشأ ضلال عقولهم لم يفهموا من صفات الله إلا ما فهموا من خصائص صفات المخلوقين فشبهوا الله أولا بخلقه ثم عطلوه من صفاة كماله وشبهوه ثانيا بالناقصات والجمادات . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : فجعل المعطلة جحد الصفات توحيداً وجعلوا إثباتها تشبيها وتجسيما وتركيبا ، فسموا الباطل باسم الحق ترغيباً فيه ، وسموا الحق باسم الباطل تنفيراً عنه ، والذى عليه سلف الأمة وأئمتها إثبات ما وصف الله به نفسه أو وصفه به =

صحيح البخارى (١) قال علىّ حدِّثوا الناسَ بما يَعرفون ، أتريدون أنْ يُكذَّبَ اللهُ ورسولُه ؟ (٢)

=رسوله على ما يليق بجلاله وعظمته إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل فإن الكلام فى الصفات فرع عن الكلام فى الذات يحتذى حذوه ، فكما أنا نثبت لله ذاتاً لا تشبه الذوات فكذلك نثبت له صفاتاً لا تشبه الصفات ، والجهمية المعطلة ومن تبعهم على ضلالهم أثبتوا لله ذاتاً لا تشبه الذوات ولم يثبتوا له صفاتاً لا تشبه الصفات فتناقضوا . وقد ألف العلماء من أئمة السلف كتباً فى الرد عليهم كالإمام أحمد فى رده المشهور وكتاب السنة لابنه عبد الله ، وكتاب الحيدة المشهور لعبدالعزيز الكنانى ، وكتاب السنة لأبى عبد الله المروزى ، ورد عثمان بن سعيد على المريسى ، وكتاب التوحيد لإمام الأئمة محمد بن خزيمة ، وكتاب السنة لأبى بكر الخلال ، وغيرهم رحمهم الله ورضى عنهم . وفيه معرفة تفسير آية الرعد وإن جحد شىء من الأسماء والصفات كفر ، قاله المصنف رحمه الله

(١) قوله (وفى صحيح البخارى عن على رضى الله عنه قال : حدثوا الناس بما يعرفون) زاد آدم بن أبى إياس فى كتاب العلم : ودعوا ما ينكرون ، قاله الحافظ ابن حجر أى ما يشتبه عليهم فهمه ، ومثله قول ابن مسعود : ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة . رواه مسلم

(٢) وقوله (أتريدون أن يكذب الله ورسوله) وسبب قول علىّ هذا والله أعلم ما حدث فى خلافته من إقبال الناس على الحديث وكثرة القصاص ، فيأتون فى قصصهم بأحاديث من هذا القبيل لا تعرف ، فربما استنكرها بعض الناس وقد يكون لبعضها أصل أو معنى صحيح فيقع بعض المفاسد فأرشدهم أمير المؤمنين إلى أنهم لا يحدثون عامة الناس إلا بما هو معروف ينفع الناس فى أصل دينهم وأحكامه من بيان حلاله وحرامه الذى كلفوا به علما وعملا دون ما يشغل عن ذلك مما قد يؤدى إلى رد الحق وعدم قبوله فيفضى بهم إلى التكذيب . وقد كان أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان ينهى القصاص عن القصص لما فى قصصهم من الغرائب والتساهل فى النقل ويقول : لا يقص إلا أمير أو مأمور . وكل هذا محافظة على لزوم الثبات على الصراط المستقيم علما وعملا ونية وقصدا ، وترك كل ما كان وسيلة إلى الخروج عنه إلى البدع والله أعلم

وروى عبد الرزّاق[1] عن مَعْمَر عن ابن طاوُس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأى رجلا انتفَض لمّا سمع حديثاً عن النبي ﷺ فى الصفات استنكاراً لذلك ، فقال : ما فَرَقُ هؤلاء ؟ يجدون رِقّةً عند مُحْكَمِه . ويهلِكون عند متشابهه

---

(١) قوله (وروى عبد الرزاق) بن همام الصنعانى محدث اليمن صاحب التصانيف أكثر الرواية عن شيخه معمر بن راشد صاحب الزهرى ، ومعمر بفتح الميمين وسكون العين ابن راشد أبو عروة بن أبى عمرو بن راشد الأزدى الحرانى ثم اليمانى أحد الأعلام من أصحاب محمد بن شهاب الزهرى يروى عنه كثير (عن ابن طاوس) وهو عبد الله بن طاووس اليمانى ، قال معمر : أعلم الناس بالعربية ، وقال ابن عيينة : مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة وأبوه طاووس بن كيسان الجندى بفتح الجيم والنون الإمام العلم قيل اسمه ذكوان قاله ابن الجوزى (عن ابن عباس) وهو حبر الأمة وترجمان القرآن دعا له النبى ﷺ وقال « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » روى عنه أصحابه أئمة التفسير كمجاهد وسعيد بن جبير وعطاء بن أبى رباح وطاووس وغيرهم (أنه) أى ابن عباس (رأى رجلا انتفض لما سمع حديثا عن النبى ﷺ فى الصفات استنكاراً لذلك فقال ما فرق هؤلاء) يستفهم من أصحابه يشير إلى أناس ممن يحضر مجلسه من عامة الناس يجدون رقة عند محكمه أى إذا سمعوا شيئا من محكم القرآن ومعناه حصل معهم رقة أى خوف (ويهلكون عند متشابهه) أى إذا سمعوا شيئا مما يشتبه عليهم فهمه لا أن آيات الصفات هى المتشابه كما تقوله الجهمية ونحوهم قال شيخ الإسلام : وأما إدخال أسماء الله وصفاته أو بعض ذلك فى المتشابه الذى لا يعلم تأويله إلا الله فما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه ونفى أن يعلم معناه وجعلوا أسماء الله وصفاته من الكلام الأعجمى الذى لا يفهم معناه ولا أن الله ينزل كلاما لا يفهم أحد معناه ، وإنما قالوا كلمات الله لها معان صحيحه ، وقالوا فى أحاديث الصفات تمر كما جاءت ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها التى مضاها تعطيل النصوص =

ولما سمعتْ قريشٌ رسولَ الله ﷺ يذكرُ الرحمٰنَ أنكروا ذلك ، فأنزل اللهُ فيهم ﴿ وهم يَكفرون بالرحمٰن ﴾

=عن مادلت عليه ، ويقرون النصوص على ما دلت عليه من معناها ، ويفهمون منها بعض ما دلت عليه وكذلك نص أحمد فى كتاب الرد على الزنادقة والجهمية أنهم تمسكوا بمتشابه القرآن ، وتكلم أحمد على ذلك المتشابه وبين معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية ، وجرى فى ذلك على سنن الأئمة قبله رحمهم الله . قال الذهبي حدث وكيع عن إسرائيل بحديث « إذا جلس الرب على الكرسى » فاقشعر رجل عند وكيع فغضب وكيع وقال أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد فى كتاب الرد على الجهمية ، فهؤلاء الذين ذكرهم ابن عباس تركوا ما وجب عليهم من الإيمان بمالم يفهموا معناه من الكتاب والسنة وهو حق لا يرتاب فيه مؤمن وبعضهم يفهم منه غير المراد من المعنى فيحمله على غير معناه كما جرى لأهل البدع كالخوارج والرافضة والقدرية ونحوهم ممن يتأول بعض آيات القرآن على بدعته وسبب هذه البدع جهل أهلها وقصورهم فى الفهم وعدم أخذ العلوم الشرعية على وجهها وتلقيها عن أهلها . فالتشابه أمر نسبي إضافى فقد يكون مشتبها بالنسبة إلى قوم بينا جليا بالنسبة إلى آخرين ولهذا لما خرج النبى ﷺ على قوم يتراجعون فى القرآن غضب وقال بهذا ضلت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم ، وضرب الكتاب بعضه ببعض ، وأن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا ولكن أنزل لأن يصدق بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه عليكم فآمنوا به . رواه ابن سعد وابن مردويه ، وغيرهم . وأما قوله تعالى ﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات ﴾ أى بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد ﴿ هن أم الكتاب ﴾ أى أصله الذى يرجع إليه عند الاشتباه ﴿ وأخر متشابهات ﴾ أى تحتمل دلالتها موافقة المحكم وقد تحتمل معنى آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المعنى المراد ﴿ فأما الذين فى قلوبهم زيغ ﴾ أى ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل ﴿ فيتبعون ما تشابه منه ﴾ أى إنما يأخذون منه بالمتشابه الذى يمكنهم أن يحرفوه أى يصرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة لاحتمال=

٤١ - باب

قول الله تعالى ﴿ يَعرِفُونَ نِعمةَ اللهِ ثم يُنكِرُونَها[1] ﴾ الآية .

= لفظه لما يعرفونه (ابتغاء الفتنة) أى الإضلال لأتباعهم ليوهموهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن وهو حجة عليهم لا لهم فمن رد ما اشتبه عليه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه فقد اهتدى ومن عكس انعكس قال شيخ الإسلام : والله جعل المحكم مقابل المتشابه تارة ومقابل المنسوخ تارة والمنسوخ يدخل فيه كل ظاهر ترك ظاهره لمعارض راجح كتخصيص العام وتقييد المطلق فان هذا متشابه لأنه يحتمل معنيين ويدخل فيه المجمل فإنه متشابه وإحكامه رفع ما يتوهم فيه من المعنى الذى ليس بمراد . وقد روى أن من نصارى نجران الذين وفدوا على النبي ﷺ من تأول أنا ونحن على أن الآلهة ثلاثة لأن هذا ضمير جمع ومعلوم أن أنا ونحن من المتشابه فإنه يراد بها الواحد الذى معه غيره من جنسه ويراد بها الواحد الذى معه أعوانه وإن لم يكونوا من جنسه ويراد بها الواحد المعظم نفسه الذى يقوم مقام من معه غيره لتنوع أسمائه التى كل اسم منها يقوم مقام مسمى فصار متشابها لأن اللفظ واحد والمعنى متنوع والأسماء المشتركة فى اللفظ هى من المتشابه فالذين فى قلوبهم زيغ يدعون المحكم الذى لا اشتباه فيه مثل : وإلهكم إله واحد . إننى أنا الله لا إله إلا أنا. الله لا إله إلا أنا فاعبدنى . ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله . ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . ويتبعون المتشابه انتهى باختصار وفيه ترك التحديث بما لا يفهم السامع وذكر العلة أنه يفضى إلى تكذيب الله ورسوله ولو لم يتعمد المنكر ، وكلام ابن عباس لمن استنكر شيئا من ذلك وأنه هلكة ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (باب قول الله تعالى : يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون) ترجم المصنف رحمه الله تعالى بهذه الآية من سورة النحل المسماة سورة النعم ليبين أن إنكار النعمة بعد معرفتها كفر كنسبة النعمة إلى غير المنعم بها وهو من الشرك الخفى المنافى لكمال التوحيد . وقد اختلف المفسرون فى المراد بالنعمة فذكر عن سفيان عن السدى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ، قال محمد =

قال مجاهد ما معناه : هو قولُ الرجل : هـذا مالى ، ورِثته عن آبائى .
وقال عَوْنُ بن عبد الله[1] يقولون لو لا فلان لم يكن كذا .

= ﷺ ذكره ابن جرير ولا شك أن بعثة محمد ﷺ أعظم نعمة أنعم الله بها على أهل الأرض ، قال شيخ الإسلام : فبمحمد تبين الكفر من الإيمان ، والربح من الخسران ، والهدى من الضلال ، والنجاة من الوبال ، والغىّ من الرشاد ، والزيغ من السداد ، وأهل الجنة من أهل النار ، والمتقون من الفجار ، وسبيل من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من سبيل المغضوب عليهم والضالين . فالنفوس أحوج إلى معرفة ما جاء به واتباعه منهـا إلى الطعام والشراب فان هذا إن فات حصل الموت فى الدنيا وذاك إذا فات حصل العذاب فحق على كل أحد بذل جهده ما استطاع فى معرفة ما جاء به وطاعته إذ هذا طريق النجاة من العذاب الأليم والسعادة فى دار النعيم انتهى (وقال مجاهد فى الآية : النعمة هى المساكن والأنعام وسرابيل الثياب والحديد يعرفه كفار قريش ثم ينكرونه بأن يقولوا هذا كان لآبائنا وورثناه عنهم) رواه ابن جرير وابن أبى حاتم واختار هذا القول ابن جرير ، واختار غيره أن الآية تعم ما ذكر العلماء فى معناها

(١) قوله (وقال عون بن عبد الله) بن عتبة بن مسعود أبو عبد الله الكوفى ثقة عابد مات فى سنة عشرين ومائة فى الآية (يقولون لولا فلان لم يكن كذا) رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، وقال ابن القيم ما معناه هذا يتضمن قطع إضافة النعمة عن من لولاه لم تكن وإضافتها إلى من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فضلا عن غيره ، وغايته أن يكون جزءاً من السبب أجرى الله نعمته على يده ، والسبب لا يستقل بالإيجاد ، وجعله سببا هو من نعم الله عليه فهو المنعم بتلك النعمة وهو المنعم بما جعله سببا من أسبابها ، فالسبب والمسبب من إنعامه وهو سبحانه كما قد ينعم بذلك السبب ، فقد ينعم بدونه ولا يكون له أثر ، وقد يسلبه سببيته وقد يجعل لها معارضا يقاومها ، وقد يرتب على السبب ضد مقتضاه فهو وحده المنعم على الحقيقة

وقال ابنُ قُتيبة[١] : يقولون هذا بشفاعة آلهتنا . وقال أبو العباس[٢] ـ بعد حديث زيد بن خالد الذى فيه « إنّ الله تعالى قال : أصبحَ من عبادى مؤمنٌ بى وكافر » الحديث ، وقد تقدم ـ : وهـذا كثيرٌ فى الـكتاب والسنة ، يَذُمُّ سبحانه من يُضيفُ إنعامَه إلى غيره ، ويشركُ به . قال بعض السَّلَف : هو كقولهم كانتِ الريحُ طيبةً والملّاحُ حاذقاً ، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسِنة كثير

---

(١) قوله (وقال ـ أبو محمد عبد الله بن مسلم ـ بن قتيبة) الدنيورى الحافظ صاحب التفسير والمعارف وغيرهما وثقه الخطيب وغيره ومات سنة سبع وستين ومائتين أو قبلها (يقولون هذا بشفاعة آلهتنا) قال ابن القيم : هذا يتضمن الشرك مع إضافة النعمة إلى غير وليها ، فالآلهة التى تعبد من دون الله أحقر وأذل من أن تشفع عند الله وهى محضرة فى الهوان والعذاب مع عابديها ، وأقرب الخلق إلى الله وأحبهم اليه لا يشفع عنده إلا من بعد إذنه لمن ارتضاه ، والشفاعة عنده بإذنه من نعمه فهو المنعم بالشفاعة وهو المنعم بقبولها وهو المنعم بتأهيل المشفوع له ، إذ ليس كل أحد أهلا أن يشفع له ، فمن المنعم على الحقيقة سواه ؟ انتهى

(٢) قوله (وقال الإمام أبو العباس) شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى رحمه الله تعالى ورضى عنه بعد حديث زيد بن خالد الذى فيه أن الله قال (أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر) وهذا كثير فى الـكتاب والسنة يذم سبحانه من يضيف أنعامه إلى غيره ويشرك به ، قال بعض السلف : هو كقولهم كانت الريح طيبة والملاح حاذقا ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير) انتهى . وكلام الشيخ هذا يدل على أن حكم هذه الآية عام فى كل من نسب النعم إلى غير الله الذى أنعم بها وأسند أسبابها إلى غيره مما هو مذكور فى كلام المفسرين المذكور بعضه هنا وذلك من أنواع الشرك كما لا يخفى ، قاله فى قرة العيون . وفيه معرفة النعمة وإنكارها ومعرفة أن هذا جار على ألسنة =

٤٢ - باب

قول الله تعالى ﴿ فَلا تَجعَلوا للهِ أَنْداداً وأنتم تعلمون [١] ﴾

قال ابن عباس فى الآية [٢] : الأندادُ هو الشرك ، أخفَى من دَبيب

= كثير ، وتسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة، واجتماع الضدين فى القلب ، قاله المصنف رحمه الله تعالى . قلت والمراد بالضدين معرفة النعمة وإنكارها

(١) قوله (باب قول الله تعالى فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) ينهى تبارك وتعالى عباده أن يجعلوا له أندادا ونظراء يشركونهم معه فى عبادته وهم يعلمون أنه لا ند له ويذكرهم بنعمه التى امتن بها عليهم فى قوله ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ قال البغوى ﴿ يا أيها الناس ﴾ خطاب لأهل مكة و ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ خطاب لأهل المدينة وهو هنا عام إلا من حيث أنه لا يدخله الصغار والمجانين ، وقال ابن عباس كل ما فى القرآن من العبادة فمعناه التوحيد ثم شرع تعالى فى بيان وحدانية ألوهيته بأنه المنعم على عباده بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغ نعمه عليهم الظاهرة والباطنة فجعل الأرض فراشاً مثبتة بالرواسى الشامخات ، والسماء بناء وهو السقف وأنزل من السماء - والمراد السحاب - ماء فى وقت احتياجهم اليه فأخرج به أنواع الزروع والثمار رزقا لكم . ومضمون هـذا أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم فهو المستحق أن يعبد وحده ولا يشرك معه غيره من الأنداد . قال ابن القيم رحمه الله فتأمل هذه وشدة لزومها لتلك المقدمات قبلها وظفر العقل بها بأول وهلة وخلوصها من كل شبهة وريب وقادح إذا كان الله وحده هو الذى فعل هذه الأفعال فكيف تجعلون لله أندادا وقد علمتم أنه لا ند له يشاركه فى فعله

(٢) قوله (وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى الآية) الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء فى ظلمة الليل وهو أن تقول : والله =

النمل على صفاة سوداء فى ظلمة الليل . وهو أن تقول : والله وحياتِك يافلان وحياتى . وتقول لو لا كُلَيبَةُ هذا لأتانا اللصوص ، ولو لا البطُّ فى الدار لأتى اللصوص . وقول الرجل لصاحبه : ما شاء اللهُ وشئتَ ، وقول الرجل : لو لا اللهُ وفلان . لا تجعلْ فيها فلاناً ، هذا كله به شرك . رواه ابن أبى حاتم

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه (١) أن رسول الله ﷺ قال « مَن حَلَفَ بغير الله كفَر ، أو أشرك » رواه الترمذى وحسَّنه ، وصحّحَه الحاكم

=وحياتك يا فلان وحياتى ، وتقول لو لا كليبة هذا لأتانا اللصوص ولولا البط فى الدار لأتانا اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل لصاحبه لولا الله وفلان هذا ، كله به شرك رواه ابن أبى حاتم) وفيه معرفة تفسير آية البقرة فى الأنداد وأن الصحابة يفسرون الآية النازلة فى الشرك الأكبر أنها تعم الأصغر قاله المصنف رحمه الله تعالى . وهذا الذى ذكره ابن عباس كله من الشرك الأصغر ، وهو الجارى على ألسنة كثير من الناس ممن لا يعرف التوحيد ولا الشرك ، وهو من المنكر العظيم الذى يجب النهى عنه والتغليظ فيه لكونه أكبر من الكبائر وهذا من ابن عباس تنبيه بالأدنى من الشرك على الأعلى . قاله فى فتح المجيد ، وهذا هو الشاهد من كلام ابن عباس للترجمة

(١) قوله (وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه) قال فى الشرح صوابه ابن عمر كذا ، أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم وصححه ابن حبان قال ابن العراقى وإسناده ثقات (أن رسول الله ﷺ قال « من حلف بغير الله فقد كفر » أو أشرك) يحتمل أن يكون شكا من الراوى ويحتمل أن تكون أو بمعنى الواو فيكون قد كفر وأشرك ويكون من الكفر الذى هو دون الكفر الأكبر كما هو من الشرك الأصغر ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة ، قال ابن عبدالبر :=

وقال ابن مسعود : لأنْ أحْلِفَ باللهِ كاذباً أحبُّ إلىّ مِن أن أحلِفَ بغيره صادقاً[١]

وعن حُذَيفةَ رضى الله عنـه عن النبىّ ﷺ قال : « لا تقولوا : ما شاء اللهُ وشاء فلان ، ولـكن قولوا : ما شاء اللهُ ثُم شاء فلان[٢] » . رواه أبو داود بسند صحيح

=لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع ذكره فى إبطال التنديد . وأما قوله : أفلح وأبيه إن صدق ونحوه ، فقال فى الشرح الحق أن هذا كان قبل النهى عنه ثم نسخ ، قال السهيلى : وعليه أكثر الشراح

(١) قوله (وقال ابن مسعود : لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلىّ من أن أحلف بغيره صادقا) وهذا لأن الحلف بالله كاذباً من الكبائر والحلف بغير الله شرك أصغر وهو أكبر من الكبائر وكلام ابن مسعود هذا رواه الطبرانى وذكره ابن جرير غير مسند . وقال شيخ الإسلام : وإنما رجح ابن مسعود الحلف بالله كاذبا على الحلف بغيره صادقا لأن الحلف بالله توحيد ، والحلف بغيره شرك ، وإن قدر الصدق فى الحلف بغير الله لحسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك ، وفيه أن الحلف بغير الله شرك وأنه إذا حلف بغير الله صادقا فهو أكبر من اليمين الغموس ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٢) قوله (وعن حذيفة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « لاتقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولـكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان ») رواه أبو داود بسند صحيح) وهذا لأن العطف بالواو يقتضى المساواة لأنها فى وضعها لمطلق الجمع بخلاف الفاء وثم وتسوية المخلوق بالخالق بكل نوع من أنوع العبادة شرك وهو من الشرك الأصغر

وجاء عن إبراهيم النَّخَعِيّ أنه يكره ، أعوذُ بالله وبك ويجوز أن يقول : باللهِ ثم بك . قال : ويقول : لو لا اللهُ ثم فلان ، ولا تقولوا : لو لا اللهُ وفلان[١]

٤٣ - باب

ما جاء فيمن لم يَقْنَع بالحلف بالله[٢]

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : لا تَحْلِفوا بآبائكم[٣] ، مَن

---

(١) قوله (وجاء عن إبراهيم النخعى أنه يكره أعوذ بالله وبك ويجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك ، قال : ويقول لولا الله ثم فلان ، ولا تقولوا لولا الله وفلان) وكلام إبراهيم هذا الذى ذكره المصنف رواه عبد الرزاق وابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت عن مغيرة قال كان إبراهيم يكره أن يقول الرجل الخ لأن الواو لمطلق الجمع بخلاف ثم فانها تقتضى الترتيب ، وفيه معرفة الفرق بين الواو وثم فى اللفظ قاله المصنف رحمه الله . تنبيه : الكراهة فى عرف السلف إنما يراد بها كراهة التحريم لا كراهة التنزيه المصطلح عليها عند متأخرى الفقهاء ومطابقة الحديثين والأثرين للترجمة ظاهرة على ما فسر به ابن عباس رضى الله عنهما الآية ، قاله فى الشرح

(٢) قوله (باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله) أى من الوعيد لأن ذلك يدل على قلة تعظيمه لجناب الربوبية إذ القلب الممتلىء بمعرفة عظمة الله وجلاله وعزته وكبريائه لا يفعل ذلك ، قاله فى الشرح

(٣) قوله (عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « لا تحلفوا بآبائكم من حلف بالله فاليصدق ومن حلف له بالله فليرض ومن لم يرض فليس من الله » رواه ابن ماجه بسند حسن)

قوله (لا تحلفوا بآبائكم) تقدم النهى عن الحلف بغير الله عموما

حلَفَ بالله فَلْيَصْدُق ، ومَن حُلِفَ له بالله فَلْيَرْض ، ومَنْ لم يَرْضَ فليسَ من الله » رواه ابن ماجه بسند حسن

٤٤ - باب

قولِ ما شاء اللهُ وشئتَ (١)

وقوله (من حلف بالله فاليصدق) هذا مما أوجبه الله على عباده وحضهم عليه فى كتابه ، قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنو اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾

قوله (ومن حلف له بالله فاليرض ومن لم يرض فليس من الله) قال ابن كثير أى فقد برأ من الله . وهذا عام فى الدعاوى وغيرها وحدثت عن المصنف أنه حمل حديث الباب على اليمين فى الدعاوى كمن يتحاكم عند الحاكم فيحكم على خصمه باليمين فيحلف فيجب عليه أن يرضى ، قاله فى الشرح . قلت تعبير الشارح بالحكم على خصمه باليمين سبقة قلم منه رحمه الله لأنه إذا لم يكن للمدعى بنية عرض عليه هل يطلب إحلاف خصمه فإن طلب ذلك أحلفه لايحكم عليه باليمين فإن نكل عن اليمين حكم عليـــه بالنكول وإن حلف فعليه أن يرضى باليمين ولا تكون يمين خصمه مبطلة لدعواه بل إذا وجد بنية فله إقامة الدعوى وإقامة البنية . قال فى فتح المجيد : أما إذا لم يكن له بحكم الشريعة على خصمه إلا اليمين فأحلف فلا ريب أنه يجب عليه الرضا ، وأما إذا كان فيما يجرى بين الناس مما قد يقع فى الاعتذارات من بعضهم لبعض ونحو ذلك فهذا من حق المسلم أن يقبل منه إذا حلف معتذراً أو متبرأ من تهمة ، ومن حقه عليه أن يحسن الظن به إذا لم يتبين خلافه ، كما فى الأثر عن عمر رضى الله عنه : ولا تظن بكلمة خرجت من مسلم شراً وأنت تجد لها فى الخير محملا انتهى . وفيه النهى عن الحلف بالآباء والأمر للمحلوف له بالله أن يرضى ووعيد من لم يرض ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (باب قول : ما شاء الله وشئت) أى ما حكم التلفظ بذلك وحكمه أنه تشريك فى اللفظ ، لأنه عطف مشيئة المخلوق على مشيئة الخالق جل وعلا بحرف العطف المقتضى للتشريك بين المعطوف والمعطوف عليه ، وهو من أنواع الشرك الأصغر

عن قُتَيْلَةَ(١) أن يهوديًّا أتى النبيَّ ﷺ فقال: إنكم تُشرِكون، تقولون: ما شاء اللهُ وشئتَ، وتقولون: والكعبةِ. فأمرهم النبيُّ ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: وربِّ الكعبةِ، وأن يقولوا ما شاء اللهُ ثم شئتَ. رواه النسائي وصححه

---

(١) قوله (عن قتيلة) بضم القاف وفتح التاء بعدها مثناة تحتية مصغر، بنت صيفى الجهنية أو الأنصارية صحابية مهاجرة لها حديث فى سنن النسائى واليوم والليل، وهو هذا الذى ذكره المصنف وأشار ابن سعد إلى أنه ليس لها غير هذا الحديث (أن يهودياً أتى إلى النبى ﷺ فقال إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة، فأمرهم النبى ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة وأن يقولوا ما شاء الله ثم شئت. رواه النسائى وصححه) وهذا نص فى أن هذا اللفظ من الشرك لأن النبى ﷺ أقر اليهودى على تسمية هذا اللفظ شركا ونهى النبى ﷺ عن ذلك وأرشد إلى اللفظ الذى لامحذور فيه، وهو قول ما شاء الله ثم شئت وإن كان الأولى قول ما شاء الله وحده، والعبد وإن كانت له مشيئة فمشيئته تابعة لمشيئة الله كما قال تعالى ﴿ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ وقوله ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم ﴾ الآية وغيرها. وفى الحديث والآيات الرد على القدرية والمعتزلة نفاة القدر الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أراده الله تعالى من العبد وشاءه، وأما أهل السنة والجماعة فتمسكوا بالكتاب والسنة فى هذا الباب وغيره واعتقدوا أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله فى كل شىء مما شرعه الله وما يخالفه من أفعال العباد وأقوالهم فالكل بمشيئة الله وإرادته فما وافق ما شرعه رضيه وأحبه وما خالفه كرهه من العبد كما قال تعالى ﴿ إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر ﴾ الآية. وفيه أن الحلف بالكعبة شرك لأن النبى ﷺ أقر اليهودى على قوله إنكم تشركون، وفيه فهم الإنسان إذا كان له هوى، قاله المصنف رحمه الله. وفيه معرفة اليهود بالشرك الأصغر، قال فى الشرح وكثير ممن يدعى الإسلام لا يعرف الشرك الأكبر بل يعرف خالص العبادات من الدعاء والذبح والنذر =

وله أيضاً عن ابن عباس أنّ رجلا قال للنبيّ ﷺ : ما شاء اللهُ وشئتَ : فقال « أجعلتَنى لله ندًّا ؟ ما شاء الله وحْدَه[1] »

= لغير الله ويظن أن ذلك من الدين . وفيه قبول الحق ممن جاء به وإن كان عدوا مخالفاً فى الدين ، وأن الحلف بالكعبة من الشرك الأصغر

(١) قوله (عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا قال للنبى ﷺ ما شاء الله وشئت فقال : « أجعلتنى لله نداً ؟ بل ما شاء الله وحده ») هذا الحديث رواه النسائى فى اليوم والليلة ، ورواه ابن ماجة فى الكفارات من السنن عن هشام بن عمار عن عيسى نحوه

قوله (أجعلتنى لله نداً) هذه رواية ابن مردويه ورواية النسائى وابن ماجة « أجعلتنى لله عدلا » والمعنى واحد قاله فى الشرح . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن الشرك فى الألفاظ قول القائل للمخلوق ما شاء الله وشئت كما ثبت عن النبى ﷺ أن رجلا قال له : ما شاء الله وشئت ، فقال « أجعلتنى لله نداً » هذا مع أن الله قد أثبت للعبد مشيئة كقوله ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم ﴾ فكيف بمن يقول : أنا متوكل على الله وعليك ، وأنا فى حسب الله وحسبك ، ومالى إلا الله وأنت ، وهذا من الله ومنك ، وهذا من بركات الله وبركاتك ، والله لى فى السماء وأنت لى فى الأرض . فوازن بين هذه الألفاظ وبين قول القائل : ما شاء الله وشئت ثم انظر أيهما أفحش

وقوله (أجعلتنى لله نداً) فكيف بمن قال

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم
إن لم تكن فى معادى آخذا بيدى فضلا وإلا فيا زلة القدم

وقوله :

دع ما ادعته النصارى فى نبيهموا واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
لو ناسبت قدره آياته عظما أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

ولابن ماجة ، عن الطُّفيل أخي عائشة لأمّها[1] قال : رأيتُ كأنى أتيتُ على نفرٍ من اليهود ، قلتُ إنكم لأنتمُ القومُ ، لو لا أنكم تقولون : عُزَيْرٌ ابنُ الله ، قالوا : وأنتم لأنتمُ القومُ ، لو لا أنكم تقولون : ما شاء اللهُ وشاء محمد . ثمَّ مررتُ بنفرٍ من النصارىٰ ، فقلت : إنكم لأنتمُ القوم ، لو لا أنكم تقولون : المسيحُ ابنُ الله ، قالوا : وأنتم لأنتمُ القومُ ، لو لا أنكم تقولون ما شاء اللهُ وشاء محمد . فلما أصبحتُ أخبرتُ بها مَن أخبرتُ ، ثمَّ أتيتُ النبيَّ ﷺ فأخبرتُه قال : هل أخبرتَ بها أحداً ؟ قلتُ : نعم . فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعدُ فإنَّ طُفيلا رأىٰ رؤيا أخبرَ بها من أخبرَ منكم ، وإنكم قلتم كلمةً كان يمنعُنى كذا وكذا أن أنهاكم عنها ، فلا تقولوا : ما شاء الله

---

(١) قوله (عن الطفيل أخى عائشة لأمها) وهو الطفيل بن عبد الله بن = سخبرة صحابى له حديث عند ابن ماجة وهو ما ذكره المصنف فى الباب ، قال البغوى لا أعلم له غيره (قال رأيت) أى فيما يرى النائم (كأنى أتيت) أى مررت (على نفر من اليهود فقلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عزير بن الله) أى نعم القوم أنتم لولا ما أنتم عليه من الشرك والمسبة لله بنسبة الولد إليه (قالوا وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد) عارضوه بذكر شىء مما فى المسلمين من الشرك الأصغر (ثم مررت بنفر من النصارى فقلت إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله . قالوا إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد (قال فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبى ﷺ فأخبرته لحمد الله وأثنى عليه) والثناء هو تكرار المحامد ، قاله ابن القيم رحمه الله (ثم قال « أما بعد فإن طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وإنكم قلتم كلمة كان يمنعنى كذا وكذا أن أنهاكم عنها ») وفى رواية أحمد والطبرانى « كان يمنعنى الحياء منكم أن أنهاكم عنها » . وهذا الحياء منهم ليس على سبيل الحياء من =

وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله وحْدَه

٤٥ – باب

مَن سبَّ الدَّهرَ فقد آذىٰ الله (١)

=الإنكار عليهم بل كان ﷺ يكرهها ويستحي أن يذكرها لأنه لم يؤمر بإنكارها ، فلما جاء الأمر الإلهي بالرؤيا الصالحة أنكرها ولم يستح في ذلك . وفيه دليل على أنها من الشرك الأصغر إذ لو كانت من الأكبر لأنكرها من أول مرة قالوها ، قاله في الشرح . وهذه رؤيا حق أقرها النبي ﷺ وعمل بمقتضاها (فنهاهم أن يقولوا ما شاء الله وشاء محمد وأمرهم أن يقولوا ما شاء الله وحده) قال في فتح المجيد وإن كانت رؤيا منام فهي وحي يثبت بها ما يثبت بالوحي أمراً ونهياً ، والله أعلم . وفيه معنى قوله ﷺ « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة » لأنه ﷺ قبل النبوة وهو يتحنث في غار حراء كان يرى الرؤيا التي كانت تجيء مثل فلق الصبح مدة ستة أشهر وهي بالنسبة إلى مدة النبوة الثلاثة والعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزءا منها ، وذكر الحليمي أن الوحي كان يأتيه على ستة وأربعين نوعا فذكرها وغالبها من صفات حامل الوحي ومجموعها يدخل فيما ذكر انتهى . وفيه أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي وأنها قد تكون سبباً لشرع بعض الأحكام ، وأن قول ما شاء الله وشئت ليس من الشرك الأكبر لقوله : يمنعني كذا وكذا ، قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله (باب من سب الدهر فقد آذى الله) تبارك وتعالى مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد ظاهرة لأن سب الدهر يتضمن الشرك ولفظ الأذى في اللغة هو لما خف أمره وضعف أثره من الشرك والمكروه ذكره الخطابي . قال شيخ الإسلام وهو كما قال وهذا بخلاف الضرر ، فقد أخبر سبحانه أن العباد لا يضرونه كما قال تعالى ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا﴾ فبين أن الخلق لا يضرونه لكن يؤذونه إذا سبوا مقلب الأمور ، قاله في الشرح

وقول الله تعالى ﴿وقالوا ما هِىَ إلّا حياتُنَا الدُّنيا نموتُ ونحيَى وما يُهْلِكنا إلّا الدّهر[1]﴾ الآية . فى الصحيح[2] عن أبى هريرة عن النبىّ

---

(١) قوله (وقول الله تعالى ﴿ وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا إلا الدهر﴾) قال ابن كثير: يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركى العرب فى إنكار المعاد وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا قال ابن جرير : أى ما حياة إلا حياتنا التى نحن فيها لا حياة سواها تكذيبا منهم البعث بعد الموت نموت ونحيى قال ابن كثير : أى يموت قوم ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامة ، وهذا يقوله مشركوا العرب المنكرون للمعاد ، وتقوله الفلاسفة الإلهيون منهم وهم ينكرون البداءة والرجعة ، وتقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون أن فى كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شىء إلى ما كان عليه ، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى فكابروا المعقول وكذبوا المنقول ، ولهذا قالوا ﴿ وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ قال ابن جرير أى ما يهلكنا إلا مر الليالى والأيام وطول العمر إنكارا منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم . قال الله تعالى ﴿ وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ﴾ أى يتوهمون ويتخيلون . فان قلت : أين مطابقة الآية للترجمة إذا كانت خبراً عن الدهرية المشركين ؟ قلت المطابقة ظاهرة لأن من سب الدهر فقد شاركهم فى سبه وإن لم يشاركهم فى الاعتقاد ، قاله فى الشرح

(٢) قوله (فى الصحيح) أى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « قال الله تعالى : يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار ») وأخرجه أحمد بهذا اللفظ وأخرجه مسلم بلفظ آخر قال فى شرح السنة ومعناه أن العرب كان من شأنها ذم الدهر أى سبه عند النوازل لأنهم كانوا ينسبون اليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر فاذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها فكان مرجع سبهم إلى الله عز وجل إذ هو الفاعل فى الحقيقة للأمور التى يصفونها فنهوا عن سب الدهر . انتهى ملخصا

ﷺ قال « قال اللهُ تعالى يُؤذِينى ابنُ آدم ، يَسُبُّ الدهرَ ، وأنا الدَّهرُ ، أُقَلِّبُ الليلَ والنهار »

وفى رواية « لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ ، فإنَّ الله هو الدَّهر »(١)

وقوله (أقلب الليل والنهار) تقليبه تصرفه تعالى فيه بما يحبه الناس ويكرهونه . وفى هذا الحديث زيادة لم يذكرها المصنف وهى قوله : بيدى الأمر

(١) قوله (وفى رواية : لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر) هذه الرواية ذكرها مسلم وغيره . قال الشافعى وأبو عبيد وغيرهما من الأئمة فى تفسير قوله « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » كانت العرب فى جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة قالوا ياخيبة الدهر فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه ، وإنما فاعلها هو الله تعالى فكأنما سبوا الله سبحانه لأنه فاعل ذلك فى الحقيقة ، فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار لا أن الله هو الدهر الذى يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال وهذا أحسن ما قيل فى تفسيره وهو المراد والله أعلم وقد تبين بهذا خطأ ابن حزم فى عده الدهر من أسماء الله الحسنى ، ولو كان كذلك لكان الذين قالوا وما يهلكنا إلا الدهر صادقين ، قاله فى الشرح . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وفى مسبة الدهر ثلاث مفاسد عظيمة أحدها مسبة من ليس أهلا للسب فإن الدهر خلق مسخر من خلق الله منقاد لأمره متذلل لتسخيره فسابه أولى بالسب والذم منه ، والثانية أن سبه متضمن للشرك فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع وأنه مع ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق الضرر ورفع من لا يستحق الرفعة ، وحرم من لا يستحق الحرمان وأعطى من لا يستحق العطاء وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة فى سبه كثيرة جداً وكثير من الجهال يصرح بلعنه وتقبيحه ، الثالثة أن السب منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال التى لو اتبع الحق أهواءهم فيها لفسدت السموات والأرض ، فإذا وافقت أهواءهم حمدوا الدهر وأثنوا عليه ، وفى حقيقة الأمر فرب الدهر هو المعطى المانع الخافض الرافع المعز المذل ، والدهر ليس له من الأمر شىء فسبتهم مسبة لله عز وجل ، ولهذا كانت مؤذية لله تعالى ، فساب الدهر دائر بين أمرين لا بد له من أحدهما ، أما مسبة الله أو الشرك به فإنه إن اعتقد أن الدهر فاعل مع الله =

٤٦ – باب

التسمّي بقاضي القضاة ونحوه (١)

في الصّحيح (٢) عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال « إنّ أَخْنَعَ

= فهو مشرك ، وإن اعتقد أن الله وحده هو الذي يفعل ذلك وهو يسب من فعله فهو سب لله تعالى انتهى . وليس من مسبة الدهر وصف السنين بالشدة لقوله تعالى ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد ﴾ الآية . وفيه النهي عن سب الدهر وتسميته إذ الله والتأمل في قوله فإن الله هو الدهر وإنه قد يكون سابا وإن لم يقصده بقلبه قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه) ذكر المصنف رحمه الله هذه الترجمة إشارة إلى النهي عن التسمي بقاضي القضاة قياساً على ما في حديث الباب لكونه شبهه في المعنى فينهى عنه قاله في فتح المجيد

(٢) قوله (في الصحيح) أي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك لا مالك إلا الله لأن هذا اللفظ إنما يصدق على الله تعالى فهو ملك الأملاك لا ملك أعظم منه ولا أكبر منه مالك الملك ذو الجلال والإكرام وكل ملك يؤتيه الله من يشاء من عباده فهو عارية يسرع ردها إلى المعير وهو الله تعالى ينزع الملك من ملكه تارة وينزع الملك منه تارة فيصير لا حقيقة له سوى اسم زال مسماه ، وأما رب العالمين فلكه دائم كامل لا انتهاء له ، بيده القسط يخفضه ويرفعه ويحفظ على عباده أعمالهم يعلمه سبحانه وتعالى وما تكتبه الحفظة عليهم فيجازي كل عامل بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر كما ورد في الحديث « اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله وإليك يرجع الأمر كله ، أسألك من الخير كله ، وأعوذ بك من الشر كله » .

قوله (إن أخنع) اسم ، ذكر المصنف أن معناه أوضع ، وهذا التفسير . رواه مسلم عن الإمام أحمد عن أبي عمرو الشيباني ، قال عياض معناه أنه أشد =

اسمٍ عنـدَ اللهِ رجلٌ تسمَّى مَلِكَ الأملاك ، لا مالكَ إلا الله » . قال سُفيان : مثـلُ شاهان شاهْ(١) وفى رواية « أَغْيَظُ رجُلٍ على الله يوم القيـــــــــامة وأَخبَثه(٢) » . قوله

= الأسماء صغاراً وبنحو ذلك فسر أبو عبيد ، والخانع الذليل ، وخنع الرجل ذل قاله فى الشرح ، وفى رواية « اشتد غضب الله على من زعم أنه ملك الأملاك » رواه الطبرانى

وقوله (تسمى) بفتح التاء الفوقية والسين المهملة أى سمى نفسه ، وقيل بضم الياء التحتية أى يدعى بذلك ويرضى به

وقوله (لا مالك إلا الله) أى هو الذى يستحق هـذا الاسم ومن تسمى به فقد كذب وافترى وادعى ما ليس له فلذا صار أذل الناس عند الله يوم القيامة . قال ابن القيم رحمـه الله تعالى المالك المتصرف بفعله ، والملك المتصرف بفعـله وأمره .

(١) وقوله (قال سفيان ـ هو ابن عيينة ـ مثل شاهانشاه) . قال ابن القيم : ملك الملوك وسلطان السلاطين ومراد سفيان أن الحديث متناول لمثل هـذا بأى لسان فلا ينحصر فى لفظ بعينه بل ما أدى هـذا المعنى فهو داخل فى الحـديث ، هذا معنى كلام الحافظ ابن حجر قاله فى إبطال التنديد

(٢) قوله (وفى رواية « أغيظ رجل على الله يوم القيـامة وأخبثه ») هذه الرواية ذكرها مسلم فى صحيحه قاله فى الشرح

قوله (أغيظ من الغيظ) وهو مثل الغضب فيكون بغيضاً إلى الله مغضوباً عليـه والله أعلم . وهذا من الصفات التى تمر كما جاءت ويجب اتباع الـكتاب والسنة فى ذلك وإثباته على وجه يليق بجلال الله وعظمته تعالى قاله فى فتح المجيد

قوله (وأخبثه) وهو يدل على أن هـذا خبيث عند الله فاجتمعت فى حقه هذه الأمور لتعاظمه فى نفسه وتعظيم الناس له بمـا ليس له بأهل فصار أخبث الخلق وأبغضهم إلى الله وأحقرهم عنده وهذا المذكور ينافى كمال التوحيد الذى دلت عليه كلمة الإخلاص فيكون فيه شائبة من الشرك وإن لم يكن أكبر قاله فى قرة العيون .

« أَخْنَعُ » يعنى : أوضع

٤٧ - باب

احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك[1]

عن أبى شُرَيح[2] أنه كان يُكْنَى أبا الحَكَم ، فقال له النبى ﷺ « إنَّ اللهَ هو الحَكَمُ ، وإليـــــهِ الحُكْمُ[3] »

قوله (أخنع) يعنى أوضع . وفيه النهى عن التسمى بملك الأملاك ، وأن ما فى معناه مثله كما قال سفيان ، والتفطن للتغليظ فى هذا ونحوه مع القطع أن القلب لم يقصد معناه والتفطن فى أن هذا لأجل الله سبحانه ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك)

(٢) قوله (عن أبى شريح) بضم المعجمة وفتح الراء وآخره مهملة مصغر قاله فى الشرح واسمه هانئ بن يزيد الكندى قاله الحافظ ابن حجر ، وقيل الحارث الضبابى قاله المزى ، وقيل خويلد بن عمرو الخزاعى قاله فى الخلاصة وجزم به فى قرة عيون الموحدين ، وذكر أنه أسلم عام الفتح ، له عشرون حديثاً اتفقا على حديثين وانفرد البخارى بحديث وعنه أبو سعيد المقبرى ونافع بن جبير وطائفة ، قال ابن سعد مات بالمدينة سنة ثمان وستين ، وقيل غير ذلك والصحيح الاول . وقد جاء مصرحاً باسمه فى رواية أبى داود من طريق يزيد بن المقدام بن شريح عن أبيه عن جده عن أبيه هانئ وهو أبو شريح (أنه لما وفد على رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكنونه بأبى الحكم فدعاه رسول الله ﷺ فقال « إن الله هو الحكم) أى الذى إذا حكم لا يرد حكمه وهذه الصفة لا تليق بغيره سبحانه قاله فى شرح السنة

(٣) قوله (وإليه الحكم) أى الفصل بين العباد فى الدنيا والآخرة ، فالحكم فى الدنيا بين خلقه بوحيه الذى أنزله على أنبيائه ورسله وما من قضية إلا ولله =

فقال : إن قَوْمِي إذا اختلفوا في شيء أتوْني فحكمتُ بينهم ، فرضيَ كلا الفريقين[1] . فقال « ما أحسنَ هذا ، فمالك من الولَد ؟[2] قلت :

= فيها حكم ، قال تعالى ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾ وقال ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ فالحكم إلى الله هو الحكم إلى كتابه والحكم إلى رسوله هو الحكم إليه في حياته وإلى سنته بعد وفاته

قوله (فلم تكنى أبا الحكم ؟) والكنية ما صدر بأب أو أم واللقب ما أشعر بمدح أو ذم ، قال بعضهم : الكنية قد تكون بالأوصاف كأبي الفضائل وأبي المعالي وأبي الخير وأبي الحكم وقد تكون بالنسبة إلى الأولاد كأبي سلمة ، وأبي شريح ، وإلى ما يلابسه كأبي هريرة ، وقد تكون للعلمية الصرفة كأبي بكر ذكره في الشرح

(١) قوله (قال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين) . فقال النبي ﷺ « ما أحسن هذا » والمعنى والله أعلم أن أبا شريح كان مرضياً عندهم يتحري ما يصلحهم إذا اختلفوا فيرضون حكمه ، وهذا هو الصلح لأن مداره على الرضا لا على الإلزام فكنوه أبا الحكم . فأما ما يحكم به الجهلاء من سوالف آبائهم وأهوائهم فليس في هذا الباب لما فيه من النهي الشديد والخروج عن حكم الله ورسوله إلى ما يخالفه كما قال تعالى ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ وهذا كثير فمن الناس من يحكم بين الخصمين برأيه وهواه ومنهم من يتبع في ذلك سلفه ويحكم بما كانوا يحكمون به وهذا كفر إذا استقر وغلب على من تصدى لذلك ممن يرجع الناس إليه . قاله في قرة العيون .

(٢) قوله (« فما لك من الولد ؟ » قال : شريح ومسلم وعبد الله . قال : « فمن أكبرهم » قلت : شريح . قال : « فأنت أبو شريح » رواه أبو داود وغيره) قال ابن مفلح وإسناده جيد ورواه الحاكم وزاد فدعا له ولولده فكناه بالكبير وهو السنة وغير كنيته بأبي الحكم فإن الله هو الحكم ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة . قال في قرة العيون ومنه تسمية الأئمة بالحكام فينبغي ترك ذلك والنهي عنه . قلت : وفيما قاله نظر لقول الله تعالى ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم =

شُرَيحٌ ومسلمٌ وعبدُ الله . قال ، قال : « فمَنْ أكبرُهم » قلتُ : شُرَيح قال « فأنتَ أبو شُرَيح » رواه أبو داود وغيره

٤٨ - باب

مَن هَزَلَ بشيء فيه ذكرُ الله أو القُرآنِ أو الرسول[1]

وقولِ الله تعالى ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ الآية[2] .

= بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام ﴾ فسماهم حكاماً فدل على جواز ذلك . وفيه احترام أسماء الله تعالى وصفاته ولو لم يقصد معناه وتغيير الاسم لأجل ذلك واختيار أكبر الأبناء للكنية قاله المصنف رحمه الله تعالى . فإن لم يكن له ابن فبأكبر بناته وكذلك المرأة قاله فى شرح السنة

(١) قوله (باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول) أى فقد كفر بذلك لاستخفافه بجناب الربوبية وذلك مناف للتوحيد ، ولهذا أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك ، فمن استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بدينه كفر ولو هازلا لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعاً

(٢) قوله (وقول الله تعالى ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ﴾) يقول تعالى مخاطباً لرسوله محمد ﷺ ﴿ ولئن سألتهم ﴾ أى المنافقين الذين تكلموا بكلمة الكفر استهزاء ﴿ ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ﴾ أى يعتذرون بأنهم لم يقصدوا الاستهزاء والتكذيب إنما قصدنا الخوض فى الحديث واللعب

وقوله (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون) لم يعبأ باعتذارهم إما لأنهم كانوا كاذبين فيه ، وإما لأن الاستهزاء على وجه الخوض واللعب لا يكون صاحبه معذوراً فلذا كان الجواب مع ما قبله ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ . انتهى ملخصاً من الشرح

عن ابن عمرَ ومحمد بن كعب وزيد بن أسلمَ وقتادةَ[1] ـ دخلَ حديثُ بعضهم فى بعض ـ أنه قال رجُلٌ في غزوةِ تَبُوك : ما رأينا

(١) قوله (عن ابن عمر ومحمد بن كعب القرظى وزيد بن أسلم وقتادة دخل حديث بعضهم فى بعض أنه قال رجل فى غزوة تبوك ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء ، يعنى رسول الله ﷺ وأصحابه القراء ، فقال عوف بن مالك : كذبت ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله ﷺ ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه لجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته ، فقال يارسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق . قال ابن عمر كأنى أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ وإن الحجارة لتنكب رجليه وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب ، فيقول رسول الله ﷺ « أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون » ما يلتفت إليه وما يزيده عليه) هذا الأثر ذكره المصنف مجموعاً من رواية ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة وقد ذكره قبله شيخ الإسلام . فأما أثر ابن عمر فرواه ابن جرير وابن أبى حاتم وغيرهما بنحو مما ذكره ، وأما أثر محمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة فهى معروفة لكن بغير هذا اللفظ . وابن عمر هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، ومحمد بن كعب هو محمد بن كعب بن سليم أبو حمزة القرظى المدنى . قال البخارى إن أباه كان ممن لم ينبت من بنى قريظة وهو ثقة عالم مات سنة عشرين ومائة . وزيد بن أسلم هو مولى عمر بن الخطاب والد عبد الله وإخوته يكنى أبا عبد الله ثقة مشهور مات سنة ست وثلاثين ومائة . وقتادة هو ابن دعامة السدوسى .

قوله (دخل حديث بعضهم فى بعض) أى أن الحديث مجموع من رواياتهم

قوله (أنه قال رجل) لم أقف على تسمية القائل أبهم اسمه فى جميع الروايات التى وقفت عليها إلا أن فى بعض الروايات أنه عبد الله بن أبىّ ، لكن رده ابن القيم بأن ابن أبىّ تخلف عن غزوة تبوك

مثلَ قُرّائنا هؤلاء ، أرْغَبَ بُطوناً ، ولا أكذبَ ألسُناً ، ولا أجْبنَ عند اللقاء — يعنى رسول الله ﷺ وأصحابَهُ القُرّاء — فقال له عَوْف ابن مالك ، كَذَبْتَ ولكنَّكَ مُنافق ، لَأُخبِرَنَّ رسولَ الله ﷺ . فذهبَ عوفٌ إلى رسول الله ﷺ لِيُخبِرَه ، فوجدَ القرآنَ قد سَبَقَه

قوله (ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء) القراء جمع قارئ وهم عند السلف الذين يقرؤون القرآن ويعرفون معانيه فأما قراءته من غير فهم لمعناه فلا يوجد فى ذلك العصر وإنما حدث بعد ذلك قاله فى الشرح

قوله (أرغب بطوناً) أى أوسع بطوناً يصفونهم بسعة البطون وكثرة الأكل (ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء) يعنى رسول الله ﷺ وأصحابه القراء ، وقد كذب فإن الصحابة هم أحسن الناس اقتصاداً فى الأكل وغيره ، بل المنافقون والكفار أوسع بطونا وأكثر أكلا كما صحت بذلك الأحاديث ، إن المؤمن يأكل فى معاء واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء ، وكذلك المنافقون وهم أشد الناس جبنا وأكذب خلق الله كما وصفهم بذلك فى كتابه ، وهذا القول الصريح فى الاستهزاء . وأما الفعل الصريح فمثل مد الشفة وإخراج اللسان ورمز العين . قاله فى إبطال التنديد ، ولهذا قال له عوف كذبت ولكنك منافق ، فيه المبادرة فى الإنكار والشدة على المنافقين وجواز وصف الرجل بالنفاق إذا قال أو فعل ما يدل عليه . قاله فى الشرح

قوله (لأخبرن رسول الله ﷺ) فيه المسئلة العظيمة أن من هزل بهذا فهو كافر وأن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنا من كان ، والفرق بين النميمة وبين النصيحة لله ولرسوله . قال المصنف رحمه الله فينبغى معرفة الفرق بين الغيبة والنميمة وبين النصيحة لله ورسوله ، فذكر أفعال المنافقين والفساق لولاة الأمور ليزجروهم ويقيموا عليهم أحكام الشريعة ليس من الغيبة والنميمة انتهى

قوله (فوجد القرآن قد سبقه) أى جاء الوحى من الله بما قالوه ، وفيه دلالة على علم الله وقدرته وإلهية ، وأن محمداً عبده ورسوله

فجاء ذلكَ الرَّجُلُ إلى رسول الله ﷺ ـ وقد ارْتحلَ وركِبَ ناقتَه ـ

فقال : يارسول الله ، إنّما كنّا نَخُوضُ ونتحدّثُ حديثَ الركبِ نقطَعُ به عَناء الطريق . قال ابنُ عمر : كأنى أنظُرُ إليـه متعلقاً بنسْعَة ناقةِ رسولِ الله ﷺ ، وإنَّ الحجارةَ تنـكبُ رِجْلَيه ، وهو يقول : إنّمـا كنّا نَخُوضُ ونلعبُ ، فيقول له رسول الله ﷺ ﴿ أبِالله

قوله (فجاء ذلك الرجل) تقدم أنه ابن أبىّ ، رواه ابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عمر ، لـكن رده ابن القيم بأن ابن أبىّ تخلف عن غزوة تبوك ، قال ابن إسحق : وقد كان جماعة من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو بنى أمية بن زيد ابن عمرو بن عوف ورجل من أشجع حليف لبنى سلمة يقال له مخشى بن حمير يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض أتحسبون جلاد بنى الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً ؟ والله لـكأنا بكم غدا مقرنين فى الحبال إرجافاً وترهيباً للمؤمنين فقال مخشى بن حمير : والله لوددت أنى أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وأنا ننقلب أن ينزل فينا قرآن لمقالتـكم هذه ، وقال رسول الله ﷺ فيما بلغنى لعمار بن ياسر أدرك القوم فقد احترقوا فسلهم عما قالوا فإن أنكروا فقل بلى ، قلتم كذا وكذا ، فانطلق إليهم عمـار فقال لهم ذلك فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه فجعـــل وديعة بن ثابت ورسول الله ﷺ واقف على راحلته وهو آخذ بحقبها يقول : يارسول الله إنما كنا نخوض ونلعب فقال مخشى بن حمير يارسول الله قعد بى اسمى واسم أبى ، فـكان الذى يتمناه أى بقوله إن لعف عن طائفة منـكم لعذب طائفة فى هذه الآية مخشى بن حمير فسمى عبد الرحمن وسأل الله أن يقتل شهيداً لا يعلم بمكانه فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر ، انتهى . وقال عكرمة : كان رجل ممن ألشأ الله عنى عنه يقول اللهم إنى أسمع آية أنا أعنى بها تقشعر منها الجلود وتجل منها القلوب اللهم فاجعل وفاتى قتـلا فى سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت قال فأصيب يوم اليمامة فما أحد من المسلمين إلا قد وجد غيره

وآياتهِ ورسولهِ كنتم تَستهزِئون ﴾[1] ؟ ما يلتفت إليـــه ، وما يزيده عليه

---

(١) وقوله (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) . أى بهذه المقالة وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة ، وفيه الفرق بين العفو الذى يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله ، وأن من الأعذار ما لا ينبغى أن يقبل . قاله المصنف رحمه الله تعالى

وقوله (إن نعف عن طائفة منكم) أى مخشى بن حمير نعذب طائفة أى لا يعفى عن جميعكم ولا بد من عذاب بعضكم أنهم كانوا مجرمين أى بهـــذه المقالة الفاجرة الخاطئة . انتهى . وفى الآية دليل على أن الرجل إذا فعل الكفر ولم يعلم أنه كفر لا يعذر بذلك بل يكفر وعلى أن الساب كافر بطريق الأولى نبه عليه شيخ الإسلام قاله فى الشرح ، وقال شيخ الإسلام أمره الله أن يقول لهم قد كفرتم بعد إيمانكم وقول من يقول إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولا بقلوبهم لا يصح لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر فلا يقال قد كفرتم بعد إيمانكم فإنهم لم يزالوا كافرين فى نفس الأمر وإن أريد إنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان فهم لم يظهروا ذلك إلا لخواصهم وهم مع خواصهم ما زالوا هكذا بل لما نافقوا وحذروا أن تنزل عليهم سورة تبين ما فى قلوبهم من النفاق وتكلموا بالاستهزاء صاروا كافرين بعد إيمانهم ، ولا يدل اللفظ على أنهم ما زالوا منافقين . وقال أيضاً أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم إنما تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له . بل إنما كنا نخوض ونلعب ، وبين الاستهزاء بآيات الله كفر ولا يكون هذا إلا ممن شرح صدراً بهذا الكلام ولو كان الإيمان فى قلبه لمنعه أن يتكلم بهذا الكلام ، والقرآن يبين أن إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه كقوله تعالى ﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ، إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾ فنفى الإيمان عمن تولى عن طاعة الرسول وأخبر أن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم سمعوا وأطاعوا فبين أن هذا من لوازم الإيمان . انتهى . وفيه أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها أو عمل يعمل به ، وأشدها خطراً إرادات القلوب فهى =

٤٩ - باب

ما جاء فى قولِ الله تعالى ﴿ ولَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هٰذا لى ﴾[1] الآية . قال مُجاهد : هـذا بعملى ، وأنا مَحْقوقٌ به . وقال ابنُ عبّاس يريد من عندى ، وقوله ﴿ قال إنَّما أُوتِيتُهُ علىٰ عِلمٍ عندى ﴾[2] قال قتادة : على علم منى بوُجُوه المكاسب . وقال آخرون : على علم مِنَ الله أنّى له أهل . وهذا معنى قول مجاهد : أُوتِيتُه على شَرَف

=البحر الذى لا ساحل له ويفيد الخوف من النفاق الأكبر فإن الله أثبت لهؤلاء إيماناً قبل أن يقولوا ما قالوه . قال ابن أبى مليكة أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه . نسأل الله السلامة والعفو والعافية فى الدنيا والآخرة . قاله فى الشرح

(١) قوله (باب ما جاء فى قول الله تعالى ﴿ ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن الساعة قائمة ولئن رُجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ ﴾ قال مجاهد : هذا بعملى وانا محقوق به ، وقال ابن عباس يريد من عندى

(٢) وقوله : (﴿ إنما أوتيته على علم عندى ﴾قال قتادة على علم منى بوجوه المكاسب ، وقال آخرون : على علم من الله أنى له أهل ، وهذا معنى قول مجاهد أوتيته على شرف) وليس فيما ذكروه اختلاف وإنما هى إفراد المعنى ، قاله فى الشرح . قال ابن كثير رحمه الله فى معنى الآية ﴿ وإذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هى فتنة ﴾ يخبر تعالى أن الإنسان فى حال الضر يضرع إلى الله تعالى وينيب إليه ويدعوه ثم إذا خوله نعمة منه طغى وبغى ، وقال : إنما أوتيته على علم أى لما يعلم الله من استحقاق له ولولا أنى عند الله حظيظ لما خولنى هـذا قال الله تعالى ﴿ بل هى فتنة ﴾ أى اختبار ﴿ ولـكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ فلهذا يقولون ما يقولون ويدعون ما يدعون . وفيه معرفة تفسير الآية وما معنى قوله أوتيته على علم عندى . قاله المصنف رحمه الله

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول[1] « إن ثلاثةً من بني إسرائيلَ : أبْرَصَ وَأقْرَعَ وأعمى . فأراد الله أن يَبْتَلِيَهم فبعثَ إليهم مَلَكًا ، فأتى الأبرصَ فقال : أيُّ شيء أحَبُّ إليكَ ؟ قال : لونٌ حسن ، وجلدٌ حسن ، ويذهبُ عني الذي قد قَذِرَني الناس به . قال : فمسحَه ، فذهَب عنه قَذَرُه وأُعطِيَ لوناً حسناً وجلداً حسناً . قال : فأيُّ المالِ أحَبُّ إليك ؟ قال : الإبلُ - أو البقرُ شكٌّ إسحاق - فأُعطِيَ ناقة عُشَراء ، وقال : باركَ اللهُ لك فيها . قال فأتى الأقرعَ فقال : أيُّ شيء أحبُّ إليك ؟ قال : شَعرٌ حسن ، ويذهبُ عني الذي قَذِرَني الناس به . فمسحه فذهَبَ عنه . وأُعطِيَ شَعراً حسناً . فقال : أيُّ المالِ

(١) قوله (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم ») هذا سياق مسلم ورواية البخاري بدأ الله بالباء الموحدة والدال المهملة وكسر لام الجلالة قال ابن قرقول ضبطناه بالهمز ورواه كثير من الشيوخ بلا همز (فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس فيه) بكسر الذال المعجمة أي كرهني (فمسحه فذهب عنه قذره وأعطى جلداً حسناً ولوناً حسناً ، قال : فأي المال أحب إليك قال : الإبل والبقر شك إسحق) أي ابن عبد الله بن أبي طلحة راوي الحديث (فأعطى ناقة عشراء بعين مهملة مضمومة وشين معجمة مفتوحة وبالمد غير منصرف قال في تيسير الوصول هي الحامل وقيل هي التي أتى على حملها عشرة أشهر (وقال) أي الملك (بارك الله لك فيها . قال فأتى الأقرع فقال : أي شيء أحب إليك قال : شعر حسن ويذهب عني الذي قذرني الناس به ، فمسحه فذهب عنه قذره وأعطى شعراً حسناً ، فقال : أي المال أحب إليك ؟ قال البقر أو الإبل فأعطى بقرة حاملا ، وقال : بارك الله لك فيها . فأتى الأعمى فقال : أي شيء =

أَحبُّ إليكَ ؟ قال : البقرُ ـ أو الإبل ـ فأُعطِىَ بقرةً حاملا ، قال : بارك الله لك فيها . فأَتى الأعمى فقال : أىُّ شىء أحبُّ إليك ؟ قال : أن يَرُدَّ اللهُ إلىَّ بَصَرى فأُبصِرَ به الناسَ ، فمسَحَه ، فردَّ اللهُ إليه بصرَه قال : فأىُّ المال أحبُّ إليك ؟ قال : الغنمُ . فأُعطِىَ شاةً والداً ، فأنتج هذان وولد هٰذا ، فكان لهذا وادٍ من الإبل ، ولهذا وادٍ من البقر ، ولهـذا وادٍ من الغنم . قال : ثم إنه أتى الأبرصَ فى صورته وهيئتِه فقال : رجلٌ مِسكين قد انقطعتْ بِىَ الحِبالُ فى سفرى ، فلا بَلاغَ لى اليوم إلا بالله ثم بك . أسألكَ ـ بالذى أعطاكَ اللونَ الحسنَ والجلدَ الحسن والمال ـ بعيراً أتبلَّغُ به فى سَفرى ، فقال : الحقوقُ كثيرة . فقال له : كأنى أعرِفك ، أَلم تكنْ أَبرص يَقْذَرُك الناس ،

ـــــــــــــــــــ

= أحب إليك ؟ قال : أن يرد الله إلىّ بصرى فأبصر به الناس فمسحه فرد الله إليه بصره ، قال : فأى المال أحب إليك ؟ قال : الغنم فأعطى شاة والداً أى ذات ولد قال فى التيسير الشاه الوالد التى عرف منها كثرة الولد والنتاج (فأنتج هـذان) بفتح الهمزة والتاء المثناة فوق أى صاحب النـاقة والبقرة وولد بتشديد اللام (هذا أى) صاحب الشاة قال فى تيسير الوصول ومعناه اعتنى بها عند الولادة أى حفظها وقام بمصالحها فـكان لهذا واد من الإبل ، ولهذا واد من البقر ، ولهـذا واد من الغنم (ثم إنه) أى الملك (أتى الأبرص فى صورته وهيئته) قال ابن القيم فى كتاب الأعلام : وهذا ليس بتعريض وإنمـا هو تصريح على وجه ضرب المثال وإيهام أنى أنا صاحب هذه القصة كما أوهم الملـكان داود أنهما صاحبا القصة (فقال : رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بى الحبال) بالحاء المهملة بعدها باء موحدة أى الأسباب التى يقطعها فى طلب الرزق ولبعض رواة مسلم الحيال بياء تحتية جمع حيلة (فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك أسألك =

فقيراً فأعطاكَ اللهُ عزَّ وجلَّ المالَ ؟ فقال : إنما ورِثتُ هذا المالَ كابراً عن كابرٍ . فقال : إن كنتَ كاذباً فصيَّرَكَ اللهُ إلى ما كنتَ . قال : وأتى الأقرعَ في صورته ، فقال له مثل ما قال لهذا ، وردَّ عليه مثل ما ردَّ عليه هذا . فقال : إن كنتَ كاذباً فصيَّرَكَ اللهُ إلى ما كنتَ . قال : وأتى الأعمىْ في صورتِهِ فقال : رجلٌ مِسكينٌ وابنُ سبيل ، قد انقطعتْ بي الحِبالُ في سفري ، فلا بَلَاغَ لي اليومَ إلا باللهِ ثم بكَ — أسألك بالذي ردَّ عليكَ بصرَك — شاةً أَتبلَّغُ بها في سفَري . فقال : قد كنتُ أعمىْ فردَّ اللهُ إليَّ بَصَرِي ، فخذْ ما شئتَ ودَعْ ما شئت ، فوالله لا أَجهَدُكَ اليوم بشيء أخـــــذتَهُ لله . فقال :

= بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلغ به في سفري من البلغة وهي الكفاية أي أتوصل به إلى مرادي ، فقال الحقوق كثيرة فقال له كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله عز وجل المال ، فقال : إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت) أي ردك الله إلى ما كنت عليـــه سابقاً من البرص والفقر (قال : فأتى الاقرع في صورته ، فقال له مثل ما قال لهذا ، ورد عليه ، أي الأقرع مثل ما رد عليه هذا أي الأبرص ، فقال : إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت) أي رد الله عليك ما كنت عليه سابقا من القرع والفقر ، قال : (وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري ، فقال : قد كنت أعمى فرد الله إليّ بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله عز وجل) هكذا لبعض رواة مسلم ، أي لا أشق عليك في الأخذ والامتنان ، ورواية البخاري : لا أحمدك ، بالحاء =

أمسِك مالك ، فإنَّما ابتُلِيتُمْ ، فقد رضِيَ الله عنكَ وسَخِطَ على صاحِبَيْك » أخرجاه

٥٠ — باب

قول الله تعالى ﴿ فلمّا آتاهما صالحاً جَعَلا له شُرَكاء فيما آتاهما ﴾ الآية(١)

= المهملة والميم أى على طلب شىء أو أخذ شىء مما تحتاج اليه من مالى ، كما قيل ليس على طول الحياة ندم أى على فوت طول الحياة (فقال) الملك (أمسك عليك مالك فإنما ابتليتم فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك أخرجاه) أى البخارى ومسلم ، وهذا حديث عظيم ، وفيه معتبر ، فإن الأولين جحد نعمة الله فما أقرا لله بنعمة ولا نسبا النعمة إلى المنعم بها ولا أديا حق الله فيها فحل عليهما السخط وأما الأعمى فاعترف بنعمة الله ونسبها إلى المنعم عليه بها وأدى حق الله فيها فاستحق الرضا من الله بقيامه بشكر النعمة لما أتى بأركان الشكر الثلاثة وهى : الإقرار بالنعمة ونسبتها إلى المنعم بها وبذلها فيما يحب ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى : أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة فمن لم يعرف النعمة بل كان جاهلا بها لم يشكرها ، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها لم يشكرها أيضا ، ومن عرف النعمة والمنعم بها لكن جحدها لم يشكرها ، ومن عرف النعمة والمنعم بها وأقر بها ولم يجحدها ولكن لم يخضع للمنعم بها ولم يرض به وعنه ، لم يشكرها أيضا ، ومن عرفها وعرف المنعم بها وأقر بها وخضع للمنعم بها وأحبه ورضى عنه واستعملها فى محابه فهذا هو الشاكر لها ، فلابد فى الشكر من علم القلب وعمل يتبع العلم وهو الميل إلى المنعم ومحبته والخضوع له انتهى ، وفيه معرفة ما فى هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (باب قول الله تعالى ﴿ فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ﴾) وقبلها ﴿ هو الذى خلقكم من نفس واحدة ﴾ أى من أبينا آدم ﴿ وجعل منها زوجها ﴾ أى حواء خلقها منه ﴿ ليسكن =

= اليها ﴾ أى يطمئن اليها و يألفها ﴿فلما تغشاها﴾ أى وطئها ﴿حملت حملا خفيفا﴾ أى لا يثقلها أولا إنما هو نطفة وعلقة ومضغة ﴿ فمرت به ﴾ أى استمرت بالماء قامت به وقعدت ﴿ فلما أثقلت ﴾ أى صارت ذات ثقل بحملها ودنت ولادتها ﴿ دعوا الله ربهما ﴾ أى آدم وحواء ﴿ لئن آتيتنا صالحا ﴾ أى بشرا سويا ﴿ لنكونن من الشاكرين ﴾ قال الإمام أحمد فى معنى الآية : حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن إبراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فإنه يعيش ، فسمته عبد الحارث فعاش ، وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره » وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار بندار عن عبد الصمد بن عبد الوارث به ، ورواه الترمذى فى تفسير هذه الآية عن محمد بن المثنى عن عبد الصمد به وقال هـذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم ، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه ورواه الحاكم فى مستدركه من حديث عبد الصمد مرفوعا وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ورواه الإمام أبو محمد بن أبى حاتم فى تفسيره عن أبى زرعة الرازى عن هلال بن فياض عن عمر بن إبراهيم به مرفوعا ، قال ابن كثير بعد حكاية ما تقدم : وهذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه : أحدها قول أبى حاتم الرازى : إن عمر بن إبراهيم هو البصرى لا يحتج به . والثانى إنه قد روى من قول سمرة نفسه . والثالث قول الحسن هم اليهود والنصارى انتهى . فأما قول أبى حاتم فجوابه أن عمر بن إبراهيم قد وثقه ابن معين وروى أبو بكر بن مردويه له متابعا من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعا وأما قوله ابن كثير بأنه قد روى من قول سمرة نفسه فجوابه أن هذا لا يقتضى عدم رفع سمرة للحديث لأن رفعه زيادة والزيادة من الثقة مقبولة لا سيما الصحابى ، ولأنه يجوز أن يسمع الرجل حديثا فيفتى به فى وقت ويرفعه فى وقت ، ومما يؤيد صحة رفع الحديث رواية الإمام أحمد له فى مسنده والأصل أنه لا يروى فيه إلا الأحاديث المرفوعة دون أقوال الصحابة ، قاله الحافظ ابن حجر ، وأما قول الحسن هم اليهود والنصارى فجوابه أن هذا لا يعد من الحسن عدولا عما رواه عن سمرة ، ولا ينفى أن يكون سبب نزول الآية آدم وحواء وحكمها عام للشريكين من الذرية من اليهود والنصارى وغيرهم لأنه لا يجوز قصر الآيات على سبب نزولها

قال ابنُ حَزم[١] : اتّفقوا على تحريم كلّ اسمٍ مُعَبّدٍ لغيرِ الله، كعَبْدِ عُمَر وعبدِ الكعْبَةِ وما أشبهَ ذلك، حاشا عبدَ المطّلب[٢]

---

(١) قوله (قال ابن حزم) وهو عالم الأندلس أبو محمد على بن أحمد بن سعيد ابن حزم القرطبى الظاهرى صاحب التصانيف ، توفى سنة ست وخمسين وأربعمائة وله اثنتان وسبعون سنة (اتفقوا ـ يعنى أهل العلم ـ على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمر وعبد الكعبة وما أشبه ذلك) حكى ابن حزم اتفاق العلماء على تحريم كل ما عبد لغير الله لأنه شرك فى الربوبية والإلهية لأن الخلق كلهم ملك لله وعبيد له ، خلقهم لعبادته وحده وتوحيده فى ربوبيته وإلاهيته ، فنهم من عبد الله ووحده فى ربوبيته وإلاهيته ، ومنهم من أشرك به فى إلاهيته وأقر له بربوبيته وأسمائه وصفاته ، قاله فى فتح المجيد

(٢) قوله (حاشا عبد المطلب) وعبدالمطلب هذا جد رسول الله ﷺ واسمه شيبة الحمد وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان ، ولا ريب أن عدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام وقوله (حاشا عبد المطلب) هذا استثناء من العموم المستفاد من كل ، وذلك أن تسميته بهذا الاسم لا محذور فيه لأنه لم يعبد لغير الله وإنما أصله من عبودية الرق ، وذلك أن المطلب أخو هاشم قدم المدينة وكان ابن أخيه شيبة هذا قد نشأ فى أخواله بنى النجار من الخزرج لأن هاشماً تزوج فيهم امرأة فجاءت منه بهذا الابن ، فلما شب فى أخواله وبلغ سن التمييز سافر به عمه المطلب إلى مكة بلد أبيه وعشيرته فقدم به مكة وهو دون دينه فرآه أهل مكة وقد تغير لونه بالسفر فحسبوه عبداً للمطلب فقالوا هذا عبد المطلب فعلق به هذا الاسم فصار لا يذكر ولا يدعى إلا به ، وقد قال النبى ﷺ « أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب » وقد صار معظماً فى قريش والعرب ، فهو سيد قريش وأشرفهم فى جاهليته ، وهو الذى حفر زمزم وصارت له السقاية وفى ذريته من بعده ، ووالد رسول الله ﷺ أحد بنى عبد المطلب وتوفى فى حياة أبيه وكان سن أبيه عبد الله حين حملت منه آمنة برسول الله نحو ثمانية عشر عاماً ، قال الحافظ الذهبى : توفى أبوه

وعن ابنِ عبّاس فى الآية[1] قال : لما تَغَشَّاها آدمُ حملتْ ، فأتاهما

=عبدالله والنبي ﷺ ثمانيةوعشرون شهراً ، وقيل أقل من ذلك ، وقيل وهو حمل ، توفى بالمدينة وعاش خمسة وعشرين سنة ، قال الواحدى : وذلك أثبت الاقاويل فى سنه ووفاته . وتوفيت أمه آمنة بالابواء وهى راجعة به من المدينة إلى مكة من زيارة أخوال أبيه بنى عدى بن النجار وهو يومئذ ابن ست سنين ومائة يوم ، وقيل ذلك أربع سنين ، فلما ماتت أمه حملته أم أيمن مولاته إلى جده ، فكان فى كفالته إلى أن توفى جده والنبي ﷺ ثمان سنين فأوصى به إلى عمه أبي طالب . وقال شيخ الإسلام كان المشركون يعبدون أنفسهم وأولادهم لغير الله فيضيفون فيه التعبيد إلى غير الله من شمس أو وثن أو بشر أو غير ذلك مما قد يشرك بالله فغير ذلك النبي ﷺ فعبدهم الله وحده فسمى جماعة من أصحابه ، كان اسم عبد الرحمن بن عوف عبد الكعبة فسماه عبد الرحمن ، وكان اسم أبي هريرة عبد شمس فغير اسمه ، وسمى أبا معاوية عبد الرحمن وكان اسمه عبد العزى ، وكان اسم مولاه قيوم فسماه عبد القيوم ، فشريعة الإسلام الذى هو الدين الخالص لله وحده تعبيد الخلق لربهم كما سنه رسول الله ﷺ وتغيير الأسماء الشركية إلى الأسماء الإسلامية والأسماء الكفرية إلى الأسماء الإيمانية ، انتهى ملخصاً . إذا علم هذا ، فلا تجوز التسمية بعبد النبي وعبد الرسول وعبد المسيح وعبد على وعبد الحسين وعبد الكعبة وعبد الدار وما أشبه ذلك مما فيه تعبيد لغير الله ، وفيه تحريم كل اسم معبد لغير الله ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى الآية قال لما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس فقال إنى صاحبكما الذى أخرجتكما من الجنة لتطيعانى أو لأجعلن له) أى الولد (قرنى أيّل) بالتثنية والإضافة ، والأيل بفتح الهمزة وكسر المثناة التحتية المشددة ذكر الأوعال ، (فيخرج من بطنك فيشقه ، ولأفعلن ولأفعلن) ، والمعنى أنه (يخوفهما ، سمياه عبد الحارث) قال سعيد بن جبير كان اسمه - يعنى إبليس فى الملائكة - الحارث وكان مراده أن يسمياه بذلك ليكون قد وجد له صورة الاشتراك به (فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً ، ثم حملت فأتاهما فذكر لهما فأدركهما حب=

إبليسُ فقال: إني صاحِبُكما الذي أخرَجتُكما من الجنَّةِ لتُطِيعانِي أو لأَجْعَلَنَّ له قرنَيْ أَيِّلٍ فيخرُجُ من بطنكِ فيشقه، ولأفعلنَّ، ولأفعلنَّ — يُخَوِّفهما — سَمِّيَاهُ عبدَ الحارث. فأَبَيَا أن يطيعاه، فخرج مَيِّتاً. ثُمَّ حَمَلَتْ، فأَتاهما فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه فخرج مَيِّتاً. ثُمَّ حملت فأتاهما فذَكَرَ لهما، فأدركهما حُبُّ الولد، فسمَّياه عبد الحارث. فذلك قوله ﴿جَعَلا له شُرَكاء فيما آتاهما﴾ رواه ابن أبي حاتم.

= الولد فسمياه عبدالحارث، فذلك قوله: ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾، رواه ابن أبي حاتم). وأما قول ابن كثير ليس المراد من السياق آدم وحواء وإنما المراد المشركون من ذريته ولهذا قال ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾. وقوله هذا مما لا يساعد عليه لفظ سياق الآيات الكريمة فإنها من أولها إلى آخرها خبر عن آدم وحواء من حين خلقهما الله إلى أن جعلا له شركاء فيما آتاهما من الولد، ولذا ذكرا بضمير التثنية، ودعوى أن المراد بالآية الذرية لقوله ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ بضمير الجمع لا يقتضي صرف الآية عن مدلولها لفظا، ومعنى لأن أقل الجمع اثنان فيكون سبب نزولها آدم وحواء وحكمها عام يشمل المشركين من الذرية كغيرها من الآيات، وأما قول ابن كثير عن أثر ابن عباس وكأن أصله — والله أعلم — مأخوذ عن أهل الكتاب فقد استبعده في فتح المجيد جداً، وهو كما قال لا سيما وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه كمجاهد وسعيد ابن جبير وعكرمة، ومن الطبقة الثانية قتادة والسدي وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف، ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة، وعلى فرض تلقيه عن أهل الكتاب فهو مما دل على صحته ظاهر سياق الآيات الكريمة فيكون من القسم الذي يشهد له شرعنا بالصحة، والله أعلم. (وروى ابن أبي حاتم بسند صحيح عن مجاهد في قوله ﴿لئن آتيتنا صالحا﴾ قال أشفقا أن لا يكون إنساناً، وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما) وقال أبو صالح أشفقا أن يكون بهيمة فقالا لئن آتيتنا صالحا بشراً سوياً، رواه ابن أبي حاتم. وفيه أن =

وله بسند صحيح[١] عن قَتَادَة قال : شُركاء فى طاعته ، ولم يكن فى عبادته .
وله بسند صحيح عن مجاهد فى قوله ﴿ لَئِنْ آتَيْتَنَا صالحاً ﴾ قال :
أشفقا أن لا يكون إنساناً . وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما

٥١ - باب

قول الله تعالى ﴿ ولِلهِ الأسماءُ الحُسنى ﴾[٢]

هبة الله للرجل البنت السوية من النعم قاله المصنف رحمه الله تعالى وذلك أن الله قادر على أن يجعلها غير سوية أو من غير الجنس فلا ينبغى للرجل أن يسخط مما وهبه الله كأهل الجاهلية بل يحمد الله الذى جعلها بشرية سوية فلهذا كانت عائشة رضى الله عنها إذا بشرت بمولود لم تسأل إلا عن صورته لا عن ذكوريته وأنوثيته قاله فى الشرح

(١) قوله (وله - أى ابن أبى حاتم - بسند صحيح عن قتادة قال : جعلا له شركاء فى طاعته ولم يكن فى عبادته) أى لكونهما أطاعاه فى التسمية بعبد الحارث لا أنهما عبداه فهو دليل على الفرق بين شرك الطاعة وبين شرك العبادة . وفيه معرفة تفسير الآية وأن هذا الشرك فى مجرد تسميته لم تقصد حقيقتها . قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٢) قوله (باب قول الله تعالى ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾) أشار المصنف رحمه الله تعالى بالترجمة بهذه الآية إلى الرد على الذين يتوسلون بذوات الأموات مع أن المشروع التوسل بالأسماء والصفات والأعمال الصالحات ، قاله فى قرة العيون . أخبر تعالى أن له أسماء وأنها حسنى أى قد بلغت الغاية فى الحسن فلا أحسن منها ولا أكمل فله من كل صفة كمال أحسن اسم وأكمله وأتمه معنى وأبعده وأنزهه عن شائبة النقص ، فأسماؤه أحسن الأسماء كما أن صفاته أكمل الصفات فلا يعدل عما سمى به نفسه إلى غيره كما لا يتجاوز ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله إلى ما وصفه به المبطلون

فادعوهُ بهـا[1] وذَرُوا الذينَ يُلحِدون فى أسمائِه[2] ﴾ الآية . ذكرَ ابنَ أبى حاتم عن ابن عباس ﴿ يُلحِدون فى أسمائه ﴾ : يشركون . وعنه : سَمَّوا اللّات مِنَ الإلٰهِ ، والعُزّى من العَزيز . وعن الأعمش[3]

---

(١) وقوله (فادعوه بها) ودعاؤه بها نوعان : دعاء ثناء وعبادة ، ودعاء طلب ومسألة فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى كذلك لا يسأل إلا بها ، فلا يسأل فى كل مطلوب إلا باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب فيكون السائل متوسلا بذلك الاسم ، تقول : رب اغفرلى وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم ، ولا يحسن أنك أنت السميع البصير ونحوذلك قاله ابن القيم رحمه الله ، وقوله ﷺ « إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » رواه البخارى . قال ابن حزم : جاءت فى إحصائها أحاديث مضطربة لا يصح شىء منها . انتهى . وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : أما قوله ان لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة ، فالكلام جملة واحدة . وقوله : من أحصاها دخل الجنة ، صفة لا خبر مستقل ، والمعنى : له أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة ، وهذا لا ينبغى أن يكون له أسماء غيرها ، ويدل عليه قوله ﷺ « أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحـداً من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك » فجعل أسماءه ثلاثة أقسام : قسما سمى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم ولم ينزل به كتابه ، وقسما أنزل به كتابه وتعرف به إلى عباده ، وقسما استأثر به فى علم الغيب عنده فلم يطلع عليه أحداً من خلقه . انتهى

(٢) قوله (وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) أى اتركوهم وأعرضوا عن مجادلتهم ، قال العوفى (عن ابن عباس ـ فى قوله ـ يلحدون فى أسمائه : يشركون ، وعنه سموا اللات من الإله ، والعزى من العزيز)

(٣) قوله (وعن الأعمش) وهو سليمان بن مهران أبو محمد الكوفى الفقيه ثقة حافظ ورع ، مات سنة مائة وسبع وأربعين وكان مولده سنة إحدى وستين ، قال (يدخلون فيها ما ليس منها) كتسمية النصارى له أبا ونحوه ، قاله فى الشرح ، =

= وأصل الإلحاد فى كلام العرب العدول عن القصد والميل والجور والانحراف، ومنه اللحد فى القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر . وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : الإلحاد فى أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت، وهو أنواع : أحدها أن تسمى الأصنام بها كتسمية اللات من الإله ونحوه . الثانى تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أباً وتسمية الفلاسفة له موجباً بذاته أو علة فاعلة ، وثالثها : وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص كقول أخبث اليهود إن الله فقير ، وقولهم إنه استراح ، وقولهم يد الله مغلولة . ورابعها : تعطيل الأسماء الحسنى عن معانيها وجحد حقائقها كقول من يقول من الجهمية : إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معانى فيطلقون عليه اسم السميع البصير الحى ، ويقولون : لا سمع له ولا بصر ولا حياة ونحو ذلك ، وخامسها : تشبيه صفاته بصفات خلقه - تعالى الله عن قول الملحدين علواً كبيراً - فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه وبرأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه ولم يجحدوا صفاته ولم يشبهوها بصفات خلقه ولم يعدلوا بها عما أنزلت لفظاً ولا معنى بل أثبتوا له الأسماء والصفات ونفوا عنه مشابهة المخلوقات فكان إثباتهم بريئاً من التشبيه وتنزيههم خلياً من التعطيل لا كمن شبه حتى كأنه يعبد صنما أو عطل حتى كأنه يعبد عدما انتهى ، وقال أيضاً فى الكافية الشافية :

فصل فى بيان حقيقة الإلحاد فى أسماء رب العالمين وذكر انقسام الملحدين

أسماؤه أسماء مدح كلها مشتقة قد حملت لمعانى
إياك والإلحاد فيها إنه كفر معاذ الله من كفران
وحقيقة الإلحاد فيها الميل بالـ إشراك والتعطيل والنكران
فالملحدون إذاً ثلاث طوائف فعليهموا غضب من الرحمن
المشركون لأنهم سموا بها أوثانهم قالوا إلاه ثانى
هم شبهوا المخلوق بالخلاق عكـ س مشبه الخلاق بالإنسان
وكذاك أهل الاتحاد فإنهم إخوانهم من أقرب الإخوان
أعطوا الوجود جميعه أسماءه إذ كان عين الله ذى السلطان =

والمشركون أقل شركا منهم ... هم خصصوا ذا الاسم بالأوثان
ولذاك كانوا أهل شرك عندهم ... لو عمموا ما كان من كفران
والملحد الثانى فذو التعطيل إذ ... ينفى حقائقها بلا برهـــان
ما ثم غير الاسم أوله بما ... ينفى الحقيقة نفى ذى بطلان
فالقصد دفع النص عن معنى الحقيـــقة فاجتهد فيه بلفظ بيان
عطل وحرف ثم أول وانفها ... واقذف بتجسيم وبالـكفران
المثبتين حقائق الأسماء والأ ... وصاف بالأخبار والقرآن
فإذا هموا احتجوا عليك فقل لهم ... هـذا مجاز وهو وضع ثانى
فإذا غلبت عن المجاز فقل لهم ... لا يستفاد حقيقة الإيقان
إنى وتلك أدلة لفظية ... عزلت عن الإيقان منذ زمان
فإذا تظافرت الأدلة كثرة ... وغلبت عن تقرير ذا ببيان
فعليك حينئذ بقانون وضعـــناه ... لدفع أدلة القرآن
ولـكل نص ليس يقبل أن يؤو ... ل بالمجـــاز ولا بمعنى ثانى
قل عارض المنقول معقول وما ... الأمران عنـد العقـل يتفقان
ما ثم إلا واحـد من أربع ... متقابلات كلهـــا بوزان
أعمال ذين أو عكسه أو تلغى ... المعقول ما هذا بذى إمكان
العقل أصل النقل وهو أبوه إن ... تبطله يبطل فرعه التحتانى
فتعين الأعمـال المعقول والإ ... لغاء للمنقول بالقانون ذى البرهان
أعـماله يفضى إلى إلغـائه ... فاهجره هجر الترك والنسيان

إلى أن قال :

هـذا وثالثهم فنافيهـا ونا ... فى ما تدل عليـه بالبهتان
ذا جاحد الرحمن رأساً لم يقر ... بخالق أبداً ولا رحمن
هذا هو الإلحاد فاحذره لعل ... الله أن ينجيك من نيران
وتفوز بالزلفى لديه وجنة الـــمأوى مع الغفران والرضوان

وفيه إثبات الأسماء وكونها حسنى ، والأمر بدعائه بها وترك من عارض من الجاهلين الملحدين ، وتفسير الإلحاد فيها ووعيد من ألحد فيها ، قاله المصنف رحمه الله تعالى .

═

يُدْخِلون فيها ما ليس منها

٥٢ – باب

لا يُقالُ السلامُ على الله[1]

في الصحيح[2] عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: كنّا مع النبي

= فائدة: ما يجرى صفة أو خبراً عن الرب تعالى أقسام، أحدها: ما يرجع إلى نفس الذات كقولك ذات وموجود، الثانى: ما يرجع إلى صفاته ونعوته كالعليم والقدير، الثالث: ما يرجع إلى أفعاله كالخالق والرازق، الرابع: التنزيه المحض ولا بد من تضمنه ثبوتاً كالقدوس والسلام، الخامس: ولم يذكره أكثر الناس وهو الاسم الدال على جملة أوصاف لا تختص بصفة معينة، نحو المجيد العظيم الصمد، السادس: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو: الغنى الحميد الغفور القدير الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة فى القرآن، فإن الغنى صفة كمال والحمد كذلك واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر فله ثناء من غناه وثناء من حمده وثناء من اجتماعهما فتأمله فإنه من أشرف المعارف، انتهى باختصار. قاله ابن القيم رحمه الله

(١) قوله (باب لا يقال السلام على الله) قلت وجه مناسبة الترجمة لكتاب التوحيد أن السلام دعاء للمسلم عليه وهو يستلزم مدعواً ومدعواً له، والله سبحانه غنى عن دعاء الداعى وليس هناك مدعواً سواه، فنهوا عن السلام عليه تنزيهاً لله وتحقيقاً لجناب التوحيد والله أعلم

(٢) قوله (فى الصحيح) أى الصحيحين (عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنا إذا كنا مع النبى ﷺ فى الصلاة قلنا السلام على الله من عباده السلام على فلان وفلان، فقال النبى ﷺ: « لا تقولوا السلام على الله من عباده فإن الله هو السلام ولكن قولوا التحيات لله) الخ هذا الحديث دليل على النهى عن قول السلام على الله لأن الله هو السلام، أى هو تعالى سالم من كل نقص ومن كل =

ﷺ في الصلاة ، قلنا : السلامُ على الله من عبادِه ، السلامُ على فلان وفلان ، فقال النبيُّ ﷺ « لا تقولوا السلامُ على الله ، فإن اللهَ هو السلام » .

= تمثيل فهو الموصوف بكل كمال المنزه عن كل عيب ونقص جل وعلا . قال ابن القيم رحمه الله : السلام اسم مصدر وهو من ألفاظ الدعاء يتضمن الإنشاء والإخبار لجهته الخبرية فيه لا تنافى الجهة الإنشائية وهو معنى السلام المطلوب عند التحية ، وفيه قولان مشهوران : أحدهما : أن السلام هنا هو الله عز وجل ومعنى الكلام نزلت بركته عليكم فاختير فى هذا المعنى من أسماء الله عز وجل اسم السلام دون غيره . الثانى أن السلام مصدر بمعنى السلامة وهو المطلوب المدعو به عند التحية ، وحق من دعا الله بأسمائه الحسنى أن يسأل فى كل مطلوب بالاسم المقتضى لذلك المطلوب المناسب لحصوله فيكون الداعى مستشفعاً إلى الله تعالى متوسلا إليه به فالمقام لما كان مقام طلب السلامة التى هى أهم شىء عند الإنسان أتى فى طلبها بصيغة اسم من أسماء الله تعالى وهو السلام الذى تطلب منه السلامة فتضمن لفظ السلام معنيين : أحدهما ذكر الله ، والثانى طلب السلامة وهو مقصود المسلم . انتهى ملخصاً ، ثم أرشدهم إلى ما ينبغى فى حقه تعالى وهو قول التحيات لله أى جميع التعظيمات مستحقة لله تعالى والصلوات أى الخمس أو العبادات كلها والطيبات أى من الأعمال الصالحة كلها لله ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، تسلم على نفسك وعلى كل عبد صالح فى السماء والأرض . فى هذا الحديث بيان الفرق بين تحية الخالق وتحية المخلوق . فتحية الخالق التعظيم وتحية المخلوق السلام الذى هو دعاء له بالسلامة ، فالتعظيم بالتحية لا ينبغى إلا لله وحده فاستبدال بعض الناس السلام فى مخاطباتهم بالتحية لا يجوز فينبغى النهى عن ذلك ، وفيه معرفة تفسير السلام وأنه تحية وأنها لا تصلح لله ، والعلة فى ذلك وتعليمهم التحية التى تصلح لله ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

٥٣ - باب

قولِ : اللهمَّ اغفرْ لِي إن شِئت [١]

فى الصحيح [٢] : عن أبى هريرة ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « لا يقولُ أحدكم : اللهمَّ اغفرْ لى إن شئت ، اللهمَّ ارحمنى إن شئت ، لِيَعْزِمِ المسألة [٣] فإنَّ اللهَ لا مُكرِهَ له [٤] »

---

(١) قوله (باب قول . اللهم اغفر لى إن شئت) لما كان العبد لا غناء له عن ربه ومغفرته طرفة عين كما قال تعالى ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد ﴾ نهى عن قول اللهم اغفر لى إن شئت لما فيه من إيهام الاستغناء عن مغفرة الله ورحمته وذلك مضاد للتوحيد قاله فى الشرح

(٢) قوله (فى الصحيح) أى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لى إن شئت ، اللهم ارحمنى إن شئت ») قال القرطبى : إنما نهى الرسول ﷺ عن هذا القول لأنه يدل على فتور الرغبة وقلة الاهتمام بالمطلوب ، وكان هذا القول يتضمن أن هذا المطلوب إن حصل وإلا استغنى عنه ، ومن كان هذا حاله لم يتحقق من حاله الافتقار والاضطرار الذى هو روح عبادة الدعاء ، وكان ذلك دليلا على قلة معرفته بذنبه وبرحمة الله . وأيضاً فإنه لا يكون موقناً بالإجابة ، وقد قال عليه السلام « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة . واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل »

(٣) قوله (ليعزم المسئلة) قال القرطبى أى ليجزم فى طلبته ويحقق رغبته ويتيقن الإجابة فإنه إذا فعل ذلك دل على علمه بعظيم ما يطلب من المغفرة والرحمة وعلى أنه مفتقر إلى ما يطلب مضطر إليه وقد وعد الله المضطر بالإجابة بقوله ﴿ أم من يجيب المضطر إذا دعاه ﴾

(٤) قوله (فإن الله لا مكره له) هذا لفظ البخارى فى الدعوات ، ولفظ مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لى إن شئت اللهم ارحمنى إن شئت ، ليعزم على المسئلة فى الدعاء فإن الله صانع ما شاء لا =

ولمسلم « وليُعظِّم الرغبةَ[1] فإنَّ اللهَ لا يتعاظَمُه شىءٌ أعطاه »

٥٤ – باب

لا يقول عَبْدِى وأَمَتِى[2]

فى الصحيح[3] عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا يَقُلْ أحـــــــــدُكم : أطعمْ ربكَ ، وَضِّئْ ربَّك ،

= مكره له ، قال القرطبى : هذا إظهار لعدم فائدة تقييد الاستغفار والرحمة بالمشيئة فإن الله تعالى لا يضطره إلى فعل شىء دعاء ولا غيره بل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، ولذلك قيد تعالى الإجابة بالمشيئة فى قوله ﴿ فيكشف ما تدعون إليه إن شاء ﴾ فلا معنى لاشتراط المشيئة بقبله ، وقوله فإن الله لا مكره له بخلاف العبد فإنه قد يعطى السائل مسئلته وهو كاره لحاجته إليه أو لخوفه أو لرجائه . فالأدب مع الله أن لا يعلق مسئلته لربه بشىء لسعة فضله وإحسانه وجوده وكرمه ، وفيه النهى عن الاستثناء فى الدعاء وبيان العلة فى ذلك ، وقوله « ليعزم المسألة » قاله المصنف

(١) قوله (ولمسلم « وَلْيُعَظِّم الرغبة ») هو بالتشديد (فإن الله لا يتعاظمه شىء أعطاه) يقال تعاظم زيد هذا الأمر أى كبر عليه وعسر والرغبة يعنى الطلبة والحاجة التى يريد ، وقيل السؤال والطلب والتعظيم على هذا بالإلحاح والأول أظهر ، قاله فى الشرح . وفيه إعظام الرغبة والتعليل لهذا الأمر . قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٢) قوله (باب لا يقول عبدى وأمتى) أى لما فى ذلك من إيهام المشاركة فى الربوبية أدباً وحماية لجناب التوحيد قاله فى الشرح

(٣) قوله (فى الصحيح) أى الصحيحين (عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا يقل أحدكم) هو بالجزم على النهى أى لمملوكه (أطعم ربك) بفتح الهمزة من الإطعام ، وضىء ربك أمر من الوضوء وفيهما فى هذا الحديث : =

وليقُل سيِّدِى ومولاى ، ولا يَقُل أحدُكم عبدى وأمَتى ، وليَقُلْ فَتَاىَ و فَتاتى وغُلامى »

٥٥ – باب

لا يُرَدُّ مَن سَأَلَ بالله (١)

= اسق ربك ، وكأن المؤلف اختصرها وهذه الألفاظ المنهى عنها وإن كانت تطلق لغة فالنبى ﷺ نهى عنها تحقيقاً للتوحيد وسداً لذرائع الشرك لما فيها من التشريك فى اللفظ لأن الله هو رب العباد جميعهم فإذا أطلق على غيره ما يطلق عليه تعالى وقع الشبه فى اللفظ فينبغى أن يجتنب هـذا اللفظ فى حق المخلوق من ذلك وأرشدهم إلى ما يقوم مقام هذه الألفاظ فقال (وليقل سيدى ومولاى) وكذا قوله (ولا يقل أحدكم عبدى وأمتى) لأن العبيد عبيد الله والإماء إماء الله ، قال تعالى ﴿ إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ﴾ ففى إطلاق هاتين الكلمتين على غير الله تشريك فى اللفظ فنهاهم عن ذلك تعظيما لله تعالى وأدباً وتحقيقاً للتوحيد ، وأرشدهم إلى ما ينبغى بقوله (وليقل فتاى وفتاتى وغلامى) وهـذا من باب حماية جناب التوحيد ، قال الخطابى وسبب المنع أن الإنسان مربوب متعبد بإخلاص التوحيد لله تعالى ، وترك الإشراك به فأمر بترك المضاهاة بالإسم لئلا يدخل فى معنى الشرك ولا فرق فى ذلك بين الحر والعبد وأما من لا تعبد عليه من سائر الحيوانات والجمادات فلا يكره أن يطلق ذلك عليـه عند الإضافة كقوله رب الدار والثوب ، قاله فى الشرح . قال ابن مفلح وظاهر النهى التحريم وقد يحتمل أنه للكراهة وجزم به غير واحد من العلماء . وفيه النهى عن قول عبدى وأمتى ولا يقول العبد ربى ، ولا يقال له أطعم ربك ، وتعليم الأول قول فتاى وفتاتى وغلامى ، وتعليم الثانى قول سيدى ومولاى ، والتنبه للمراد وهو تحقيق التوحيـد حتى فى الألفاظ ، قاله المصنف رحمه الله تعـالى .

(١) قوله (باب لا يرد من سأل بالله) أى إعظاماً وإجلالا لله تعـالى أن يسأل به فى شىء ولا يجاب السائل إلى سؤاله ومطلوبه ، قاله فى الشرح ، أى إن =

عن ابن عمر قال[١] : قال رسول الله ﷺ «مَن استَعاذَ بالله فأعِيذوه[٢]، ومَن سألَ باللهِ فأعْطوه، ومَن دَعاكم فأجِيبوه[٣]، ومَن صَنَع إليكم مَعروفاً فَكافِئوه[٤]»،

= رده مكروه أو محرم إذا كان المطلوب ليس محرماً ولا مكروهاً لأن رده دليل على عدم إعظام الله

(١) قوله (عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « من سأل بالله فأعطوه ») أى إذا قال السائل أسألك بالله ، قال شيخ الإسلام : وإذا قال السائل أسألك بالله فإنما سأله بإيمانه بالله وذلك سبب لإعطاء من سأله به ، وفيه إعطاء من سأل بالله قاله المصنف . وقد جاء الوعيد على منع من سئل بالله أو بوجه الله ثم منع سائله . قال فى فتح المجيد : ظاهر الحديث النهى عن رد السائل إذا سأل بالله لكن هذا العموم يحتاج إلى تفصيل فيجب إذا سأل السائل ماله فيه حق كبيت المال أن يجاب فيعطى منه على قدر حاجته وما يستحقه وجوبا وكذلك إذا سأل المحتاج من فى ماله فضل فيجب أن يعطيه على قدر حالة المسئول ما لا يضر بعائلته وإن كان مضطراً وجب أن يعطيه ما يدفع ضرورته . انتهى

(٢) قوله (ومن استعاذ بالله فأعيذوه) أى تعظيما لله وتقربا إليه ، وفيه إعاذة من استعاذ بالله قاله المصنف . ولهذا لما استعاذت منه الجونية قال ﷺ : « لقد عذتِ بمعاذ ألحقى بأهلك »

(٣) قوله (ومن دعاكم فأجيبوه) أى من دعاكم إلى طعام فأجيبوه ، والحديث أعم من الوليمة وغيرها وهو يدل على الوجوب . قلت هذا إذا لم يكن فى الدعوة منكر فإن كان فيها منكر لم تجب إجابتها إلا إذا كان المدعو يستطيع إزالته فتجب الإجابة حينئذ . وفيه إجابة الدعوة . قاله المصنف رحمه الله

(٤) قوله (ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه) على إحسانه ليخلص القلب من إحسان الخلق ويتعلق بالحق لأنك إذا لم تكافىء من صنع إليك معروفا بقى فى قلبك له نوع تأله فشرع قطع ذلك بالمكافأة . هذا معنى كلام شيخ الإسلام رحمه الله قاله فى إبطال التنديد . وفيه المكافأة على الصنيعة ولا يهمل المكافأة =

فإن لم تجِـــدوا ما تُـكافِئونَهُ فادعوا له [١] حتى تُرَوْا [٢] أنكم قد كافأتموه » رواه أبو داود والنسائى بسند صحيح

٥٦ - باب

لا يُسْأَلُ بوجهِ اللهِ إلّا الجنَّـــةُ [٣]

عن جابر قال [٤] : قال رسول الله ﷺ « لا يُسْأَلُ بوجهِ اللهِ

= على المعروف إلا اللئام من الناس وبعض اللئام يكافىء على الإحسان بالإساءة قاله فى فتح المجيد

(١) قوله (فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له) أى إذا لم تقدروا على مكافأته وفيه أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه ، وقد روى الترمذى وصححه والنسائى وابن حبان عن أسامة بن زيد مرفوعاً « من صنع إليـه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيراً فقد أبلغ فى الثناء »

(٢) قوله (حتى تروا) بضم التاء ، أى تظنوا ، ويحتمل أن تكون مفتوحة بمعنى تعلموا أنكم قد كافأتموه ، ويؤيده ما فى سنن أبى داود من حديث ابن عمر حتى تعلموا فتعين الثانى للتصريح به قاله فى فتح المجيد

(٣) قوله (باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة) أى إجلالا وإكراما لوجه الله تعالى أن يسأل به إلا غاية المطالب وهى الجنة

(٤) قوله (عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يسأل بوجه الله إلا الجنة ») رواه أبو داود

قوله (لا يسأل بوجه الله) روى بالنفى والنهى وروى بالبناء للمجهول وهو الذى فى الأصل ، وروى بالخطاب للمفرد قاله فى الشرح . وأما سؤال المخلوق بوجه الله فحرام لما روى الطبرانى عن أبى موسى مرفوعاً « ملعون من سأل بوجه الله وملعون من سُئل بوجه الله ثم منع سائله ما لم يسأل هجراً » ، وعن أبى عبيدة مولى رفاعة بن رافع مرفوعاً « ملعون من سأل بوجه الله وملعون من سُئل =

إلَّا الجنَّة » رواه أبو داود

= بوجه الله فمنع سائله ، رواه الطبرانى أيضاً . وعن ابن عباس رضى الله عنه مرفوعاً « ألا أخبركم بشر الناس ؟ رجل سئل بوجه الله ولا يعطى » رواه الترمذى وحسنه وابن حبان فى صحيحه ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم بشرِّ البرية ؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : الذى يسأل بوجه الله ولا يعطى » فهذه الأحاديث مع حديث الباب تدل على وجوب إعطاء السائل . وفيه « لعن من سأل أحداً بوجه الله » ، قاله فى إبطال التنديد

قوله (إلا الجنة) كأن يقول « اللهم إنى أسألك بوجهك الكريم أن تدخلنى الجنة » وقيل المراد لا تسألوا الناس شيئاً بوجه الله ، كأن يقول : أعطنى شيئاً لوجه الله فإن الله أعظم من أن يسأل به شىء من الحطام . قال فى الشرح : إن كلا المعنيين صحيح . قال الحافظ العراقى : وذكر الجنة إنما هو للتنبيه على الأمور العظام إلا للتخصيص ، فلا يسأل بوجه الله فى الأمور الدنيئة بخلاف الأمور العظام تحصيلا أو دفعاً كما يشير إليه استعاذة النبى ﷺ به ، قال فى إبطال التنديد والحديث أحق مما قال ، وحديث الباب من جملة الأدلة المتواترة فى الكتاب والسنة على إثبات الوجه لله تعالى كما هو طريقة أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا ، وفيه النهى عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب وإثبات صفة الوجه قاله المصنف رحمه الله تعالى . قال فى فتح المجيد وهنا سؤال : وهو أنه قد ورد فى دعاء النبى ﷺ « أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات » وحديث « أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له السموات والأرض » وحديث « أعوذ بوجهك الكريم » وأمثال ذلك فى الأحاديث المرفوعة بالأسانيد الصحيحة أو الحسان ، فالجواب أن ما ورد من ذلك فهو فى سؤال ما يقرب إلى الجنة أو ما يمنعه من الأعمال التى تمنعه من الجنة فيكون قد سأل بوجه الله وبنور وجهه ما يقرب إلى الجنة . . إلى آخره . فأقول : هذا السؤال الذى أورده الشيخ رحمه الله تعالى وتكلف الجواب عنه ليس من السؤال بوجه الله ، وإنما هو استعاذة بوجه الله ، وفرق بين السؤال والاستعاذة ، فتنبه لذلك

٥٧ - باب

ما جاء فى اللَّوْ[1]

وقول الله تعالى ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَىْءٌ مَا قُتِلْنَا هٰهُنَا[2] ﴾ .

وقوله ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾ الآية[3] .

---

(١) قوله (باب ما جاء فى اللو) أى من الوعيد والنهى عنه عند الأمور المكروهة كالمصائب إذا جرى بها القدر لما فيه من الإشعار بعدم الصبر والأسى على ما فات مما لا يمكن استدراكه ، فالواجب التسليم للقدر والقيام بالعبودية الواجبة وهى الصبر على ما أصاب العبد مما يكره ، والإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان الستة . وأدخل المصنف رحمه الله تعالى أداة التعريف على « لو » وهى فى هذا المقام لا تفيد تعريفاً كنظائرها ، لأن المراد هنا اللفظ كما قال الشاعر:

رأيت اليزيد بن الوليد مباركا   شديداً بأعباء الخلافة كاهله

(٢) قوله (وقول الله تعالى ﴿ يقولون لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا ها هنا ﴾) هذا قول بعض المنافقين يوم أحد . روى ابن إسحاق بإسناده عن عبد الله بن الزبير قال : قال الزبير لقد رأيتنى مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف علينا أرسل الله علينا النوم فما منا رجل إلا ذقنه فى صدره ، قال : فوالله إنى لأسمع قول مُعَتِّب بن قشير ما أسمعه إلا كالحلم : لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا هاهنا لحفظتها منه ، وفى ذلك أنزل الله ﴿ يقولون لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا هاهنا ﴾ لقول معتب رواه ابن أبى حاتم ، وهذا من المنافقين معارضة منهم للقدر بلو ، ولهذا رد الله عليهم بقوله ﴿ قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾

(٣) وقوله (الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴾ وهذا أيضا معارضة للقدر من المنافقين =

فى الصحيح[1] عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « احرِصْ

= بقولهم لمن خرج مع رسول الله ﷺ يوم أحد . قيل : وإنما قال لإخوانهم أى لمشاركتهم لهم فى الظاهر ، وقيل لإخوانهم فى النسب لا فى الدين لو أطاعونا فى مشورتنا عليهم بعدم الخروج ما قتلوا قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت أى إن عدم الخروج لا ينجى من الموت فإن كنتم صادقين فادفعوا الموت إذا جاءكم أى إذا كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت فينبغى لكم أن لا تموتوا والموت لا بد آتيكم ولو كنتم فى بروج مشيدة . قال مجاهد عن جابر بن عبد الله : نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبىّ وأصحابه يعنى أنه هو الذى قال ذلك . قال شيخ الإسلام : انخزل عبد الله بن أبىّ يوم أحد ، وقال : يدع رأيى ورأيه ويأخذ برأى الصبيان وانخزل معه خلق كثير كان كثير منهم لم ينافق قبل ذلك فأولئك كانوا مسلمين وكان معهم إيمان هو الضوء الذى ضرب الله به المثل ، فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق لماتوا على الإسلام ولم يكونوا من المؤمنين حقا الذين امتحنوا فثبتوا على المحنة ، ولا من المنافقين حقا الذين ارتدوا عن الإيمان بالمحنة وهذا حال كثير من المسلمين فى زماننا أو أكثرهم إذا ابتلوا المحنة التى يتضعضع فيها أهل الإيمان ينقص إيمانهم كثيراً وينافق كثير منهم ، ومنهم من يظهر الردة إذا كان العدو غالبا ، وقد رأينا من هذا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة ، وإذا كانت العافية أو كان المسلمون ظاهرين على عدوهم كانوا مسلمين وهم مؤمنون بالرسل باطنا وظاهراً لكنه إيمان لا يثبت على المحنة ، ولهذا يكثر فى هؤلاء ترك الفرائض وانتهاك المحارم وهؤلاء من الذين قالوا آمنا فقيل لهم (لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم) أى الإيمان المطلق الذى أهله هم المؤمنون حقا فإن هذا هو الإيمان إذا أطلق فى كتاب الله كما دل عليه الكتاب والسنة فلم يحصل له ريب عند المحن التى تقلقل الإيمان فى القلوب . انتهى . وفيه معرفة تفسير الآيتين من آل عمران قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (فى الصحيح) أى صحيح مسلم (عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن ») اختصر المصنف رحمه الله هذا الحديث ، وأوله أن النبى ﷺ قال « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير احرص على ما ينفعك » إلى =

آخره . قال ابن القيم رحمه الله تضمن هذا الحديث أصولا عظيمة من أصول الإيمان ، أحدها أن الله سبحانه موصوف بالمحبة وأنه يحب حقيقة . الثانى أنه يحب مقتضى أسمائه وصفاته وما يوافقها ، فهو القوى يحب المؤمن القوى ، وهو وتر يحب الوتر ، وجميل يحب الجمال ، وعليم يحب العلماء ، ونظيف يحب النظافة ومؤمن يحب المؤمنين ، ومحسن يحب المحسنين ، وصابر يحب الصابرين ، وشاكر يحب الشاكرين . ومنها أن محبته للمؤمنين تتفاضل فيحب بعضهم أكثر من بعض ومنها أن سعادة الإنسان فى حرصه على ما ينفعه فى معاشه ومعاده . والحرص هو بذل الجهد واستفراغ الوسع

وقوله (أحرص على ما ينفعك) أى فى معاشك ومعادك ، والمراد الحرص على فعل الأسباب التى تنفع العبد فى دنياه وأخراه مما شرعه الله تعالى لعباده من الأسباب الواجبة والمستحبة والمباحة ويكون العبد فى حال فعله السبب مستعينا بالله وحده ليتم له مطلوبه ويكون اعتماد العبد على الله مع فعل السبب لأن الله هو الذى خلق السبب والمسبب ولا ينفعه سبب إلا إذا نفعه الله به ، ففعل السبب سنة والتوكل على الله توحيد ، فاذا جمع بينهما تم له مراده بإذن الله

قوله (واستعن بالله) لما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه أمره أن يستعين به ليجمع له بين مقام ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فان حرصه على ما ينفعه عبادة لله ولا تتم إلا بمعونة الله فأمره أن يعبده وأن يستعين به قاله ابن القيم رحمه الله تعالى

قوله (ولا تعجزن) النون نون التوكيد الخفيفه نهاه ﷺ عن العجز وذمه والعجز مذموم شرعا وعقلا ، وفى الحديث « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » . قال ابن القيم : فالحريص على ما ينفعه المستعين بالله ضد العاجز فهذا إرشاد له قبل وقوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزمّة الأمور بيده ومصدرها منه ومردها اليه ، فاذا وقع المقدور فللعبد

وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلتُ لكان كذا وكذا ، ولكن قُلْ : قَدَّرَ اللهُ وما شاء فَعَل ، فإنَّ (لو) تفتحُ عَمَل الشيطان[1] »

حالتان حالة عجز وهي مفتاح عمل الشيطان فيلقيه العجز إلى « لو » ولا فائدة فيها بل هي مفتاح اللوم والعجز والسخط والحزن وهذا من عمل الشيطان فنهاه عن افتتاح عمله بهذا المفتاح وأمره بالحالة الثانية وهي النظر إلى القدر وأنه لو قدر لم يفته ولم يغلبه عليه أحد ولهذا قال (وإن أصابك شيء) أى غلبك الأمر ولم يحصل المقصود بعد بذل الجهد والاستعانة بالله (فلا تقل لو أنى فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل) فأرشده إلى ما ينفعه حالة حصول مطلوبه وحالة فواته ، ولهذا كان هذا الحديث مما لا يستغنى عنه وهو يتضمن إثبات القدر والكسب والاختيار والقيام بالعبودية ظاهراً وباطناً فى حالتى حصول المطلوب وعدمه انتهى ملخصا ، وفيه الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله والنهى عن ضد ذلك وهو العجز ، قاله المصنف رحمه الله

(١) قوله (فإن « لو » تفتح عمل الشيطان) أى لما فيها من التأسف على ما فات والتحسر ولوم القدر وذلك ينافى الصبر ، والرضى واجب ، والإيمان بالقدر فرض . وفيه النهى الصريح عن قول « لو » إذا أصابك شيء وتعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان والإرشاد إلى الكلام الحسن ، قاله المصنف . تنبيه : وأما قوله ﷺ « لولا حدثان قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم » . وقوله « لو كنت راجماً أحداً بغير بينة لرجمت هذه » وقوله « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك » وشبه ذلك . فأجاب القاضى عياض بأن هذا كله مستقبل لا اعتراض فيه على قدر ولا كراهة فيه لأنه إنما أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا المانع وعما هو فى قدرته فأما ماذهب فليس فى قدرته ، وكذا قوله « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما سقت الهدى ولجعلتها عمرة » فليس من المنهى عنه بل هو إخبار لهم عما كان يفعل فى المستقبل لو حصل ولا خلاف فى جواز ذلك وإنما ينهى عن ذلك فى معارضة القدر أو مع اعتقاد أن ذلك المانع لو ارتفع لوقع خلاف المقدور ، انتهى ملخصا

٥٨ - باب

النهى عن سَبِّ الريح(١)

عن أُبىّ بن كعب رضى الله عنه(٢) أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « لا تَسُبُّوا الريحَ ، فإذا رأيتم ما تَكرَهون فقولوا : اللهمَّ إنا

---

(١) قوله (باب النهى عن سب الريح) أى لأنها مأمورة فسبها مسبة لآمرها فيكون إذاً لله كسبة الدهر ، وهو من أفعال أهل الجاهلية

(٢) قوله (عن أبىّ بن كعب) أى ابن عبيد بن زيد بن معاوية بن قيس بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصارى الخزرجى أبو المنذر صحابى جليل ، وكان من قراء الصحابة وعلمائهم وله مناقب مشهورة منها : أن النبى ﷺ قال له إن الله أمرنى أن أقرا عليك ﴿ لم يكن الذين كفروا ﴾ قال وسمانى قال نعم ، فبكى أبىّ . قال الهيثم بن عدى : مات سنة تسع عشرة ، وقال خليفة بن خياط فى سنة اثنتين وثلاثين ، يقال مات فيها أبى بن كعب ، ويقال مات فى خلافة عمر وقيل غير ذلك رضى الله عنه (أن رسول الله ﷺ قال « لا تسبوا الريح ، فاذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها ما أمرت به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به » صححه الترمذى)

قوله (لا تسبوا الريح) أى لا تشتموها ولا تلعنوها . (فإنها مأمورة) فلا يجوز سبها بل تجب التوبة عند التضرر بها وهو تأديب من الله لعباده وتأديبه رحمة للعباد ، فلهذا جاء فى حديث أبى هريرة مرفوعاً « الريح من روح الله تأتى بالرحمة وبالعذاب فلا تسبوها ، ولكن سلوا الله من خيرها وتعوذوا بالله من شرها » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه

قوله (فاذا رأيتم ما تكرهون) أى من الريح إما شدة حرها أو بردها أو قوتها فارجعوا إلى ربكم بالتوحيد وقولوا « اللهم إنا نسألك من خير هذه =

نَسأَلُكَ مِنْ خَيرِ هٰذهِ الريحِ ، وخيرِ ما فيها ، وخيرِ ما أُمِرَتْ به ، ونعوذ بك من شرّ هـذه الريح ، وشر ما فيها ، وشر ما أُمِرتْ به » صححه الترمذى

٥٩ – باب

قولِ الله تعالى ﴿ يَظُنُّونَ بِاللهِ غيرَ الحقّ ظنّ الجاهليّة ؛ يقولون هل لنا مِنَ الأمرِ مِنْ شيء قُل إنَّ الأمرَ كُلَّهُ لله[1] ﴾ الآية

= الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها ، وشر ما أمرت به ، فنى هذا عبودية لله وطاعة له ولرسوله واستدفاع للشر وتعرض لفضله ونعمته ، وهذه حال أهل التوحيد والإيمان خلافاً لحال أهل الفسوق والعصيان الذين حرموا ذوق طعم التوحيد الذى هو حقيقة الإيمان . وفيه النهى عن سب الريح ، والإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره ، والإرشاد إلى أنها مأمورة ، وأنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر ، قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله (باب قول الله تعالى ﴿ يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله ﴾ الآية) أراد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الترجمة التنبيه على وجوب حسن الظن بالله لأن ذلك من واجبات التوحيد ولذلك ذم الله من أساء الظن به ، لأن مبنى حسن الظن على العلم برحمة الله وعزته وإحسانه وقدرته وعلمه وحسن اختياره وقوة التوكل عليه فاذا تم العلم بذلك أثمر له حسن الظن بالله ، قاله فى الشرح . وقد جاء فى الحديث القدسى قال الله تعالى « أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى » رواه البخارى ومسلم ، وعن جابر رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل » رواه مسلم وأبو داود

قوله (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) هذه الآية نزلت خبر من الله عن =

وقوله ﴿ الظَّانِّينَ باللهِ ظَنَّ السَّوْءِ ، عليهمْ دائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ الآية (١)

= المنافقين وما جرى لهم فى وقعة أحد فقال تعالى ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم ﴾ يعني المؤمنين الصادقين الذين هم على يقين بأن الله سينصر رسوله ويظهره على عدوه ، وطائفة قد أهمتهم أنفسهم ، يعنى المنافقين ، لا يغشاهم النعاس ، من القلق والجزع والخوف على أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية من أهل الشرك شكا فى أمر الله وتكذيبا لنبيه لما رأوا من الهزيمة على المسلمين بسبب مخالفتهم لأمر الرسول ﷺ وتركهم الثغر الذى أمرهم بلزومه فكر عليهم العدو فقتل من قتل منهم وشج النبى ﷺ وكسرت رباعيته فظن المنافقون أنها الفيصلة وأن الإسلام قد باد أهله فقال معتب بن قشير أخو بنى عمرو بن عوف : لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا هاهنا . ولما قيل لعبد الله بن أبىّ قتل بنو الخزرج اليوم ، قال : وهل لنا من الأمر شىء . قال ابن القيم رحمه الله تعالى فليس مقصودهم بالكلمة الأولى والثانية إثبات القدر ورد الأمر كله لله ولو كان هذا مقصودهم لما ذموا ولما حسن الرد عليهم بقوله قل إن الأمر كله لله ، ولا كان هذا الكلام ظن الجاهلية ولهذا قال غير واحد من المفسرين إن ظنهم الباطل ههنا هو التكذيب بالقدر وأن الأمر لو كان اليهم وكان الرسول ﷺ وأصحابه تبعا لهم يسمعون منهم لما أصابهم القتل ولكان النصر والظفر لهم فكذبهم الله فى هذا الظن الباطل الذى هو ظن الجاهلية وهو المنسوب إلى أهل الجهل الذين يزعمون بعد نفاذ القضاء والقدر الذى لم يكن بد من نفاذه أنهم كانوا قادرين على دفعه وأن الأمر لو كان اليهم لما نفذ القضاء فأكذبهم الله بقوله ﴿ قل إن الأمر كله لله ﴾ فلا يكون إلا ما سبق به قضاؤه وقدره وجرى به قلمه وكتابه السابق

(١) وقوله (الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء . الآية) قال ابن كثير يتهمون الله تعالى فى حكمه ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية ، ولهذا قال ﴿ عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم ﴾ أى أبعدهم من رحمته وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا (قال ابن القيم رحمه الله فى الآية =

قال ابنُ القيِّم فى الآية الأولىٰ : فُسِّرَ هـذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل . وفُسِّرَ بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقَدَرِ الله وحكمته ، فَفُسِّرَ بإنكار الحكمة ، وإنكار القَدَر ، وإنكار أن يتمَّ أمرُ رسوله ﷺ وأن يُظهِره على الدين كلِّه . وهـذا هو ظنُّ السَّوء الذى ظنَّه المنافقون والمشركون فى سورة الفتح . وإنما كان هذا ظنَّ السَّوء لأنه ظنٌّ غيرِ ما يليقُ به سبحانه ، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق ، فمن ظنَّ أنه يُدِيلُ الباطلَ على الحق إدالةً مستقرَّة يضمحلُّ معها الحق ، أو أنكرَ أن يكون ما جرى بقضائه وقدَره ، أو أنكرَ أن يكون قَدَرُه بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد ، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجرَّدة ، فذلك ظنُّ الذين كفروا ، فويلٌ للذين كفروا من النـــــــــــــار .

= الأولى فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله ، وأن أمره سيضمحل وفسر بأن أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر وإنكار أن يتم أمر رسوله وأن يظهره على الدين كله وهذا هو ظن السوء الذى ظن المنافقون والمشركون فى سورة الفتح ، وإنما كان هذا ظن السوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق ، فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستمرة يضمحل معها الحق ، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره ، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد بل زعم أن ذلك لمشيئة بجردة فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) . وفيه معرفة تفسير آية آل عمران وتفسير آية الفتح قاله المصنف رحمه الله تعالى

وأكثرُ الناس يظنُّون بالله ظنَّ السَّوء فيما يختصُّ بهم[١] وفيما يفعله بغيرهم ، ولا يَسْلَم من ذلك من عرفَ اللهَ وأسماءه وصفاته وموجبَ حكمته وحمده[٢] . فليَعتنِ اللبيبُ[٣] والناصح لنفسه بهذا ، وليتبْ إلى الله ويستغفره من ظنِّه بربه ظنَّ السَّوء . ولو فتشتَ من فتشت[٤] لرأيت عنده تعنُّتاً على القدَر وملامةً له ، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا ، فمستقِلٌّ ومُستكثر ، وفتش نفسكَ ، هل أنت سالم ؟

---

(١) قوله (وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم) بل غالب بنى آدم إلا من شاء الله يعتقد أنه مبخوس الحق ناقص الحظ وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله ، ولسان حاله يقول ظلمنى ربى ومنعنى ما أستحق ، ونفسه تشهد عليه بذلك ، وهو بلسانه ينكر ولا يتجاسر على التصريح

(٢) قوله (وفيما يفعله بغيرهم ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده) فإذا رأوا رجلا صالحا قد قتر عليه قالوا هذا ما يستحق أو رأوا رجلا قد وسع عليه فى الدنيا قالوا هذا ليس بكفؤ قدحا فى القدر واعتراضا عليه . قال أبو الفرج بن الجوزى : وهذه حالة قد شملت خلقا كثيرا من العلماء والجهال أولهم إبليس فانه نظر بعقله فقال كيف يفضل الطين على جوهر النار ؟ وفى ضمن اعتراضه أن حكمتك قاصرة وأنا أجود واتبع إبليس فى تفضيله واعتراضه خلق كثير مثل الراوندى والمعرى ومن قوله

إذا كان لا يحظى برزقك عاقل   وترزق مجنونا وترزق أحمقا

فلا ذنب يارب السماء على امرىء   رأى منك مالا يرتضى فتزندق

(٣) قوله (فاليعتن اللبيب) أى العاقل (الناصح لنفسه ، ولا يعترض على ربه فى قضائه وقدره وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء)

(٤) قوله (ولو فتشت من فتشت) يعنى من الناس (لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له وأنه كان ينبغى أن يكون كذا وكذا) أى خلاف ما جرى به القدر (فمستقل ومستكثر) أى مستقل من الاعتراض ومستكثر منه (وفتش نفسك هل أنت سالم) من الاعتراض على قضاء الله وقدره أم لا

=

فإن تَنْجُ منها تَنْجُ من ذى عَظِيمةٍ ... وإلّا فإنى لا إخالُكَ ناجيا

٦٠ – باب

ما جاء فى مُنْكِرِى القَدَرِ (١)

= فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة ... وإلا فإنى لا إخالك ناجيا

قوله (لا إخالك) بكسر الهمزة ، أى لا أظنك ، ولله در القائل :

فلا تظنن بربك ظن سوء ... فان الله أولى بالجميل
ولا تظنن بنفسك قط خيرا ... فكيف بظالم جان جهول
وظن بنفسك السوء تجدها ... كذاك وخيرها كالمستحيل
وما بك من تقى فيها وخير ... فتلك مواهب الرب الجليل
وليس لها ولا منها ولكن ... من الرحمن فاشكر للدليل

وفيه الإخبار بان دمت ،و،ع لا تحصر ، وأنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (باب ما جاء فى منكرى القدر) أى من الوعيد الشديد ، قال فى المصباح والقدر بالفتح لا غير القضاء الذى يقدره الله تعالى والقدر منشؤه عن علم الرب وقدرته ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى « القدر هو قدرة الله » ، واستحسن ابن عقيل هذا الكلام من أحمد غاية الاستحسان وقال إنه شفى بهذه الكلمة وأفصح بها عن حقيقة القدر ، وإلى هذا أشار العلامة ابن القيم بقوله :

وحقيقة القدر الذى حار الورى ... فى شأنه هو قدرة الرحمن
واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد ... لما حكاه عن الرضى الربانى
قال الإمام شفى القلوب بلفظة ... ذات اختصار وهى ذات بيان

قال شيخ الإسلام : وقول الإمام أحمد « القدر قدرة الله » يعنى أن من أنكر القدر فقد أنكر قدرة الله ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : الإيمان بالقدر نظام التوحيد ، فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض تكذيب توحيده ، ومن آمن بالقدر صدق إيمانه توحيده

وقال ابنُ عمر: والذى نفس ابن عمرَ بيده، لو كانَ لأحدهم مثلَ أُحُد ذهباً ثم أنفقه فى سبيل الله ما قَبِلَهُ اللهُ منه حتى يؤمِنَ بالقَدَر. ثم استدلَّ بقول النبىِّ ﷺ «الإيمانُ أن تُؤمنَ بالله وملائكتهِ وكتبهِ ورسلهِ واليومِ الآخر، وتُؤمنَ بالقَدَرِ خيرِه وشرِّه[1]» رواه مسلم

---

(١) قوله (وقال عبد الله بن عمر: والذى نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا ثم أنفقه فى سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم استدل بقول النبى ﷺ «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقدر خيره وشره») حديث ابن عمر هذا أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه، فالإيمان بالله هو التصديق بأنه سبحانه وتعالى موجود موصوف بصفات الجلال والكمال منزه عن صفات النقص وأنه فرد صمد خالق جميع المخلوقات متصرف فيها بما يشاء يفعل فى ملكه ما يريد، والإيمان بالملائكة هو التصديق بعبوديتهم لله ﴿ بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾. والإيمان بالرسل هو التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى، أيدهم الله بالمعجزات الدالة على صدقهم، وأنهم بلغوا عن الله رسالاته وبينوا للمكلفين ما أمرهم الله به، وأنه يجب احترامهم وأن لا يفرق بين أحد منهم. والإيمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت والنشر والحشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار، وأنهما دار ثوابه وعقابه للمحسنين والمسيئين إلى غير ذلك مما صح به النقل، والإيمان بالقدر هو التصديق بما دل عليه قوله ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ وقوله ﴿ إنا كل شىء خلقناه بقدر ﴾ وكلام ابن عمر هذا أراد به غلاة القدرية المنكرين أن يكون الله عالما بشىء من أعمال العباد قبل وقوعها منهم وإنما يعلمها بعد كونها قال القرطبى: ولاشك فى تكفير من يذهب إلى ذلك فإنه جحد معلوما من الشرع بالضرورة، لذلك تبرأ منهم ابن عمر وأفتى بأنه =

=لا تقبل منهم أعمالهم ونفقاتهم . وقال شيخ الإسلام : مذهب أهل السنة فى هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة ، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، وهو أن الله خالق كل شىء وربه ومليكه ، وقد دخل فى ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد ، وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون فى الوجود شىء إلا بمشيئته وقدرته ولا يمتنع عليه شىء شاءه بل قادر على كل شىء ولا يشاء شيئا إلا هو قادر عليه ، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، وقد دخل فى ذلك أفعال العباد وغيرها ، وقد قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم وقدر أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وكتب ما يصيرون اليه من شقاوة وسعادة ، فهم يؤمنون بخلقه لكل شىء وقدرته على كل شىء ومشيئته لكل ما كان وعلمه بالأشياء قبل أن تكون وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون . وقد سئل الشافعى رحمه الله عن القدر فقال :

فما شئتَ كان وإن لم أشأ ... وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت ... ففى العلم يجرى الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت ... وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقى ومنهم سعيد ... ومنهم قبيح ومنهم حسن

والإيمان بالقدر على درجتين إحداهما : الإيمان بأن الله تعالى سبق فى علمه ما يعمل العباد من خير وشر وطاعة ومعصية قبل خلقهم ، ومن هو منهم من أهل الجنة ، ومن هو منهم من أهل النار . وأعد لهم الثواب والعقاب وكتب ذلك ، وأن أعمال العباد تجرى على ما سبق فى علمه وكتابه ، وهذه الدرجة أثبتها كثير من القدرية ونفاها غلاتهم كمعبد الجهنى وعمرو بن عبيد وغيرهما . وقد قال كثير من أئمة السلف ناظروهم ـ يعنى القدرية ـ بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن جحدوا كفروا ، يريدون أن من أنكر العلم القديم السابق بأفعال العباد ، وأن الله قسمهم قبل خلقهم إلى شقى وسعيد ، وكتب ذلك عنده فى كتاب حفيظ ، فقد كذب بالقرآن فيكفر بذلك . وإن أقروا بذلك وأنكروا أن =

وعن عُبادةَ بن الصامت(١) أنه قال لابنه : يابنيَّ إنك لَنْ تجد طعمَ الإيمان حتى تعلمَ أنَّ ما أصابكَ لم يَكن لِيُخطِئَك ، وما أخطأكَ لم يكنْ لِيُصِيبَك . سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول « إنَّ أولَ ما خَلَق اللهُ القلمَ ، فقال له : اكتُبْ فقال : ربِّ وماذا أكتُب ؟ قال : اكتب مَقاديرَ كلِّ شيء حتى تقومَ الساعة » يابنيَّ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول « مَنْ مات على غيرِ هذا فليس مِنى » . وفى رواية لأحمد

= الله خالق أفعال العباد وشاءها منهم وأرادها إرادة كونية قدرية فقد خصموا ، لأن ما أقروا به حجة عليهم فيما أنكروه . والدرجة الثانية أن الله خلق أفعال العباد كلها من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان وشاءها منهم ، وفى تكفير هؤلاء نزاع مشهور بين العلماء

(١) قوله (وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه قال لابنه . يا بنى إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول ما خلق الله القلم فقال له : أكتب . فقال : رب ، وماذا أكتب ؟ قال : أكتب مقادير كل شىء حتى تقوم الساعة » يا بنى سمعت رسول الله ﷺ يقول « من مات على غير هذا فليس منى ») أورد المصنف رحمه الله حديث عبادة هذا ولم يعزه . وقد رواه أبو داود مختصراً والترمذى ، ورواه الإمام أحمد مطولا

قوله (أنه قال لابنه) هو الوليد بن عبادة كما جاء مصرحا به فى رواية الترمذى

قوله (إنك لن تجد طعم الإيمان حتى) إلى آخره . فيه بيان فرض الإيمان بالقدر وبيان كيفية الإيمان به ، وإحباط عمل من لم يؤمن به والإخبار أن أحداً لايجد طعم الإيمان حتى يؤمن به قاله المصنف ، وأن من لم يؤمن بالقدر بأن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه لا يجد طعم الإيمان . وفيه براءته ﷺ ممن لم يؤمن بالقدر ، قاله المصنف رحمه الله .

قوله (سمعت رسول الله ﷺ يقول « أول ما خلق الله القلم » وفى رواية لأحمد =

« إن أوّل ما خلقَ الله تعالى القلمُ فقال له : اكتُب فجرَى فى تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة » . وفى رواية لابن وهب[١] : قال رسول الله ﷺ « فمَن لم يُؤمِن بالقدَرِ خيره وشرّه أحرقهُ اللهُ بالنار »[٢]

= « إن أول ما خلق الله القلم فقال له أكتب ، فجرى فى تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة » ، وفيه ذكر أول ما خلق الله وأنه جرى بالمقادير فى تلك الساعة إلى يوم القيامة ، قاله المصنف رحمه الله . قال الحافظ ابن حجر : حكى أبو العلا الهمدانى للعلماء قولين فى أيهما خلق أولا : العرش أو القلم ؟ قال والأكثر على سبق خلق العرش واختار ابن جرير ومن تبعه الثانى ، روى ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال « خلق الله اللوح المحفوظ مسيرة خمسمائة عام ، فقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش : أكتب . فقال : وما أكتب ؟ قال : علمى فى خلقى إلى يوم القيامة » ذكره فى تفسير سورة سبحان ، وليس فيه سبق خلق القلم على العرش بل فيه سبق العرش . وقد أشار العلامة ابن القيم إلى هذا الخلاف فى قصيدته الكافية الشافية فقال :

والناس مختلفون فى القلم الذى ... كتب القضاء به من الرحمن
هل كان قبل العرش أو هو بعده ... قولان عند أبى العلا الهمدانى
والحق أن العرش قبل لأنه ... قبل الكتابة كان ذا أركان
وكتابة القلم الشريف تعقبت ... إيجاده من غير فصل زمان
لما براه الله قال اكتب كذا ... فغـــدا بأمر الله ذا جريان

(١) قوله (وفى رواية لابن وهب) وهو الإمام الحافظ عبد الله بن وهب ابن مسلم القرشى مولاهم المصرى الفقيه ثقة إمام مشهور عابد ، له مصنفات منها الجامع وغيره ، مات سنة سبع وتسعين ومائة وله اثنتان وسبعون سنة

(٢) قوله (قال رسول الله ﷺ « من لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار ») أى لكفره أو بدعته إن كان ممن يقر بالعلم السابق وينكر خلق أفعال العباد ، فإن صاحب البدعة معرض للوعيد كأصحاب الكبائر بل أعظم ، قاله فى الشرح

وفى المسند[(١)] والسُّنن عن ابن الدَّيلَمِىّ[(٢)] قال : أَتيتُ أُبَىّ بن كعب فقلتُ : فى نفسى شىء من القَدَر ، فحدِّثنى بشىءٍ لعلّ الله يُذهِبُه من قلبى . فقال : لو أنفقتَ مثل أُحُدٍ ذهباً ما قَبِله اللهُ منك حتى تُؤمنَ بالقَدَر ، وتعلم أَنّ ما أَصابكَ لم يكن لِيُخطِئكَ ، وما أخطأكَ لم يكنْ لِيُصيبَك . ولو مُت على غير هٰذا لـكنتَ من أهل النار . قال فأتيتُ عبد الله بنَ مسعود وحُذيفةَ بن اليمان وزيدَ بن ثابت ، فكلُّهُم حدثنى بمثل ذلك عن النبي ﷺ . حديث صحيح ، رواه الحاكم فى صحيحه

---

(١) قوله (وفى المسند) أى مسند الإمام أحمد (والسنن) أى سنن أبى داود وابن ماجه

(٢) قوله (عن ابن الديلمى) وهو عبد الله بن فيروز الديلمى وفيروز قاتل الأسود العنسى الـكذاب ، وعبد الله هذا ثقة من كبار التابعين بل ذكره بعضهم فى الصحابة ، والديلمى نسبة إلى جبل الديلم ، وهو من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى إلى اليمن (قال : أتيت أبىّ بن كعب فقلت فى نفسى شىء من القدر فحدثنى بشىء لعل الله يذهبه من قلبى ، فقال : لو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لـكنت من أهل النار ، قال فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت كلهم حدثنى بمثل ذلك عن النبى ﷺ حديث صحيح رواه الحاكم فى صحيحه) وفى رواية ابن ماجه زيادة اختصرها المصنف وهى « لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لـكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم » وفيه عادة السلف فى إزالة الشبهة بسؤال العلماء وأن العلماء أجابوه بما يزيل الشبهة وذلك أنهم نسبوا الـكلام إلى رسول الله ﷺ فقط ، قاله المصنف رحمه الله تعالى . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وهاهنا أمر يجب التنبيه عليه والتنبه له ، وبمعرفته تزول إشكالات كثيرة =

٦١ - باب

ما جاء فى المصوِّرين(١)

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « قال الله تعالى : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذهبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِى(٢) فلْيَخْلُقُوا ذرَّة ، أو لِيَخْلُقوا حبّة ،

= تعرض لمن لم يحط به علما ، وهو أن الله سبحانه له الخلق والأمر ، وأمره سبحانه نوعان : أمر كونى قدرى ، وأمر دينى شرعى . فمشيئته سبحانه متعلقة بخلقه وأمره الكونى ، وأما محبته ورضاه فتعلقة بأمره الدينى وشرعه الذى شرعه على ألسنة رسله ، فما وجد منه تعلقت به المحبة والمشيئة جميعا فهو محبوب للرب واقع بمشيئته ، وما لم يوجد منه تعلقت به محبته وأمره الدينى ولم تتعلق به مشيئته ، وما وجد من الكفر والفسوق والمعاصى تعلقت به مشيئته ولم تتعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الدينى ، وما لم يوجد منها لم تتعلق به مشيئته ولا محبته فلفظ المشيئة كونى ولفظ المحبة دينى شرعى . ولفظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونية فتكون هى المشيئة ، وإرادة دينية فتكون هى المحبة انتهى . وقال أيضا : وهو يعاقب الخلق على مخالفة أمره وإرادته الشرعية وإن كان ذلك بإرادته القدرية فإن القدر كما جرى بالمعصية جرى أيضا بعقابها انتهى

(١) قوله (باب ما جاء فى المصورين) أى من الوعيد

(٢) قوله (عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « قال الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة » أخرجاه) هذا من الأحاديث القدسية التى يرويها النبى ﷺ عن جبريل عن ربه تبارك وتعالى

قوله (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى) فلا أظلم من المصورين الذين عملوا صورا تشبه خلق الله عز وجل لأنه تعالى هو الخالق البارئ المصور وهم بعملهم قد نازعوه فى أسمائه وتشبهوا به فى صفات ربوبيته حيث عملوا ما يضاهى = خلقه ، ولذا تحداهم تعالى بقوله « فليخلقوا ذرة » فيها روح تتصرف بنفسها

أو ليخلُقوا شَعِيرة » أخرجاه . ولهما⁽¹⁾ عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال « أَشَدُّ الناسِ عذاباً يومَ القيامة الذين يُضاهِئُون بخلق الله » . ولهما عن ابنِ عباس : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول « كلُّ مُصَوِّرٍ فى النار ، يُجْعَل له بكلِّ صُورَةٍ صَوَّرَها نَفْسٌ يُعَذَّبُ

= كمثل ما خلق الله من ذوات الأرواح « أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة » مثل ما خلق الله من النباتات التى تزرع وتنمو وتحيا بالماء ، فان للنبات حياة تخصه وهى النمو والزيادة كما للحيوان حياة تخصه وهى النمو والحركة فنبه بالذرة والحبة والشعيرة على ما هو أعظم منها وأكبر فانهم لا يستطيعون ذلك بل هم عاجزون عنه

وقوله (أخرجاه) أى البخارى ومسلم

(١) قوله (ولهما) أى البخارى ومسلم (عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال « أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله ») قال فى النهاية أراد المصورين والمضاهاة المشابهة وقد تهمز فالمصور لما صور الصورة على مثل ما خلق الله صار مضاهئا لخلق الله فكان أشد الناس عذابا ، لأن ذنبه من أعظم الذنوب . وأما قول من قال هذا محمول على صانع الصورة لتعبد ، فهذا تخصيص لكلام النبوة بغير دليل بل يرده قوله فى نفس الحديث « يضاهؤون خلق الله » فذكر العلة وهى المضاهاة . وأما قوله : وقيل هو فيمن قصد المضاهاة واعتقد ذلك فهذا الاعتقاد الذى اشترطه تقييد للحديث مردود لأنه من المعلوم لدى كل ذى عقل سليم أن المصور إنما قصد بعمل الصورة نفس مضاهاة خلق الله أى مشابهته ، ولا يخطر بباله سوء ذلك ولكن بمثل هذه المحامل التى لا تحتمل والقيود التى لا دليل عليها والتأويلات التى هى صرف اللفظ عن ظاهره أوهنوا دلالة الأحاديث عند ضعفاء البصائر وجنوا على الشريعة وصار ما قالوه حجة لكل مبطل فلا حول ولا قوة إلا بالله

قوله (ولهما) أى البخارى ومسلم (عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « كل مصور فى النار يجعل له بكل صورة صورها نفس =

بها فى جهنم » . ولهما عنه مرفوعاً « مَن صَوَّرَ صُورةً فى الدنيا كُلِّفَ أن يَنفُخَ فيها الرُّوحَ ، وليس بنافخ »

= يعذب بها فى جهنم ، ولهما عنه مرفوعا « من صور صورة فى الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ » وفيه التغليظ الشديد فى المصورين والتنبيه على العلة وهو ترك الأدب مع الله لقوله « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى » والتنبيه على قدرته وعجزهم لقوله « فليخلقوا ذرة أو حبة أو شعيرة » والتصريح بأنهم أشد الناس عذاباً ، وأن الله يخلق بعدد كل صورة نفسا يعذب بها فى جهنم ، وأنه يكلف أن ينفخ فيها الروح ، قاله المصنف رحمه الله . واعلم أن التعليل فى أحاديث التصوير قد ورد بألفاظ متعددة فعلل فى بعضها بالمضاهاة يعنى المشابهة ، وفى بعضها بتكليفه بأن ينفخ فيها الروح ، وفى بعضها بقوله أحيوا ما خلقتم . فأما التعليل بالمضاهاة والإحياء فيقتضى تحريم تصوير ما خلق الله من حيوان ونبات لوجود المضاهاة والحياة . قال تعالى (وجعلنا من الماء كل شئ حى) فإن للنبات حياة تخصه وهى النمو والزيادة ، كما أن للحيوان حياة تخصه وهى النمو والحركة ، ولقوله « فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة » وبهذا قال مجاهد بن جبر إمام التفسير وراوية ابن عباس ، وسواء كانت صورة كاملة أو بعض صورة حتى الرأس والكف لحصول المضاهاة بذلك ، وقوله فى بعض الروايات « يجعل له بكل صورة نفس يعذب بها » وتكليفه فى الرواية الأخرى بأن ينفخ فيها الروح لا ينفى تحريم ما علته المضاهاة والحياة وإلا لم يكن للتعليل بذلك فائدة . وأما ما احتج به من أراد استحلال ما حرم الله من أن الصورة الشمسية ليست من الصور المحرمة بحجة أنها مسك للظل كما يرى الناظر صورته فى المرآة فهذا غير صحيح لأن ما يبدو فى المرآة صورة غير ثابتة ولا صنع للناظر فيها ولا يسمى الناظر مصورا ولا تسمى صورة لغة ولا شرعاً ولا عرفاً ، وأما الصورة الشمسية فلا يشك من له أدنى معرفة بأحكام الشرع وعلله أنها من جملة الصور المحرمة لأنها لا تتأتى إلا بالآلة المخصوصة التى صنعت لها وعمل من المصور بوضعها فى مواد التحميض لتكون ثابتة وملونة فهى صورة حقيقة ، وعاملها يسمى مصوراً لغة وشرعا وعرفا ، والتصوير محرم سواء كانت الصورة لها شخص منتصب أو كانت منقوشة فى سقف أو جدار أو موضوعة فى نمط أو فى نقد أو =

ولمسلم عن أبي الهيَّاج[1] قال : قال لي عليّ : أَلا أبعثُكَ على ما بَعَثني عليه رسولُ الله ﷺ « ألّا تدَعَ صورةً إلّا طمستها ، ولا قبراً مُشرِفاً إلا سوّيتَهُ »

=منسوجة فى ثوب أو بساط أو مكان وسواء فى كانت من شمع أو عجين أو حلاوة أو غير ذلك ، فإن قضية العموم تأتى على ذلك كله

(١) قوله (ولمسلم عن أبي الهياج الأسدى ، واسمه حيان بن حصين قاله فى قال : قال لى على رضى الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ « أن لا تدع صورة إلا طمستها ، ولا قبرا مشرفاً إلا سوّيته ») فدل هذا الحديث على إتلاف الصورة لمن قدر على إتلافها ، وإزالتها لمضاهاتها لخلق الله ، وطمسها إن كانت غير مجسمة ، وتسوية القبور المشرفة لما فى تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها وهو من ذرائع الشرك ووسائله ، فصرف الهمم إلى هذا وأمثاله من مصالح الدين ومقاصده وواجباته ، ولما وقع التساهل فى هذه الأمور وقع المحذور ، وعظمت الفتنة بأرباب القبور ، وصارت محطا لرحال العابدين المعظمين لها فصرفوا لها جل العبادة من الدعاء والاستغاثة والاستعانة والتضرع لها والذبح والنذور وغير ذلك من كل شرك محظور ، قاله فى الشرح . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ فى القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه ، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضاداً للآخر مناقضا له ، فنهى عن الصلاة إلى القبور وهؤلاء يصلون عندها وإليها ونهى عن اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون المساجد عليها ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله ، ونهى عن إيقاد السرج عليها . وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها ، ونهى عن أن تتخذ أعيادا وهؤلاء يتخذونها أعيادا ومناسك ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر ، وأمر بتسويتها كما فى حديث أبى الهياج وفضالة ابن عبيد ، وهؤلاء يبالغون فى مخالفة هذين الحديثين ويرفعونها عن الأرض كالبيت ويعقدون عليها القبب ، ونهى عن تجصيصها والبناء عليها والكتابة عليها ، وهؤلاء يتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن وغيره ، انتهى ملخصا . وقيد الأمر بطمس الصور إذا وجدت ، قاله المصنف رحمه الله تعالى .

٦٢ - باب
ما جاء فى كثرة الحَلِف[1]

وقولِ الله تعالى ﴿ واحفَظوا أَيمانَكم ﴾ عن أبى هريرة قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول « الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ للسِّلعة مَمْحَقَةٌ للكَسْب » أخرجاه[2]

---

(١) قوله (باب ما جاء فى كثرة الحلف) أى من النهى عنه والوعيد عليه .

قوله (وقول الله تعالى واحفظوا أيمانكم) ذكر غير واحد من المفسرين عن ابن عباس ، يريد لا تحلفوا . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة ، قال فى فتح المجيد وهو المعنى الذى أراد المصنف من الآية ، وقال آخرون احفظوا أيمانكم عن الحنث فلا تحنثوا ، وقال ابن جرير لا تتركوها بغير تكفير لأنه يلزم من كثرة الحلف كثرة الحنث مع ما فى ذلك من الاستخفاف بعظمة الله وهذا مما ينافى كمال التوحيد الواجب أو عدمه . قاله فى فتح المجيد . وفيه الوصية بحفظ الأيمان ، قاله المصنف رحمه الله .

(٢) قوله (وعن أبى هريرة رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول « الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب » أخرجاه) أى البخارى ومسلم وأخرجه أبو داود والنسائى .

قوله (الحلف منفقة للسلعة) أى مظنة لنفاقها ورواجها عند المشترى فإذا حلف أنه أعطى بها كذا أو أنه اشتراها بكذا ظنه صادقا فيأخذها بزيادة على ما ذكره .

وقوله (ممحقة للكسب) أى مظنة لمحق الكسب فإنه يحلف بالله كاذبا قد عصى الله فيعاقب بمحق البركة ، فإذا ذهبت بركة كسبه دخل عليه من النقص أعظم من تلك الزيادة التى دخلت عليه بسبب حلفه ، وربما ذهب ثمن تلك السلعة رأسا . فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته وإن تزخرفت الدنيا للعاصى فعاقبتها اضمحلال وذهاب وعقاب قاله فى فتح المجيد . وفيه الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب ، قاله المصنف .

وعن سَلمان(١) أن رسولَ الله ﷺ قال « ثلاثةٌ لا يكلِّمهمُ اللهُ ولا يُزَكِّيهم ولهم عـــــذابٌ أليم : أُشَيمِطٌ زانٍ ،

---

(١) قوله (وعن سلمان رضى الله عنـــه أن رسول الله ﷺ قال « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم أشيمط زان وعائل مستكبر ورجل جعل اللهَ بضاعته لا يشترى إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه » ورواه الطبرانى بسند صحيح) سلمان لعله سلمان الفارسى أبو عبد الله أسلم مقدم النبى ﷺ المدينة وشهد الخندق ، روى عنه أبو عثمان النهدى وشرحبيل بن السمط وغيرهما ، قال النبى ﷺ « سلمان منا أهل البيت إن الله يحب من أصحابى أربعة عليا وأبا ذر وسلمان والمقداد » أخرجه الترمذى ، توفى فى خلافة عثمان رضى الله عنه ، ويحتمل أنه سلمان بن عامر بن أوس الضبى .

قوله (إن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله ») هذا وعيد شديد فى حقهم ونفى كلامه تعالى وتقدس ، عن هؤلاء العصاة دليل على أنه يكلم من أطاعه ويكلمونه فى عرصات القيامة ، وأن الكلام صفة من صفات كماله ، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أظهر شىء وأبينه . وفيه الرد على الجهمية والأشاعرة نفاة الكلام . قال فى فتح المجيد : والذى عليه أهل السنة والجماعة من المحققين قيام الأفعال بالله سبحانه وأن الفعل يقع بمشيئته تعالى وقدرته شيئا فشيئا ولم يزل متصفا به فهو حادث الآحاد قديم النوع كما يقول ذلك أئمة أصحاب الحديث وغيرهم من أصحاب الشافعى وأحمد وسائر الطوائف ، كما قال تعالى ﴿ إنما أمره إذا أراد أن يقول له كن فيكون ﴾ فأتى بالحروف الدالة على الاستقبال والأفعال الدالة على الحال والاستقبال أيضاً وذلك فى القرآن كثير . انتهى

قوله (ولا يزكيهم) أى لا يطهرهم (ولهم عذاب أليم) لما عظم ذنبهم عظمت عقوبتهم فعوقبوا بهذه الثلاث التى هى من أعظم العقوبات

قوله (أشيمط زان) صغره تحقيراً له ، والأشمط الذى قد اختلط شعره الأبيض بالأسود لأن داعى المعصية قد ضعف فى حقه فدل على أن الحامل له على الزنا محبته المعصية والفجور وعدم خشية الله عز وجل

وعائلٌ مُستكبِر ، ورجلٌ جعلَ اللهَ بضاعتَه (١) ، لا يشترى إلّا يمينه ، ولا يبيعُ إلا بيمينه » رواه الطبرانى بسند صحيح . وفى الصحيح (٢) عن عِمْران بن حُصَين رضى الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ « خيرُ أُمّتى قَرْنى ،

قوله (وعائل مستكبر) أى فقير لأنه لا داعى له إلى الكبر فإن الكبر إنما يحمل عليه فى الغالب كثرة المال والنعم والرياسة فاستكباره مع عدم الداعى يدل على أن الكبر طبيعة له ، كامن فى قلبه ، وفيه أن الذنب يعظم مع قلة الداعى . قاله المصنف .

(١) قوله (ورجل جعل اللهَ بضاعته) بنصب الاسم الشريف أى الحلف به جعله بضاعته لكثرة استعماله اليمين فى بيعه وشرائه ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة ، وفيه الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشترى إلا بيمينه ، قاله المصنف رحمه الله

(٢) قوله (وفى الصحيح) أى صحيح مسلم عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « خير أمتى قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » قال عمران فلا أدرى أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً « ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن » وأخرجه البخارى وأبو داود والترمذى

قوله (قال رسول الله ﷺ « خير أمتى قرنى ») ولفظ البخارى « خيركم قرنى » قال فى النهاية : والقرن أهل كل زمان وهو مقدار التوسط فى أعمار أهل كل زمان مأخوذ من الاقتران وكأنه المقدار الذى يقترن فيه أهل ذلك الزمان فى أعمارهم وأحوالهم ، وقيل القرن أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة ، وقيل هو مطلق من الزمان ، بدأ ﷺ بقرنه لفضيلة أهل ذلك القرن فى العلم والإيمان والأعمال الصالحة ، ولذا لم يعرف فيهم ولله الحمد من تعمد الكذب على النبى ﷺ كما لم يعرف فيهم من كان من أهل البدع المعروفة كبدعة الخوارج =

ثمَّ الذينَ يَلُونهم ، ثم الذين يَلونهم » قال عِمران : فلا أدرى أذكَرَ

= والرافضة والقدرية والمرجئة . قال الشافعى رحمه الله تعالى وقد أثنى الله على الصحابة فى القرآن والتوراة والإنجيل وسبق لهم من الفضل على لسان نبيهم ما ليس لأحد بعدهم ، وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد قال قال رسول الله ﷺ « لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه » وقال ابن مسعود : إن الله نظر فى قلوب عباده فوجد قلب محمد خير قلوب العباد ثم نظر فى قلوب الناس بعده فرأى قلوب أصحابه خير قلوب العباد فاختارهم لصحبته وجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه . وقال ابن الحاج فى المدخل : فالقرن الأول خصهم الله عز وجل بخصوصيته لا سبيل لأحد أن يلحق غبار أحدهم فضلا عن عمله لأن الله عز وجل قد خصهم برؤية نبيه عليه الصلاة والسلام ومشاهدته ونزول القرآن عليه غضاً طرياً يتلقونه من فىّ النبى ﷺ حين يتلقاه من جبريل عليه السلام ، وخصهم بالقتال بين يدى نبيه ونصرته وحمايته وإذلال الكفر وإخماده ورفع منار الإسلام وإعلائه وحفظهم القرآن الذى كان ينزل نجوماً فألهمهم الله لحفظه حتى لم يضع منه حرف واحد فجمعوه ويسروه لمن بعدهم وفتحوا البلاد والأقاليم للمسلمين ومهدوها لهم وحفظوا أحاديث نبيهم عليه الصلاة والسلام فى صدورهم وأثبتوها على ما ينبغى من عدم اللحن والغلط والسهو والغفلة فوضعهم فى الحفظ والضبط لا يمكن الإحاطة به ولا يصل إليه أحد ، فجزاهم الله عن أمة نبيه خيراً . لقد أخلصوا لله الدعوة وذبوا عن دينه بالحجة . انتهى ملخصاً

قوله (ثم الذين يلونهم) أى قرن التابعين فضلوا على من بعدهم لظهور الإسلام فيهم وكثرة الداعى إليه والراغب فيه وما ظهر فيهم من البدع أنكر وأزيل كبدعة الخوارج والقدرية والرافضة ، فهذه البدع وإن كانت قد ظهرت فيه فأهلها فى غاية الذل والهوان والقتل لمن عاند منهم ولم يتب

قوله (ثم الذين يلونهم) فلا أدرى أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً هذا شك من راوى الحديث عمران بن حصين ، قال القرطبي ما شك فيه عمران تحقيقه فى حديث ابن مسعود حيث ذكر بعد قرنه ثلاثاً . انتهى ، والمشهور فى الروايات أن القرون المفضلة ثلاثة والثالث دون الأولين فى الفضل لكثرة البدع فيه ، =

بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً ، « ثمّ إنّ بَعْدَكم قوماً يَشْهدوا ولا يُسْتَشْهَدُون ، ويخونون ولا يُؤتمنون ، وينذِرُون ولا يُوفون ، ويظهرُ فيهمُ السِّمَنُ »

وفيه[1] عن ابن مسعود أن النبيّ ﷺ قال « خيرُ الناس قَرْنى ، ثم الذين يَلونهم ، ثم الذين يلونهم . ثم يجيء قومٌ تَسبِق شهادةُ أحدِهم

= لكن العلماء متوافرون والإسلام فيه ظاهر والجهاد فيه قائم ثم ذكر ما يقع بعد القرون الثلاثة من الجفاء فى الدين وكثرة الأهواء . وفيه ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة أو الأربعة وذكر ما يحدث بعدهم ، قاله المصنف رحمه الله

قوله (ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون) لاستخفافهم بأمر الشهادة وعدم تحريهم الصدق لقلة دينهم وضعف إسلامهم . ولا يعارض هذا حديث « خير الشهداء الذى يأتى بشهادته قبل أن يسألها » لأن الأول فى حقوق الآدميين ، وهذا فى حقوق الله التى لا طالب لها . وقيل الأول فى الشهادة على الغيب فى أمر الخلق فيشهد أنه من أهل النار والآخرين بغيره وقيل إن يتحملوا الشهادة من غير تحميل قاله فى إبطال التنديد . وفيه ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون . قاله المصنف

قوله (ويخونون ولا يؤتمنون) أى لخياناتهم الظاهرة بحيث لا يعتمد عليهم ، قاله فى إبطال التنديد

قوله (وينذرون ولا يوفون) لا يعارض حديث النهى عن النذر ، وإنما هو تأكيد لأمره وتحذير من التهاون به بعد إيجابه ، قاله فى إبطال التنديد

قوله (ويظهر فيهم السمن) أى يحبون التوسع فى المآكل والمشارب وهى أسباب السمن ، قاله فى إبطال التنديد

(١) قوله (وفيه) أى صحيح مسلم (عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم =

يمينَه ، ويمينُه شهادَتَه » . وقال إبراهيم[١] : كانوا يَضْرِبوننا على الشهادة والعهدِ ونحن صِغار

٦٣ – باب

ما جاء فى ذِمَّةِ الله وذِمَّة نبيّه[٢]

وقولِ الله تعالى ﴿ وَأَوْفوا بعهدِ الله إذا عاهَدْتم[٣] ، ولا تَنْقُضوا

= يجىء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته » إشارة إلى التسارع فى الشهادة واليمين ، وهذه حال من صرف رغبته إلى الدنيا ونسى المعاد نخف أمر الشهادة واليمين عنده تحملا وأداء لقلة خوفه من الله وعدم مبالاته بذلك . وهذا علم من أعلام النبوة فانه قد وجد ذلك كما أخبر النبى ﷺ

(١) قوله (وقال إبراهيم) هو ابن يزيد النخعى : كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار

قوله (كانوا) الظاهر أن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود كما هى عادة إبراهيم فى النقل عنهم ، قاله فى إبطال التنديد . قلت ولا وجه لتخصيص كلام إبراهيم بأصحاب عبد الله بن مسعود بل كان هذا حال السلف فى تربية أولادهم لأنهم إذا اعتادوا ذلك فى حال الصغر أدى ذلك إلى التساهل فى ذلك فى حال الكبر ، وكانت هذه حالة السلف الصالح محافظة على أولادهم لا يتركون شيئاً مما يكره إلا أنكروه على الصغار وأدبوهم عليه . وفيه كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٢) قوله (باب ما جاء فى ذمة الله وذمة نبيه ﷺ) أى من الأدلة على وجوب الوفاء بها وإتمامها إذا عقدت لأحد ، والذمة : العهد

(٣) قوله (وقول الله تعالى ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ﴾ الآية) قال ابن كثير وهذا مما أمر الله به وهو الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الأيمان ولهذا قال : =

الأيمانَ بعد تَوْكيدِها ﴾ الآية . عن بُرَيْدَةَ أن رسول الله ﷺ كان إذا أَمَّرَ أميراً على جيشٍ أو سَرِيةٍ أوصاهُ بتقوى الله ومَن معه مِنَ المسلمين خيراً[1] فقال: «اغزُوا بِسمِ اللهِ[2] فى سبيل الله ، قاتلوا مَنْ كفرَ بالله[3] . اغزُوا ولا تَغلوا ولا تَغدِروا ولا تُمثِّلوا[4] ولا

=﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾ وهذه الأيمان المراد بها الأيمان الداخلة فى العهود والمواثيق لا الأيمان الواردة على حث أو منع ، ونكث العهد دليل على عدم تعظيم الله فهو قادح فى التوحيد ، قاله فى إبطال التنديد

وقوله (إن الله يعلم ما تفعلون) تهديد ووعيد على نقض الأيمان

قوله (عن بريدة) هو ابن الحصيب بمهملتين مصغر أبو سهل الأسلمى صحابى أسلم قبل بدر مات سنة ثلاث وستين قاله فى التقريب ، وهذا من رواية ابنه سليمان عنه قاله فى المفهم (قال : كان رسول الله ﷺ إذا أَمَّرَ أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله) قال الحربى : السرية الخيل تبلغ أربعمائة ونحوها والجيش ما كان أكثر من ذلك ، وتقوى الله التحرز بطاعته من عقوبته بأن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجوا ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله

(١) قوله (ومن معه من المسلمين خيراً) أى وأوصاه بمن معه من جنود المسلمين أن يفعل معهم خيراً من الرفق بهم والإحسان إليهم وخفض الجناح لهم وترك التعاظم عليهم

(٢) قوله (فقال اغزوا بسم الله) الباء هنا للاستعانة أى : اشرعوا فى فعل الغزو مستعينين بالله مخلصين له متوكلين عليه . وفيه قوله أغزوا باسم الله (فى سبيل الله) قاله المصنف رحمه الله

(٣) وقوله (قاتلوا من كفر بالله) بيان لعلة القتال وهى الكفر قاله المصنف وفيه الرد على من زعم أن علة القتال المقاتلة . وهذا العموم شامل لجميع أهل الكفر المحاربين وغيرهم ، وقد خص من هذا العموم من له عهد والرهبان والنساء ومن لم يبلغ الحلم ، ومن أعطى الجزية من أهل الكتاب والمجوس

(٤) قوله (اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا) الغلول الأخذ من=

تَقْتُلوا وَلِيداً ، وإذا لَقِيتَ عَدُوَّكَ من المشركينَ فادْعُهمْ إلى ثلاثِ خِصالٍ ـ أو خلال ـ[1] فأَيَّتهُنَّ ما أَجابُوكَ فاقبلْ منهم وكُفَّ عنهم[2] . ثم ادْعُهم إلى الإسلام[3] ، فإنْ أَجابوكَ فاقبلْ منهم . ثم ادْعُهم إلى التَّحَوُّلِ مِن دَارِهم إلى دارِ المهاجرين[4] وأَخْبِرهم أنهمْ إنْ

= الغنيمة قبل أن تقسم ، والغدر نقض العهد ، والتمثيل التشويه بالقتيل كجدع أنفه وقطع أذنه ومذاكيره وشق بطنه ، وما أشبه ذلك ولا خلاف فى تحريم الغلول والغدر وكراهة التمثيل

(١) قوله (وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خلال أو خصال) شك من الراوى ومعناهما واحد

(٢) قوله (فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم) قيدناه عن من يوثق بعلمه وتقييده بنصب « أيتهن » على أن يعمل فيها أجابوك لا على إسقاط حرف الجر ، وما زائدة ، ويكون تقدير الكلام : فإلى أيتهن أجابوك فاقبل منهم ، كما تقول جئتك إلى كذا فيعدى إلى الثانى بحرف الجر ، قاله فى الشرح . قال فى فتح المجيد : فيكون فى ناصب أيتهن وجهان ذكرهما الشارح ، الأول : منصوب على الاشتغال . والثانى : على نزع الخافض . انتهى

(٣) قوله (ثم ادعهم إلى الإسلام) كذا وقعت الرواية فى جميع نسخ كتاب مسلم ، ثم ادعهم بزيادة « ثم » ، والصواب إسقاطها كما روى أبو داود فى سننه ، وأبو عبيد فى كتاب الأموال ، وقال المازرى : ليست ثم زائدة بل دخلت لاستفتاح الكلام

(٤) قوله (فان أجابوك فاقبل منهم ثم ادعهم إلى التحول إلى دار المهاجرين) يعنى المدينة ، وذلك مستحب إذا أسلموا أو واجب فى أول الأمر على من أسلم ، أو على أهل مكة خاصة من أسلم منهم قبل الفتح ، وأما بعد الفتح فقال ﷺ « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية » قاله فى إبطال التنديد . قال فى قرة العيون حديث « لا هجرة بعد الفتح » يعنى من مكة لأنها صارت دار إسلام ، =

فعلوا ذلك[١] فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين : فإن أَبَوْا أن يَتَحَوَّلوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعْراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله تعالى ، ولا يكونُ لهم في الغنيمة والفَيْء شيء ، إلا أن يُجاهدوا مع المسلمين . فإنْ هم أَبَوْا فاسـ‍‍ـــــــــــــألهم الجِزْية[٢] ،

= وهذا لا ينفى وجوب الهجرة من بلاد الشرك والكفر وكذا إذا ظهرت المعاصى فى بلدة ، نص عليها الفقهاء فى كتبهم . انتهى

(١) قوله (وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك) أى تحولوا إلى دار المهاجرين فلهم ما للمهاجرين أى من الاستحقاق فى الفىء والغنيمة (وعليهم ما على المهاجرين وإلا فهم كسائر أعراب المسلمين) المقيمين فى البادية من غير هجرة ولا غزو ، وتجرى عليهم أحكام الإسلام ولاحق لهم فى الغنيمة والفىء وإنما يكون لهم نصيب من الزكاة إذا كانوا مستحقين

(٢) قوله (فان هم أبوا فاسألهم الجزية) فيه حجة لمالك والاوزاعى فى أخذ الجزية من كل كافر عربيا كان أو غيره ، كتابيا كان أو غيره . وذهب أبو حنيفة إلى أنها تؤخذ من الجميع إلا مشركى العرب ومجوسهم . وقال الشافعى لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب عربا كانوا أو عجما ، وهو قول الإمام أحمد فى ظاهر مذهبه ، وتؤخذ من المجوس لأن النبى ﷺ أخذها من مجوس هجر ، وقال « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » . واختلفوا فى القدر المفروض من الجزية فقال مالك : أربعة دنانير على أهل الذهب وأربعون درهما على أهل الورق وهل ينقص منها الضعيف أو لا ؟ قولان . وقال الشافعى : فيه دينار على الغنى والفقير . وقال أبو حنيفة والكوفيون : على الغنى ثمانية وأربعون درهما والوسط أربعة وعشرون درهما والفقير إثنى عشر درهما . وهو قول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، قال يحيى بن يوسف الصرصرى الحنبلى:

وقاتل يهودا والنصارى وعصبة الـــمجوس فإن هم سلموا الجزية أصدر
على الأدوَن إثنى عشر درهما افرضن وأربعة من بعد عشرين زيد
لأوسطهم حالا ومن كان موسرا ثمانية مع أربعين لتقـــــد =

فإن هم أجابوكَ[١] فاقبَلْ منهم وكُفَّ عنهم . فإن هم أبَوْا فاستعن بالله وقاتلهم . وإذا حاصرتَ أهل حِصْنٍ فأرادوكَ أن تجعل لهم ذِمَّة الله وذِمَّةَ نبيه[٢] فلا تَجْعل لهم ذمّة الله وذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذِمّتكَ وذمةَ أصحابكَ فإنكم إن تُخْفروا ذِممكم وذِمَّةَ أصحابِكم أهْوَنُ من أن تُخْفِروا ذِمَّةَ اللهِ وذمةَ نبيِّهِ . وإذا حاصرتَ أهل حصنٍ فأرادُوكَ أن تُنزلهم على حُكمِ اللهِ فلا تُنزلهم على حُكم الله ، ولكن أنزلهم على حُكمكَ ، فإنكَ لا تدرِى أتصيبُ فيهم حُكم الله أم لا » ؟ رواه مسلم[٣]

= وتسقط عن صبيانهم ونسائهم وشيخ لهم فانٍ وأعمى ومقعد
وذى الفقر والمجنون أو عبد مسلم ومن وجبت فهم عليه فيهتدى

(١) قوله (فان هم أجابوك) يعنى إلى إعطاء الجزية (فاقبل) الجزية منهم (وكف عنهم فان هم أبوا) أن يعطوا الجزية (فاستعن بالله وقاتلهم) وفيه الاستعانة بالله وقتالهم عند امتناعهم من أداء الجزية .

(٢) قوله (وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه) والذمة العهد (فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه)

وقوله (تخفروا) أى تنقضوا ، قال فى النهاية أخفرت الرجل إذا نقضت عهده وذمامه . قال فى إبطال التنديد : وهذا نهى تنزيه ، أى لا تجعل لهم ذمة الله فإنه قد ينقضها من لا يعرف حقها كبعض الأعراب وسواد الجيش فكأنه يقول إن وقع نقض عهد من متعد أو جاهل كان نقض عهد الخلق أهون من نقض عهد الخالق تعالى

(٣) قوله (« وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله =

٦٤ – باب

ما جاء فى الإقسام على الله[1]

عن جُنْدَب بن عبد الله قال : قال رسولُ الله ﷺ « قال رجُلٌ : والله لا يَغفِرُ الله لفلان ، فقال الله عز وجل : مَن ذا الذى يَتأَلَّى علىَّ أن لا أغفرَ لفلان ؟ إنى قد غفرتُ له وأَحبَطْتُ عملكَ » رواه مسلم[2]

= فلا تنزلهم على حكم الله ولـكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا » رواه مسلم) فيه دليل على أنه ليس كل مجتهد مصيب بل المصيب واحد وهو الموافق لحكم الله فى نفس الأمر ، ووجه الاستدلال به أنه ﷺ قد نص على أن لله تعالى حـكما معينا فى المجتهدات فمن وافقه فهو المصيب ومن لم يوافقه فهو المخطىء ، قاله فى فتح المجيد . وفيه الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين ، والإرشاد إلى أقل الأمرين خطراً والفرق بين حكم الله وحكم العلماء وكون الصحابى يحكم عند الحاجة بحكم لايدرى أيوافق حكم الله أم لا ، قاله المصنف

(١) قوله (باب ما جاء فى الإقسام على الله) الإقسام على الله هو التألى عليه والإلية بالتشديد هو الحلف ، قال فى النهاية : يقال تألى يتألى تأليا والاسم الإلية ومنه الحديث « ويل للمتألين من أمتى » يعنى الذين يحكمون على الله ويقولون فلان فى الجنة وفلان فى النار ، وكذا الحديث الآخر « من المتألى على الله ؟ »

(٢) قوله (عن جندب بن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « قال رجل والله لا يغفر الله لفلان : فقال الله عز وجل : من ذا الذى يتألى على أن لا أغفر لفلان ؟ إنى قد غفرت له ، وأحبطت عملك » رواه مسلم) وقد رواه أبو داود من حديث أبى هريرة بأبسط من رواية مسلم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « كان رجلان فى بنى إسرائيل متواخيين فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد فى العبادة ، فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على الذنب فيقول أقصر =

وفى حديث أبى هريرة أن القائل رجلٌ عابد . قال أبو هريرة : تكلَّمَ بكلمةٍ أَوْبقتْ دنياه وآخِرتَه (١)

= فوجده يوما على ذنب فقال له : أقصر . فقال : خلنى وربى ، أبعثت علىّ رقيبا ؟ فقال : والله لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة . فقبض أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد أكنت بى عالما وعلى ما فى يدى قادرا ، وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتى ، وقال للآخر اذهبوا به إلى النار »

قوله (من ذا الذى يتألى علىّ ؟) استفهام على جهة الإنكار والوعيد لأن هذا يقتضى الحكم على الله بعدم المغفرة لفلان ، وهذا جهل وسوء أدب . وأما إذا أقسم العبد على ربه فى أمر من الأمور بناء على حسن الظن به سبحانه فى إبرار قسمه فليس من ذلك ، كما ثبت فى الصحيح أن أنس بن النضر قال للنبى ﷺ : والذى بعثك بالحق لا تكسر ثنية الربيع . فقال النبى ﷺ « يا أنس كتاب الله القصاص » فعفى القوم . فقال النبى ﷺ « إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره » أى لأبر قسمه ولم يحنث ، وفى الصحيح أيضا عن النبى ﷺ أنه قال « رب أشعث أغبر ذى طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره » وكما كان البراء بن مالك وغيره من السلف يقول : أقسمت عليك يارب لتفعلن كذا

(١) قوله (وفى حديث أبى هريرة أن القائل رجل عابد ، قال أبو هريرة تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته) وفى هذا بيان خطر اللسان . وفى حديث معاذ : قلت يا رسول الله : وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال « ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم ـ أو قال ـ على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم » رواه أحمد والترمذى وابن ماجه وقال الترمذى حسن صحيح . وفيه التحذير من التألى على الله وكون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله ، وأن الجنة مثل ذلك . وفيه شاهد لقوله : إن الرجل ليتكلم بالكلمة الخ . وأن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

٦٥ – باب

لا يُستشفَع بالله على خَلقِه[1]

عن جُبير بن مُطعِم قال : جاء أعرابىٌّ إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ، نهِكَتِ الأنفسُ . وجاع العِيالُ ، وهلَكَتِ الأموالُ ، فاستَسق لنا ربكَ[2] ، فإنّا نستشفعُ بالله عليكَ ، وبكَ على الله . فقال النبيُّ ﷺ « سُبحانَ الله ، سبحان الله » فما زال يسبِّحُ حتى عُرِف ذلك فى

(١) قوله (باب لا يستشفع بالله على خلقه) الاستشفاع بالله طلب الشفاعة به في حصول الشيء ، أي جعله واسطة في ذلك وهذا لا يليق بجلال الله سبحانه لأنه الكبير المتعال الذى لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ، فكيف يستشفع به عند أحد من خلقه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

(٢) قوله (عن جبير بن مطعم) بن عدى بن نوفل بن عبد مناف القرشى ، يكنى أبا محمد ، كان من أكابر قريش وعلماء النسب أسلم قبل الفتح ، ومات فى خلافة معاوية بالمدينة سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين رضى الله عنه قال (جاء أعرابى إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله نهكت الأنفس ـ أى هزلت ـ وجاع العيال وهلكت الأموال فاستسق لنا ربك) والاستسقاء طلب السقيا (فإنا نستشفع بالله عليك) أى نطلب الشفاعة به فى حصول المطر (وبك على الله . فقال النبي ﷺ « سبحان الله ، سبحان الله » فما زال يسبح حتى عرف ذلك فى وجوه أصحابه) قال شيخ الإسلام : وهذا يبين أن معنى الاستشفاع بالشخص فى كلام النبي ﷺ وأصحابه هو الاستشفاع بدعائه وشفاعته ليس هو السؤال بذاته فإنه لو كان هذا السؤال بذاته لكان سؤال الخلق بالله تعالى أولى من سؤال الله بالخلق ، ولكن لما كان معناه هو الأول أنكر النبي ﷺ قوله (نستشفع بالله عليك) ولم ينكر قوله (نستشفع بك على الله) لأن الشفيع يسأل المشفوع اليه أن يقضى حاجة الطالب ، والله تعالى لا يسأل أحدا من عباده أن يقضى حوائج خلقه ، انتهى

وُجوهِ أصحابه» ثم قال النبي ﷺ: «وَيحَكَ[1]، أتَدْرِي ما اللهُ؟ إنَّ شأنَ اللهِ أعظمُ من ذلك[2]، إنه لا يُستشفَعُ بالله على أحدٍ من خَلقِه[3]» وذكر الحديث. رواه أبو داود[4]

---

(١) قوله (ثم قال النبي ﷺ «ويحك») كلمة تقال للزجر، كذا فى قرة العيون وفى النهاية «ويح» كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع فى هلكة لا يستحقها

(٢) وقوله (أتدرى ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك) فيه إشارة إلى قلة علمه بعظمة الله وجلاله.

(٣) قوله (إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه) لأن الأمر كله بيده تعالى ليس فى يد المخلوق منه شىء، لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع، تعالى وتقدس.

(٤) قوله (وذكر الحديث، رواه أبو داود) فى السنن بتمامه لكن المصنف اقتصر منه على الشاهد للترجمة وبقية الحديث «شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدرى ما الله؟ إن عرشه على سمواته لهكذا ـ وقال بأصابعه مثل القبة عليه ـ وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب» قال ابن بشار فى حديثه «إن الله فوق عرشه، وعرشه فوق سمواته» قال الحافظ الذهبى: رواه أبو داود بإسناد حسن عنده فى الرد على الجهمية من حديث محمد بن إسحق بن يسار. وفى هذا الحديث إثبات علو الله على خلقه وأن عرشه فوق سمواته، وفيه تفسير الاستواء بالعلو كما فسره الصحابة والتابعون والأئمة، خلافا للمعطلة والجهمية والمعتزلة ومن أخذ عنهم كالأشاعرة ونحوهم ممن ألحد فى أسماء الله وصفاته، قاله فى الشرح، وهذا الحديث رواه أبو داود ورضيه على عادته فيما كان عنده صحيحاً أو حسنا وسكت عليه، وفيه دليل على أنه لا يجوز الاستشفاع بالله على أحد من خلقه وأما الاستشفاع بالرسول ﷺ فى حياته فإنما المراد الاستشفاع بدعائه ﷺ وليس هذا خاصا بالنبى ﷺ بل كل حى صالح يرجى أن يستجاب له لا بأس أن يطلب منه الدعاء كما قال النبى ﷺ لعمر لما استأذنه فى العمرة «لا تنسنا يا أخى=

٦٦ - باب

ما جاء فى حماية النبى ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك[1]

عن عبد الله بن الشخير[2] قال : انطلقت فى وفد بنى عامر إلى النبى ﷺ فقلنا : أنت سيدنا ، فقال « السيد الله تبارك وتعالى »

= من صالح دعائك ، وأما الميت فإنما يشرع فى حقه الدعاء له فى الصلاة على جنازته وعلى قبره عند زيارته . وفيه إنكاره ﷺ على من قال نستشفع بالله عليك وتغيره تغيراً عرف فى وجوه أصحابه من هذه الكلمة ، وأنه لم ينكر عليه قوله نستشفع بك على الله ، والتنبيه على تفسير سبحان الله ، وأن المسلمين يسألونه ﷺ الاستسقاء ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (باب ما جاء فى حماية النبى ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك) قد بالغ ﷺ فى حماية التوحيد فى الأقوال والأفعال وحذر أمته من كل ما يبطله أو يقدح فيه أو ينقصه ، حتى قال « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم » وقال « إنه لا يستغاث بى وإنما يستغاث بالله » ولما خاطبوه بالسيادة قال « السيد الله ، أنا محمد عبد الله ورسوله » خوفا على أمته من الوقوع فى الضلال وأدبا مع ربه الكبير المتعال ، فصلوات الله وسلامه عليه

(٢) قوله (عن عبد الله بن الشخير) بكسر الشين وتشديد الخاء المعجمتين ابن عوف بن كعب بن عامر الحريشى بفتح المهملة وكسر الراء وآخره معجمة العامرى ثم الحريشى - صحابى من مسلمة الفتح - رضى الله عنه (قال انطلقت فى وفد بنى عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا : أنت سيدنا فقال « السيد الله تبارك وتعالى » قلنا : وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا . فقال : « قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان » رواه أبو داود بسند جيد) وفى هذا الحديث نهى عن أن يقولوا أنت سيدنا ، وقال « السيد الله تبارك وتعالى » ونهاهم أن يقولوا وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا ، وقال « لا يستجرينكم الشيطان » قاله فى فتح المجيد

قوله (السيد الله) قال الخطابى يريد عليه السلام السؤدد حقيقة لله عز وجل =

قلنا : وأفضلُنا فضلا ، وأعظمُنا طَولًا . فقال « قُولوا بقولكم ، أو بعضِ قولِكم ، ولا يَستجرِيَنَّكمُ الشيطانُ » . رواه أبو داود بسند جيد

وعن أنس رضى الله عنه أن ناساً قالوا : يارسول الله ، ياخَيْرَنا وابنَ خَيرِنا ، وسيِّدَنا وابنَ سيِّدِنا . فقال « يا أيها الناس ، قولوا

= وأن الخلق كلهم عبيد له فعلمهم الثناء عليه ، عليه السلام وأرشدهم إلى الأدب فى ذلك وقال عليه السلام « قولوا بقولكم » يريد قولوا بقول أهل دينكم وملتكم « وادعونى نبياً ورسولا كما سمانى الله فى كتابه فقال (يا أيها النبي - و - يا أيها الرسول) ولا تسمونى سيدا كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم ولا تجعلونى مثلهم فانى لست كأحدهم إذ كانوا يسودونكم فى أسباب الدنيا وأنا أسودكم بالنبوة والرسالة فسمونى رسولا ونبيا »

وقوله (أو بعض قولكم) فيه حذف واختصار ومعناه دعوا بعض قولكم واتركوه ، يريد بذلك الاقتصار فى المقال

وقوله عليه السلام (لا يستجرينكم الشيطان) معناه لا يتخذكم جريا ، والجرى : الوكيل . ويقال الأجير ، انتهى كلام الخطابى باختصار قاله فى إبطال التنديد . وفى النهاية : ولا يستجرينكم الشيطان أى لا يستغلبنكم فيتخذكم جريا ، أى رسولا ووكيلا ، وذلك أنهم كانوا مدحوه فكره لهم المبالغة فى المدح فنهاهم عنه ، يريد تكلموا بما يحضركم من القول ولا تكلفوا كأنكم وكلاء الشيطان ورسله تنطقون عن لسانه ، انتهى

(١) قوله (وعن أنس رضى الله عنه أن أناسا قالوا يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا : فقال « يا أيها الناس قولوا بقولهم أو بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان . أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنى الله عز وجل » رواه النسائى بسند جيد) قال فى إبطال التنديد : وهذان الحديثان دليل على الأدب مع الله عز وجل ، وقوله أنا سيد =

بقولكم ولا يَستهوِينَّكمُ الشيطان . أنا محمدٌ عبدُ الله ورسوله ، ما أحِبُّ أن ترفعونى فوق مَنزلتى التى أنزَلنى اللهُ عزّ وجل » رواه النسائى بسند جيد

= ولدآدم وشبهه دليل على الجواز . فأقول إذا كان الحديثان دليلا على الأدب مع الله عز وجل فما الذى أجاز سوء الأدب ومخالفة الأحاديث الصحيحة ؟ أما الاستدلال على جواز سوء الأدب بقوله ﷺ « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » فلا يدل على الجواز لأن هذا إخبار منه ﷺ عن ما فضله الله به على البشر ، تحدثا بنعمة الله عليه ، عملا بقوله ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ قال شيخ الإسلام فى المنهاج : فإن الله خير محمدا بين أن يكون عبداً رسولا وبين أن يكون ملكا نبيا فاختار أن يكون عبدا رسولا انتهى ، فجعله سيد ولد آدم لما تواضع لربه عز وجل وليس هذا تشريعا للأمة حتى يخاطبوه أو يصفوه بذلك ، ولهذا لم ينقل عن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أنه خاطبه بذلك ، ولو كان خيراً لسبقونا إليه بل نهاهم عن إطرائه ، فقال « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » ولما قيل له : أنت سيدنا . قال « السيد الله » وعد مخاطبتهم له بذلك من استجراء الشيطان واستهوائه ثم أرشدهم إلى ما ينبغى فى مخاطبته ، فقال « أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنى الله عز وجل » وهى العبودية التى وصفه بها فى أشرف المقامات فقال ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ﴾ وقال ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ﴾ وقال ﴿ وإن كنتم فى شك مما نزلنا على عبدنا ﴾ وفيه تحذير الناس عن الغلو ، وما ينبغى أن يقول من قيل له أنت سيدنا . وقوله « لا يستهوينكم الشيطان » مع أنهم لم يقولوا إلا الحق . وقوله « ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى » قاله المصنف رحمه الله تعالى . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : اختلف العلماء فى جواز إطلاق السيد على البشر فمنعه قوم ، ونقل عن مالك ، واحتجوا بقول النبى ﷺ لما قيل له أنت سيدنا قال « السيد الله » وجوزه قوم ، واحتجوا بقول النبى ﷺ للأنصار قوموا إلى سيدكم وهذا أصح من الحديث الأول قال هؤلاء : السيد أحد ما يضاف اليه ، فلا يقال للتميمى سيد كنده ولا للملك سيد البشر ، وعلى هذا =

٦٧ - باب

ما جاء فى قول الله تعالى :

﴿ وما قَدَرُوا الله حقَّ قدرِه ، والأرضُ جميعاً قَبْضَتُه يومَ القِيامة ﴾ الآية[1]

=فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم ، وفى هذا نظر فإن السيد إذا أطلق عليه تعالى فهو بمنزلة الملك والمولى والرب لا بمعنى الذى يطلق على المخلوق انتهى .
قلت : والصواب المنع من إطلاق لفظ السيد على البشر لقول النبى ﷺ « السيد الله » ولما صح عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ قل أغير الله أبغى رباً ﴾ أى إلاهاً وسيداً ، ولما صح عنه أيضا فى قوله ﴿ الله الصمد ﴾ أنه السيد الذى كمل فى جميع أنواع السؤدد . وقال أبو وائل : هو السيد الذى انتهى سؤدده . أما ما احتج به من أجاز ذلك من قول النبى ﷺ للأنصار « قوموا إلى سيدكم » فهذا لا حجة فيه لأنه قال ذلك عام الخندق سنة خمس حينما جاء سعد للحكم فى بنى قريظة وقوله « السيد الله » قاله لوفد بنى عامر سنة الوفود سنة تسع وإنما يؤخذ بالمتأخر من قوله ﷺ . وإذا كان محمد بن عبد الله أفضل الخلق وأكرمهم على ربه لم يقبل مخاطبته بالسيادة أدباً وتواضعاً لربه عز وجل فغيره أولى أن لا يخاطب بذلك لا سيما وقد اتخذ هذا اللفظ بعض الدجالين أداة للسيطرة على ضعفاء العقول وأوهموهم أن لهم مزية وفضلا على غيرهم وأن لهم حقا فى أموالهم بل استعبدوهم وأوهموهم أنهم ينفعون ويضرون ويتبرك بهم وأنهم أولياء واتخذوا لهم علامة على السيادة خضراء وكل هذا جهل وضلال فانه لا فضل لعربى على عجمى ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى هذا الذى ندين الله تعالى به والله الموفق لا إله غيره ولا رب سواه

(١) قوله (باب ما جاء فى قول الله تعالى ﴿ وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾) أى من الأحاديث والآثار فى معنى هذه الآية الكريمة . قال ابن كثير رحمه الله تعالى : يقول تعالى : ما قدر المشركون الله حق قدره حتى عبدوا=

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال[١] : جاء حَبرٌ مِنَ الأحبارِ إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمدُ ، إنّا نجدُ أنّ الله يَجعَلُ السّموَاتِ على إصبع ، والأرَضينَ على إصبع ، والشجرَ على إصبع ، والثرىٰ على إصبع ، وسائر الخلقِ على إصبع ، فيقول : أنا الملكُ . فضحِك النبيُّ ﷺ حتى بدت نواجِذُه تصديقاً لقول الحَبرِ ، ثم قرأ رسولُ الله ﷺ ﴿ وما قَدَرُوا اللهَ حقَّ قدرِه والأرضُ جميعاً قبضَتُه يومَ القيامة ﴾ الآية . وفى رواية لمسلم « والجبالَ والشجَرَ على إصبع ، ثم يَهزُّهُنَّ فيقول : أنا الملكُ ، أنا الله » . وفى رواية للبخارى : « يجعلُ السّموَاتِ على إصبع ، والماء والثرىٰ على إصبع ، وسائرَ الخلق على إصبع » أخرجاه

= معه غيره ، وهو العظيم الذى لا أعظم منه ، القادر على كل شىء ، المالك لكل شىء ، وكل شىء تحت قهره وقدرته . وقال السدى : ما عظموه حق عظمته ، وقال محمد بن كعب : لو قدروه حق قدره ما كذبوه . قال مجاهد : نزلت فى قريش ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم ، فمن آمن أن الله على كل شىء قدير فقد قدر الله حق قدره ، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره

(١) قوله (عن ابن مسعود رضى الله عنه قال جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء على إصبع ، والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، فيقول أنا الملك فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ، ثم قرأ ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ﴾ وفى رواية لمسلم : والجبال والشجر على إصبع ثم =

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً « يَطْوِى اللهُ السَّمٰواتِ يومَ القيامةِ ثم يأخُذُهُنَّ بيدِه اليمنى ، ثمَّ يقول : أنا الملكُ ، أينَ الجبّارُون ؟ أينَ المتكبِّرون ؟ ثم يَطْوِى الأرضينَ السَّبْعَ ، ثمَّ يأخُذُهُن بِشماله ثم يقول : أنا الملكُ ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ »[1]

ورُوِىَ عن ابنِ عباس قال : ما السَّمٰواتُ السبعُ والأرَضُونَ

= يهزهن فيقول أنا الملك أنا الله . وفى رواية للبخارى : يجعل السموات على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع أخرجاه) وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال : جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبى ﷺ فقال : يا أبا القاسم ، أبلغك أن الله تعالى يجعل الخلائق على إصبع والسموات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع فيقول أنا الملك . فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر . قال وأنزل الله ﴿ وما قدرو الله حق قدره ﴾ الآية . وهكذا رواه البخارى ومسلم والنسائى من طرق عن الأعمش به

(١) قوله (ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا : يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ، ثم يطوى الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون) وروى عن ابن عباس « ما السموات السبع والأرضين السبع فى كف الرحمن إلا كخردلة فى يد أحدكم » وفيه معرفة قوله تعالى ﴿ والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ﴾ وأن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين فى زمنه ﷺ لم ينكروها ولم يتأولوها وأن الحبر لما ذكر للنبى ﷺ صدق ونزل القرآن بتقرير ذلك ووقوع الضحك من رسول الله ﷺ لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم والتصريح بذكر اليدين وأن السموات فى اليد اليمنى والأرضين فى الأخرى والتصريح بتسميتها الشمال ، وذكر الجبارين والمتكبرين ، عند ذلك . وقوله كخردلة فى كف أحدكم ، قاله المصنف رحمه الله

السبعُ فى كفِّ الرحمٰن إلا كخَرْدَلةٍ فى يدِ أحَدِكم ، وقال ابنُ جَرير :
حدثنى يونس أنبأنا ابنُ وَهْب قال : قال ابن زيد : حدثنى أبى قال :
قال رسول الله ﷺ « ما السَّمٰواتُ السبعُ فى الكرسىّ إلا كدراهم
سبعة أُلْقِيَتْ فى تُرْس » قال : وقال أبو ذر : سمعتُ رسولَ الله ﷺ
يقول « ما الكرسىُّ فى العَرْش إلا كحَلقةٍ من حديدٍ أُلقِيَتْ بين
ظهرىْ فلاةٍ من الأرض »[1]

وعن ابن مسعود[2] قال : بين السماء الدنيا والتى تليها خمسمائةِ عام ،
وبين كلِّ سماءٍ وسماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسىّ
خمسمائة عام ، وبين الكرسىّ والماء خمسمائة عام ، والعرشُ فوقَ الماء ،

---

(١) قوله (وقال ابن جرير حدثنى يونس أنبأنا ابن وهب قال قال ابن زيد حدثنى أبى قال قال رسول الله ﷺ « ما السموات السبع فى الكرسى إلا كدراهم سبعة ألقيت فى ترس » قال : وقال أبو ذر : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما الكرسى فى العرش ، إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهرى فلاة من الارض ») وروى ابن جرير عن أسباط عن السدى ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾ فإن السموات والأرض فى جوف الكرسى ، والكرسى بين يدى العرش وهو موضع قدميه . وفيه : معرفة عظم الكرسى بالنسبة إلى السماء ، وعظم العرش بالنسبة إلى الكرسى ، وأن العرش غير الكرسى والماء ، قاله المصنف رحمه الله

(١) قوله (وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « بين السماء الدنيا والتى تليها خمسمائة عام وبين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام وبين السماء السابعة والكرسى خمسمائة عام وبين الكرسى والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء ، والله فوق =

والله فوقَ العرش ، لا يَخفَى عليه شيء من أعمالكم . أخرجه ابنُ مهديّ عن حمّاد بن سَلمة عن عاصم عن زِرّ عن عبد الله . ورواه بنحوه المسعوديُّ عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله . قاله الحافظ الذهبيّ رحمه الله تعالى ، قال : وله طرق

وعن العبّاس بن عبد المطّلب[1] قال : قال رسولُ الله ﷺ « هَل تَدْرون كم بينَ السماءِ والأرض ؟ » قلنا : اللهُ ورسولُه أعلم .

= العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم » أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله ، ورواه بنحوه المسعودى عن عاصم عن أبي وائل قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى ، قال : وله طرق) وفيه معرفة كم بين كل سماء إلى سماء ، وكم بين السماء السابعة والكرسى ، وكم بين الكرسى والماء ، وأن العرش فوق الماء ، وأن الله فوق العرش

(١) قوله (وعن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله ﷺ « هل تدرون كم بين السماء والأرض ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وكثف كل سماء خمسمائة سنة ، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض والله سبحانه وتعالى فوق ذلك ، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بنى آدم » أخرجه أبو داود وغيره) وحديث العباس هذا ساقه المصنف مختصرا والذى فى سنن أبي داود عن العباس قال كنت فى البطحاء فى عصابة فيهم رسول الله ﷺ فمرت سحابة فنظر اليها فقال « ما تسمون هذه » قالوا : السحاب . قال « والمزن » قالوا : والمزن ، قال « والعنان » قالوا : والعنان قال أبو داود لم أتقن العنان جيدا . قال « هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض » قالوا : لا ندرى ؟ قال « إن بعد ما بينهما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء التى فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ، ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء =

قال : « بينهما مَسيرةُ خمسمائة سنةٍ ومن كلّ سماءٍ إلى سماءٍ مسيرةُ خمسمائة سنة ، وكِثفُ كلّ سماء مَسيرةُ خمسمائة سنة ، وبينَ السماء السابعةِ والعرش بحرٌ بينَ أسفَلِه وأَعلاه كما بينَ السماء والأرض ، واللهُ سبحانه وتعالى فوقَ ذلك ، وليسَ يَخفَى عليهِ شيءٌ من أعمالِ بنى آدم » أخرجه أبو داود وغيره

= إلى سماء ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه كما بين سماء إلى سماء ثم الله تعالى فوق ذلك » وأخرجه الترمذى وابن ماجه وقال الترمذى : حسن غريب ، وقال الحافظ الذهبى : رواه أبو داود بإسناد حسن وروى الترمذى نحوه من حديث أبى هريرة ، وفيه : ما بين سماء إلى سماء خمسمائة عام . قال فى الشرح : ولا منافاة بينهما لأن تقدير ذلك بخمسمائة عام هو على سير القافلة مثلا ونيف وسبعون سنة على سير البريد . وفيه معرفة كم بين السماء والأرض وكثف كل سماء خمسمائة سنة وأن البحر الذى فوق السماء بين أسفله وأعلاه خمسمائة سنة والله أعلم ، قاله المصنف

وهذه الأحاديث التى ذكرها المصنف وما فى معناها تدل على عظمة الله وعظيم قدرته وعظم مخلوقاته وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له فى ربوبيته وإلاهيته ، وتدل أيضا على إثبات الصفات التى وصف بها نفسه فى كتابه أو وصفه بها رسوله ﷺ على ما يليق بجلال الله وعظمته إثباتا بلا تمثيل، وتنزيها بلا تعطيل ، وعلى هذا مضى سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان

وصلى الله وسلم على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين

وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

حرر فى اليوم الثالث والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ألف وثلاثمائة وست وثمانين من هجرة النبى الكريم عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم بمنزلى بالطائف .

خاتمة

تم طبع كتاب « الدر النضيد على أبواب التوحيد » وهو شرح لكتاب التوحيد للإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وذلك فى السادس من ذى الحجة سنة ألف وثلاثمائة وسبع وتسعين من هجرة المصطفى ﷺ

وقد أشرف على ترتيبه ومراجعته وتصحيحه خادم العلم الشريف قصى محب الدين الخطيب . والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

فهرست

كتاب الدر النضيد على أبواب التوحيد

صفحة

صفحة

صفحة

رقم الايـداع : ٣٥٣١ / ٩٤

صدر حديثاً



بين التجمع الحزبي والتعاون الشرعي

دراسات في السياسة الشرعية :
« ٤ »

كتبه

علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد
الحلبي الأثري

مكتبة الصحابة
جدة - الشرفية
فاكس : ٦٥٣٤٤٨٩ / هاتف : ٦٥٢١٠٦٠



ألّف أصلها

الإمام شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب

(١١١٥ - ١٢٠٦ هـ)

وتوسّع فيها على هذا الوضع علّامة العراق

السيد محمود شكري الآلوسي

(الطبعة الرابعة : ١٣٩٧)

كتاب التوحيد
الذي هو حق الله على العبيد

تأليف

الإمام شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب

(١١١٥ - ١٢٠٦ هـ)

وعليه تعليقاتُ حفيدِه

العلامة الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ حسن ابن شيخ الإسلام المؤلِّف

وقد سمّاها نجله العلّامة الشيخ عبد اللطيف :

قرة عيون الموحدين
في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين

مكتبة الصحابة

جدة - الشرفية

فاكس : ٦٥٣٤٤٨٩ / هاتف : ٦٥٢١٠٦٠